جغرافيات الهجر الاستباقيّة

بين مدخلات الفكر التوظيفيّ ومخرجات الفعل التأسيسيّ

دراسة في الجغرافيا التاريخيّة في الفترة من عام (١٩١٢) إلى عام (١٩٣٢)

محمد عبد القادر راشد *

helm3033@gmail.com

الملخص

أضحى ما آلت إليه القوة السياسية للدولة "العثمانية" من ضعف وتردٍ– واقعًا ملموسًا لدى العديد من الدول الآوروبية خلال العقدين الأول والثاني من القرن العشرين. ولقد أدى هذا الواقع إلى نوع من الفراغ السياسيّ اتضحت ملامحه فى المنطقة النفيسة في الدولة "العثمانية" التي كانت تتمثل في المشرق العربّي. وفي إطار هذه الواقعية وما ترتب عليها من فراغ سياسيّ تحولت منطقة "المشرق العربيّ" إلى فرصة تاريخية ذات أبعاد تفاوضية غير معلومة الاتجاه من ناحية، وذات أبعاد استعمارية تفكيكية من ناحية أخرى. وفي إطار هذا كله، وبجملة من الجغرافيات الاستباقية داخل الإطار العام للجغرافيات المضطربة في المشرق العربيّ آنذاك؛ كان لـ "عبد العزيز بن سعود" مشروعه الخاص الذي بدأه منذ أن كان أميرًا لمنطقة "نجد" في عام (١٩٠٢م) وتوج به ملكًا على "المملكة العربية السعودية" في عام (١٩٣٦). ذلك المشروع العبقريّ الذي لو كُتبت له الاستمرارية لشغل "الفراغات السياسية" كافة، في الدولة "العثمانية" آنذاك. فلقد انتهى إلى "**الهجرة**" بوصفها مجالًا للتطبيق، فنبتت خطوة استقرار البدو وتوطينهم في قريتهم (الأولى) أو هجرتهم (الأولى) تحت اسم هجرة "**الأرطاوية**" في عام (١٩١٢). وبالنبت وبالهجرة (الأولى) نضج الفكر، فانتشرت "الهجر". ووفق الاتجاهات التوظيفيّة للهجر تكونت الأطر الثقافية للمعمور، فخلصت إلى جملة من الأحيزة الجغرافية القصدية، انتهت إلى جملة من الأحيزة الجغرافية الهجرية أظهرت فيما بينها درجات من التماسك الداخليّ، فانتهى أمرها إلى تكوين الوحدة.

* قسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية، كلية الآداب-جامعة الإسكندرية.

وفي إطار هذا كله نشأ "**العمران التنمويّ**" من خلال إسقاط المنظومة المجتمعيّة/الثقافية على الوسط البيئيّ أو الطبيعيّ؛ ذلك الإسقاط النشط الفعال الذي حدده فكر التغيير بالشكل الذي توافق مع مطالبه الملحة سعيًا إلى الهدف المراد بلوغه. ومن ثم لم يكن "**العمران التنمويّ**" إلا نتاج فكر كان يؤمل من خلاله تحقيق غاية معينة ومرهونًا بمجتمع معين، وبذلك يمكن عدّه مظهرًا من مظاهر فعل المجتمع وفق فكر قاد عناصره الأساسية كافة إلى التضافر والتسابق؛ لتأمين الاستمرار الوظيفيّ للمجموع المتكامل. وعلى ضوء ذلك استمر العمران التنمويّ على مستوى "المملكة العربيّة السعوديّة" وتَدافع لبلوغ اللامعلوم في ظل خطوات استباقيّة تارة أو بخطوات استشرافية تارة أخرى. وتدور فكرة الدراسة حول المدخلات التي أدت إلى تأسيس الهجر بعدّها تجربة توظيفيّة انطوت على مجموعة من الآليات التنفيذيّة تم الاستدلال على نجاحها بمعلومية نتائجها التي توجت بتأسيس المملكة العربيّة السعوديّة في عام (١٩٣٢). وفي إطار ذلك استُولدت فكرة دراسة "الهجر" كونها رؤية توظيفيّة بدافعية جملة من الغايات نجحت مخرجاتها بإدراك المزيد من الطموحات. ولقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخيّ، في إطار محاولة بناء الأحداث التاريخيّة لقرى الهجر بعدّها مجموعة من المحلات العمرانيّة اتصفت بمجوعة من الأبعاد السكانية، والعمرانيّة، والوظيفيّة بصفة عامة. كما اعتمدت على **المنهج** الاستدلالى الذى يعد بمنزلة الداعم الحيوى الذي أكسب الدراسة قوة الدفع للانتقال من حدث تاريخيّ إلى آخر كونه اتاح إمكانيّة الانتقال من المعرفة الجزئية الذاتيّة حيث خصائص "الهجر" إلى المعرفة الكلية حيث منطقة "نجد" ومن بعدها "شبه الجزيرة العربيّة" في رباط واحد. وبناءً على ذلك اتاح المنهج الحكم على مدى دقة الحدث التاريخيّ وذلك بمقارنته، وربطه، واتساقه بالحدث الذي يليه. وبناءً على خطوات المعالجة، فقد شملت الدراسة (ستة) محاور رئيسة غلب عليها الاتجاه الأصولى فى إطار من التحليل والنقد، أما الاتجاه الانتفاعى فلقد تمثل فى نتائج الدراسة وتوصياتها.

كلمات مفتاحية:الهجر – الأرطاوية – المجتمع الجديد –التنمية.

المدخل :

أضحى ما آلت إليه القوة السياسية للدولة "العثمانية" من ضعف وتردٍ– واقعًا ملموسًا لدى العديد من الدول الآوروبية خلال العقدين الأول والثاني من القرن العشرين. ولقد أدى هذا الواقع إلى نوع من الفراغ السياسيّ اتضحت ملامحه فى المنطقة النفيسة في الدولة "العثمانية" التي كانت تتمثل في المشرق العربّي. وفي إطار هذه الواقعية وما ترتب عليها من فراغ سياسيّ تحولت منطقة "المشرق العربيّ" إلى فرصة تاريخية ذات أبعاد تفاوضية غير معلومة الاتجاه من ناحية، وذات أبعاد استعمارية تفكيكية من ناحية أخرى.

أما كونها فرصة تاريخية ذات أبعاد تفاوضية غير معلومة الاتجاه؛ فلقد نجحت "بريطانيا" (ومن خلفها "فرنسا"، و"روسيا القيصرية") في استمالة الشريف "حسين" شريف "مكة المكرمة" **لإقامة دولة عربية في منطقة "شبة الجزيرة العربية" والمشرق العربيّ** شريطة مشاركته في الحرب ضد الدولة "العثمانية". وبالفعل شارك الشريف في هذه الحرب ولكن من دون إقامة.

أما كونها فرصة تاريخية ذات أبعاد استعمارية تفكيكية؛ فلقد رأت "بريطانيا" (ومن خلفها "فرنسا"، و"روسيا القيصرية") أن المنطقة النفيسة في الدولة "العثمانية" تستوجب إعادة صياغة تبعاتها السياسية فى ظل ما آلت إليه نتائج الحرب.

وفي حقيقة الأمر فإن إعادة الصياغة هذه تمثلت في اتجاهين (الأول) تعلق بتأسيس وطن لليهود اتخذ شرعيته من الوعد المعروف بـ "وعد بلفور" **"Balfour Declaration".**

أما الاتجاه (الثاني) فلقد ارتبط بتفتيت المنطقة النفسية فى الدولة "العثمانية" إلى دويلات وكيانات توازنية تحت رعاية "بريطانيا"، و"فرنسا"، و"روسيا القيصرية"وذلك من خلال تلك الاتفاقية التي أُقرت في عام (١٩١٦م) وعُرفت بـ"سايكس بيكو".

وفي حقيقة الأمر فإن هذه الاتفاقية التي يمكن تسميتها أيضًا باتفاقية "الفراغات السياسية" تعد الإصدار الأول في تاريخية ومستقبل الفكر التفكيكيّ الذي بدأ في المشرق العربيّ وما زال قائمًا فى شكل آخر من الإصدارات أُطلق عليها اسم "الشرق الأوسط" ومن بعده "الشرق الأوسط الجديدة" وإذا كانت هذه هي الحقيقة الظاهرة، فإن الحقيقة الباطنة الأكثر فعلاً وتأثيرًا تكمن في أنه لولا استمالة الشريف "حسين" ورغبته فى الحكم وما كان لذلك من آثار الإضطراب فى "شبة الجزيرة العربية" لكان بالإمكان ملء "الفراغات السياسية" في المشرق العربيّ بتوجهات أخرى كانت ستصب في صالح "شبة الجزيرة العربية" ومن بعدها "الدولة العربية" وذلك عوضًا عما آل إليه الحال من نتائج الوعود والاتفاقيات. وفي إطار هذا كله، وبجملة من الجغرافيات الاستباقية داخل الإطار العام للجغرافيات المضطربة في المشرق العربيّ آنذاك؛ كان لـ "عبد العزيز بن سعود" مشروعه الخاص الذي بدأه منذ أن كان أميرًا لمنطقة "نجد" في عام (١٩٠٢م) وتوج به ملكًا على "المملكة العربية السعودية" في عام (١٩٣٦). ذلك المشروع العبقريّ الذي لو كُتبت له الاستمرارية لشغل "الفراغات السياسية" كافة، في الدولة "العثمانية" آنذاك.

المقدمة:

تكون فكر الاستقرار والتوطين سعيًا إلى التغيير، فانتهى إلى "**الهجرة**" بوصفها مجالًا للتطبيق، فنبتت خطوة استقرار البدو وتوطينهم في قريتهم (الأولى) أو هجرتهم (الأولى) تحت اسم هجرة "**الأرطاوية**"[(١)] في عام (١٩١٢). وبالنبت وبالهجرة (الأولى) نضج الفكر، فانتشرت "الهجر". ومن خلال الدفع بذاتيّة الفرد في المكان ومن خلال الدفع بذاتيّة التوظيف المجتمعيّ وما ينبغي أن يكون عليه الفرد في إطار هذا التوظيف؛ تكوَّن المعمور الدافع للتغيير. وفي ظل المزيد من مقاصد التغيير سواء أكان برغبة داخليّة على مستوى "منطقة "نجد" أم حتى خارجية بدوافع إقليمية أضحى

(١) **الهجر لفظ مشتق من الهجرة ، ولقد ورد لفظ الهجرة والمهاجرين في القرآن الكريم في (٢٤) موضعًا.**

المعمور واقعًا ملموسًا استمد قيمته من روافد عدة، انتظمت وفق قدرات توظيف الفكر وتُدفع بتراكمات تظهر نتائجها عبر الزمن. ووفق الاتجاهات التوظيفيّة للهجر تكونت الأطر الثقافية للمعمور، فخلصت إلى جملة من الأحيزة الجغرافية القصدية، انتهت إلى جملة من الأحيزة الجغرافية الهجرية[٢] أظهرت فيما بينها درجات من التماسك الداخليّ، فانتهى أمرها إلى تكوين الوحدة. وفي إطار هذا كله نشأ "**العمران التنمويّ**" من خلال إسقاط المنظومة المجتمعيّة/الثقافية على الوسط البيئيّ أو الطبيعيّ؛ ذلك الإسقاط النشط الفعال الذي حدده فكر التغيير بالشكل الذي توافق مع مطالبه الملحة سعيًا إلى الهدف المراد بلوغه. ومن ثم لم يكن "**العمران التنمويّ**" إلا نتاج فكر كان يؤمل من خلاله تحقيق غاية معينة ومرهونًا بمجتمع معين، وبذلك يمكن عدّه مظهرًا من مظاهر فعل المجتمع وفق فكر قاد عناصره الأساسية كافة إلى التضافر والتسابق؛ لتأمين الاستمرار الوظيفيّ للمجموع المتكامل. والحقيقة أن هذا الفكر أو حتى المجتمع كانا مدفوعين بمسارات شكلت فيما بينها ثلاثية مترابطة ترابطًا انسلاخيًا؛ تلك الثلاثية التي تكونت من الماضي، والحاضر، والمستقبل.

فأما الماضي فكان ينطوي على مجموعة جغرافيات اتصفت بالمحدودية على مستوى منطقة وسط نجد" في "شبه الجزيرة العربيّة"، وبمحدوديتها تلك كانت تقع دائمًا في إطار الجغرافيا التاريخيّة.

وأما الحاضر فكان ينطوي على جملة الجغرافيات التعايشية في منطقة "الرياض" وتحديدًا ارتبط مسارها بوجود الإمام "عبد العزيز بن سعود" الذي كان لديه

---

[٢] يمكن القول بما يأتي:

- **تنشأ الأحيزة الجغرافية بمقدار ما للمجتمع من رؤى ومخططات؛ ومن ثم فإذا كانت الأحيزة مدينة بالضرورة بماديتها إلى جملة من الأوساط الطبيعية؛ إلا أنها تستمد من المجتمع غاياتها، وخبراتها، والشكل الذي يجب أن تتخذه العلاقات المختلفة في تسابقها وتضافرها لتحقيق الأهداف والتطلعات الإنسانية (هيلدبرت إزنار ، ١٩٩٤: ٩٢). ولقد تم استبدال كلمة الأحيزة هنا بكلمة الحوازات اعتمادًا على معجم الوسيط، الجزء الأول، ص ٣٢٣.**
- **تتضاءل عملية التوافق بين الأحيزة الجغرافية والأوساط الطبيعية بمقدار ما تتزايد تطلعات المجتمع وآثاره؛ ومن ثم يظل تنظيم الأحيزة الجغرافية وما تشتمله من عمران دومًا موضعًا لإعادة النظر.**

رؤية ذاتيّة سعى من خلالها إلى استنهاض الأمكنة، ولقد اتصف هذا المسار بنضج جغرافياته؛ ذلك النضج الذي ارتبط بحيوية رؤية الإمام.

وأما عن المستقبل؛ فلقد ارتبط برؤية إقليمية كان يأمل الإمام من خلالها في توحيد الجزء الأكبر في "شبه الجزيرة العربيّة" من ناحية، ومحاولة بلوغ غايات قابلة للتفاوض والبناء في ظل مجموعة من الاجتهادات التوظيفيّة الهادفة إلى إعادة صياغة الهيكل المجتمعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة" من ناحية أخرى. ولقد اتسم هذا المسار بإمكانيّة التدخل في صناعة جغرافياته؛ ولذلك فهو لم يرتبط بنضج جغرافياته أو حتى محدوديتها بقدر ارتباطه بفكر يسعى إلى التغيير الذي بعمومية نتائجه تأسست "المملكة العربيّة السعوديّة" في عام (١٩٣٢).

وعلى ضوء ذلك استمر العمران التنمويّ على مستوى "المملكة العربيّة السعوديّة" وتَدافع لبلوغ اللامعلوم في ظل خطوات استباقيّة تارة أو بخطوات استشرافية تارة أخرى. وفي إطار المزيد من السعي وتحديدًا خلال الفترة من عام (١٩٣٢) إلى عام (١٩٧٤) تحول الأمر من فكر استنهاض العمران التنمويّ إلى فكر التخطيط الانفراديّ سعيًا إلى بلوغ أهداف محددة تنفرد بها مدينة معينة (أحمد جار الله الجار الله، وهند حسن القحطانى، ٢٠١٤: ٣٢). وفي إطار المزيد من السعي تحول الفكر إلى مجموعة من الخطط الخمسية التنمويّة بدأت في عام (١٩٧٥) وتم التوقف عن العمل بمدخلاتها في عام (٢٠١٥)، وبموجب نتائجها التي كانت تدور في فلك نتائج نشأة "الهجر" وانتشارها؛ تم الإعلان عن الأخذ بفكر تنمويّ آخر يختلف تمامًا عما كان معمولًا به خلال الفترة من عام (١٩١٢) إلى عام (٢٠١٥). **ولأن** هناك فرقًا بين نتاج الفكر الذي نجم عنه "العمران التنمويّ" أو ما سيُعبر عنه بجملة "الأحيزة الجغرافية الهجرية" الذي يعد مسؤولًا –في المقام الأول– عن نشأة "المملكة العربيّة السعوديّة" في عام (١٩٣٢) من ناحية، وبين ما سيكون عليه العمران في إطار فكر التغيير الذي

تأمله "المملكة العربيّة السعوديّة" من خلال رؤيتها التي أُعلن عنها في عام (٢٠١٦) تحت اسم رؤية المملكة (٢٠٣٠) يكمن أحد الأسئلة المهمة ومفاده:

هل تحمل عمومية الفكر الوظيفيّ الذي تأسست بمقتضاه "الأحيزة الجغرافية الهجرية"وكان نتاجه تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" من الخطوات والآليات ما يمكن أن تسهم به في تحقيق الرؤية التنمويّة التي أُعلن عنها في عام (٢٠١٦) تحت اسم رؤية المملكة العربيّة السعوديّة (٢٠٣٠)؟

فكرة الدراسة، وتساؤلاتها، ومشكلتها البحثية:

وفي إطار الاستفسار السابق تكونت ثلاثية فكرة الدراسة وتساؤلاتها وكذلك مشكلتها البحثية والتي يمكن التعرف إليها على ضوء ما يأتي:

فكرة الدراسة: تدور فكرة الدراسة حول المدخلات التي أدت إلى تأسيس الهجر بعدّها تجربة توظيفيّة انطوت على مجموعة من الآليات التنفيذيّة تم الاستدلال على نجاحها بمعلومية نتائجها التي توجت بتأسيس المملكة العربيّة السعوديّة في عام (١٩٣٢). وفي إطار ذلك استُولدت فكرة دراسة "الهجر" كونها رؤية توظيفيّة بدافعية جملة من الغايات نجحت مخرجاتها بإدراك المزيد من الطموحات.

تساؤلات الدراسة: للدراسة سؤال واحد رئيس بصيغ مختلفة. فأما السؤال فمضمونه: **ما مدخلات الرؤية التوظيفيّة التي ارتكز عليها الإمام "عبد العزيز بن سعود" في بناء "الهجر" بعدّها مجموعة من الجغرافيات الجديدة التي استطاع من خلالها تحقيق رؤيته الذاتيّة التي كانت تتمثل في توحيد الجزء الأكبر من "شبه الجزيرة العربيّة" في إطار مملكة واحدة وكان نتاج ذلك تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة"؟**

وأما الصيغ المختلفة للسؤال الريس فتتمثل فيما يأتي:

- هل اعتمدت "الهجر" في بناء مكوناتها التوظيفيّة على إمكاناتها الذاتيّة أم اعتمدت على عوامل خارجية وإمكانات غيرها من الأمكنة الإقليمية؟
- هل استطاعت "الهجر" بعدّها رؤية الإمام "عبد العزيز بن سعود" التوظيفيّة أن تحل محل القبيلة في كفالتها الاجتماعية والاقتصادية؟

- هل استطاعت "الهجر" بعدّها جملة الأنوية التنمويّة أن تقود التغيير من مرحلة الاعتماد على ما كان يقدمه الإمام "عبد العزيز بن سعود" من عطايا ومنح بوصفها محفزات للاستقرار إلى مرحلة المشاركة في بناء رؤية جمعية قادت إلى تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة"؟
- هل جغرافيات العقل الجمعيّ التي تأسست به "الهجر" كانت لديها من الإمكانات لتستمر بها بعد ذلك أم أن جغرافيات الأبعاد السياسيّة الإقليمية حالت دون استمرارها بوصفها تجربة يُقر لها بالنجاح؟
- هل أبعاد المكون المجتمعيّ المُستولدة في "الهجر" استطاعت تأهيل "الهجر" ذاتها بما كان يضمن استمراريتها التعايشية أم أنها حالت دون ذلك لعدّات ذاتيّة؟

مشكلة الدراسة:

تكمن المشكلة البحثية في أنها بصدد ظاهرة عمرانيّة متغيرة. وقد يُظن أن مشكلة الدراسة هكذا تعد أمرًا مغلوطًا؛ حيث إن جوهر الجغرافيا يرتكز على التغير التراكميّ والتغيير القصديّ. والحقيقة أن المقصود هنا بظاهرة عمرانيّة متغيرة لا ينسحب على الشكل أو الحجم أو غير ذلك من أبعاد عمرانيّة، بل ينسحب هنا على الرؤية والغايات التوظيفيّة التي من أجلها تأسست "الهجر". فلقد تغير الأمر لعدّات كثيرة يمكن حصر الجزء الأكبر منها في أسباب ترتبط بـ "الهجر" ذاتها؛ حيث يمكن القول: إنها اكتسبت من القوة ما جعل بعضها يحيد عن الدور الوظيفيّ أو الرؤية التي من أجلها كان سعي التأسيس. وإلى جانب ذلك كانت هناك مجموعة من الأسباب ارتبطت بمدى توزانات القوى السياسيّة التي كانت تُهيمن على "شبه الجزيرة العربيّة" ودورها في تحييد "الهجر" عن دورها الوظيفيّ[١]. وبناءً على ذلك، فعلى الرغم من تنامي دور "الهجر" خلال الفترة من عام (١٩١٢) إلى عام (١٩٣٢) فإنّ تلك الفترة

[١] بلغت "الهجر" من القوة ما جعلها تؤثر في مدى هيمنة الدور البريطانيّ على "شبه الجزيرة العربية" ومن بعده الدور الحجازيّ.

يمكن تقسيمها إلى فترتين تكادان تكونان مختلفتين، الأولى: خلال الفترة من عام (١٩١٢) إلى عام (١٩٢٦)، أما الثانية: فكانت خلال الفترة من عام (١٩٢٧) إلى عام (١٩٣٢). وأيًا كان أمرهما فالفترة (الثانية) لم تتصف خلالها "الهجر" بالحيوية التي كانت عليها خلال فترتها (الأولى) غير أن ذلك لم يحول دون تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" في عام (١٩٣٢). وفي عبارة تاريخيّة تحتاج إلى المزيد من التدقيق يمكن القول: إن قيمة "الهجر" الوظيفيّة التي تأسست من أجلها وتأسست بها المملكة؛ فُرغت من مضمونها؛ ولذلك لم ينهض منها محلة عمرانيّة واحدة على وتيرة المحلات التي نهضت مظهرًا وأثرًا وحجمًا خلال الفترة من عام (١٩٣٢) إلى عام (٢٠١٥) [(١)].

الركائز الاصطلاحية للدراسة:

١ –**الجغرافيات الاستباقيّة: هي** جملة الجغرافيات التي يجب الأخذ بها خلال المستقبل المباشر أو القريب؛ عوضًا عن الجغرافيات المتعايش بها في الزمن الحاضر[(٢)] سعيًا إلى بلوغ غايات محددة.

٢ – **الديرة:** هي المكان الذي تنتمي إليه أصولية القبيلة، وكان يمثل لها الوجودية التي تتخذ منها شرعية النسب، وتمثل الآن الملتقى الأسبوعيّ أو حتى الشهريّ؛ حيث يتلاقى فيها أبناء القبيلة لحل مشكلاتهم، ومناقشة أحوالهم وتوطيد الرباط بينهم.

٣ – **التنظيمات المكانيّة:** ويُقصد بها الفعل المجتمعيّ وفق خطوات متبعة من الآليات والعمليات التي ينجم عنها مجموعة من العلاقات المتبادلة داخل إطار الأحيزة الجغرافية. ويعد جوهر التنظيم المكانيّ نوعًا من تحرر المجتمع من مقومات الوسط الطبيعيّ أو البيئيّ؛ بهدف الوصول إلى غاية محددة.

٤ – **تجزئة التنمية:** ذلك الفكر الذي ينظر إلى التنمية بعدّها التوزيعات المكانيّة التي سيُبنى منها الكل، وليس التوزيعات المكانيّة التي سيتألف منها الكل[(٣)].

[(١)] هذا الأمر يعد في مجمله أحد النتائج التي تم إدراكها بعد الاطلاع على تجربة الهجر العمرانية وأبعادها الوظيفية.

[(٢)] هذا التقسيم اعتمادًا على تصنيف "مينسوتا" للمستقبل (المهدى المنجرة، ١٩٨٨ :١٨).

منطقة الدراسة والمدى الزمنى لها:

مرت منطقة الدراسة بمجموعة من الأطوار البنائية في ظل عمومية الإطار المكانيّ لـ "شبه الجزيرة العربيّة". وعلى الرغم من تعدد هذه الأطوار فإنه يمكن تكثيفها في طورين رئيسين، هما:

الطور الأول: خلال الفترة من عام (١٩١٢) إلى عام (١٩٢٦).

شهدت هذه الفترة تكوين مدخلات الإطار الأول لمنطقة الدراسة، وتحديدًا بداية من تأسيس الهجرة الأولى في تاريخيّة "الهجر" والمعروفة باسم "الأرطاوية" في وادي "أرط" بحوض "الرمة" في وسط "شبه الجزيرة العربيّة" وذلك على نحو ما سيتضح من الشكل رقم (٩) بالمحور (الثالث) في الدراسة. وبدافعية بناء المزيد من الهجر اتسعت منطقة الدراسة خلال هذه الفترة لتشمل حوض "حنيفة" الذي يقع إلى الجنوب مباشرة من حوض "الرمة" بالقرب من "الرياض" وذلك على نحو ما سيتضح من خلال الشكل رقم (١٠) بالمحور (الثالث) في الدراسة. وفي ظل المزيد من تأسيس "الهجر" وانتشارها تجاوزت منطقة الدراسة الحوضين لتنتهي إلى عمومية ما يُعرف تاريخيّا بإقليم "نجد" أو سلطنة "نجد" التي أضحت واقعًا مكانيًا في إطار نفوذ السلطان "عبد العزيز بن سعود" وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (١).

---

(٣) في ظل ما كانت عليه خصائص الأمكنة التي عُهد إليها في نشأة الهجر؛ فالقول: إن الفكر التنمويّ الذي جاء فيها (من دون مغالاة)، يتفوق على ما جاء في نظرية "الحلقات المركزية" "Concentric Model"، ونظرية "القطاعات" "Sector Land Use Model" ، ونظرية "الأنوية المتعددة" "Multiple Nuclei Land Use Model" ، وكذلك النظرية "المجمعة" " Hybrid Model" ، ولا تجاوز في أنها تفوقت على نظرية "الأماكن المركزية" "Central Places" لـ "والتر كريستالر" "Walter Christaller".

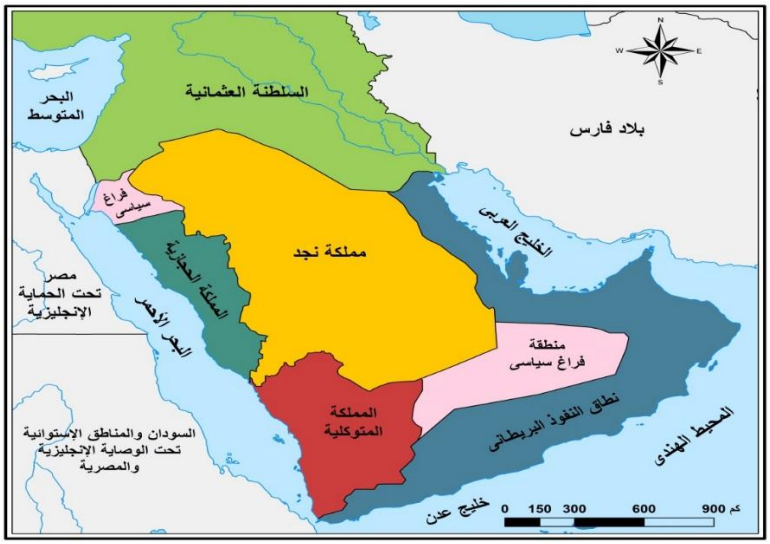

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على خريطة Michael Lazady المنشورة تحت عنوان Arabia Political Divisions in 1900

الشكل رقم (١): منطقة نجد في عام (١٩٢١)

الطور الثاني: خلال الفترة من عام (١٩٢٦) إلى عام (١٩٣٢).

شهدت هذه الفترة المزيد من اتساع منطقة الدراسة، وذلك في ظل المزيد من تأسيس "الأحيزة الجغرافية الهجرية" وانتشارها التي بلغ عددها (١٧٢) في عام (١٩٣٢). وفي إطار تلك الفترة يمكن القول: إن مجال نفوذ السلطان "عبد العزيز بن سعود" سلطان "نجد" وملحقاتها زاد ليصبح مجال نفوذ الملك "عبد العزيز بن سعود" ملك "الحجاز" و"نجد" وملحقاتها[١] وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٢)

---

[١] **في إطار الجغرافيا التاريخية بصفة خاصة؛ فإن الكلمة في حد ذاتها تعد دلالة زمنية ومكانية؛ ومن ثم كان من الأهمية بمكان التمييز بين بعض الألقاب التي خُلعت على المغفور له بإذن الله الملك "عبد العزيز" خلال فترة حكمه، والتي تحتوي على دلالات مكانية في زمنية تكوين "الدولة السعودية" (الثالثة) على نحو ما يأتي:**

- **أمير الوهابية وأمير "نجد" في عام (١٩٠٢).**
- **إمام "نجد" ورئيس عشائرها في عام (١٩١٢).**
- **سلطان "نجد" في عام (١٩٢١).**
- **سلطان "نجد" وملحقاتها في عام (١٩٢٢).**
- **ملك "الحجاز" وسلطان "نجد" وملحقاتها في عام (١٩٢٦).**
- **ملك "الحجاز" و"نجد" وملحقاتها في عام (١٩٢٧).**
- **ملك "المملكة العربية السعودية" في عام (١٩٣٢)** (أمين الريحانيّ،١٩٢٧: ٥).

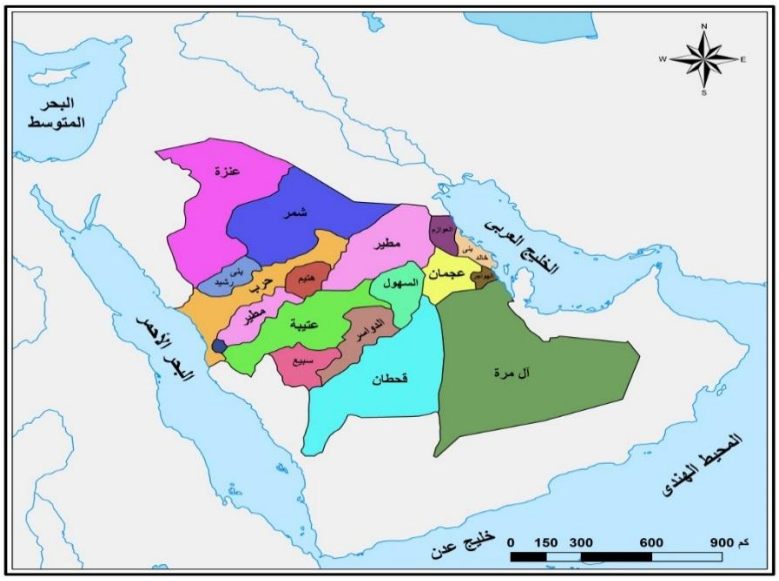

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على خريطة المستشرق الإنجليزي هارولد ديكسون (ويكيميديا كومنز ١٦ فبراير/٢٠١٧).

الشكل رقم (٢): مجال نفوذ الملك عبد العزيز بن سعود في عام (١٩٣٢)

اتجاهات الدراسة البحثية وأهدافها:

لم ترد في أي مصادر أن الإمام "عبد العزيز بن سعود" قد قرأ عن فكرة "الهجر" والكيفية التي يمكن من خلالها التعامل معها، فهي ليست فكرة نتيجة تعليم ما، بل يمكن القول: إنها فكرة سيقتْ من خبرة تعايشية أكثر من استياقها من معرفة تعليمية اعتمدت على عقيدة كانت بمنزلة الداعم في آليات تنفيذ الرؤية؛ ولذلك تكمن أهمية الدراسة في أنها نموذجًا يُستدل من خلاله على نجاح تجربة توظيفيّة لم تشهدها "شبه الجزيرة العربيّة" خلال تاريخها الحديث. وفي إطار توضيح الخطوات التي أدت إلى إنجاح هذا النموذج، وفي إطار محاولة الاستفادة من هذه الخطوات ارتكزت الدارسة على الاتجاهات البحثية الثلاثة. وبناءً على ذلك ارتكزت الدراسة على "الاتجاه الأصوليّ" الذي يُسعى من خلاله إلى إيضاح ما كانت عليه "الهجر" من خصائص وأبعاد جغرافية في ظل عوامل معينة، ولقد تمثل ذلك في المحور (الأول)، و(الثاني) ، والثالث) في الدراسة، مرورًا بـ "الاتجاه التحليليّ" الذي يُسعى من خلاله إلى إدراك

العلاقات التأثيرية للهجر على مستوى منطقة "نجد" وكذلك العلاقات الارتباطية فيما بينها وتوضيح دورهما في تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" ولقد تمثل ذلك في المحور (الرابع)، و(الخامس)، و(السادس) في الدراسة، انتهاءً بـ "الاتجاه الانتفاعيّ" الذي يُسعى من خلاله إلى محاولة الاستفادة من "الهجر" بعدّها تجربة ونموذجًا تنمويًا أسهم في تحقيق ما كان يأمله الإمام "عبد العزيز بن سعود". وفي إطار ذلك حُددت أهداف الدراسة في نقاط معينة تتمثل فيما يأتي:

١ –الوقوف على الخصائص السكانية وعمومية الاتجاهات الوظيفيّة التي كانت عليها "الهجر".

٢ –تحري الثبت التاريخيّ للهجرة الأولى في تاريخيّة الأحيزة الجغرافية الهجرية والمعروفة باسم هجرة الأرطاوية.

٣ –الوقوف على مراحل انتشار "الأحيزة الجغرافية الهجرية" في إطار منطقة نجد بعد نجاح نموذج هجرة الأرطاوية.

٤ –التعرف إلى خصائص "الأحيزة الجغرافية الهجرية" بوصفها قواعد بنائية، وخصائص توزيعاتها المكانيّة، وأنويتها التنمويّة.

٥ –التعرف إلى أحد أبعاد الاتجاهات الوظيفيّة التي كانت عليها "الأحيزة الجغرافية الهجرية" وتحديدًا البعد الدينيّ.

٦ –الوقوف على مدخلات "الأحيزة الجغرافية الهجرية" ودورها في تأسيس "الملكة العربيّة السعوديّة".

٧ – بناء نموذج لخطوات التنفيذ في عملية التنمية يُسعى من خلاله إلى تحقيق غايات محددة.

فرضيات الدراسة:

وعلى عدّ أن الفرضيات بمنزلة نقاط الارتكاز التي تمثل قواعد البناء بمعلومية إثبات صحتها أو عدمها، فللدراسة فرضية رئيسة مضمونها ما يأتي:

- **كانت رؤية إمام "نجد" ورئيس عشائرها الإمام "عبد العزيز بن سعود" للهجر واتجاهاتها التوظيفيّة خلال الفترة من عام (١٩١٢) إلى عام (١٩٢٧) جزءًا من رؤيته الذاتيّة المحلية، أما فيما يتعلق بالفترة الزمنية من عام (١٩٢٧) إلى عام (١٩٣٢) فلقد تأثرت رؤية ملك "الحجاز" و"نجد" وملحقاتها الملك "عبد العزيز بن سعود" للهجر واتجاهاتها الوظيفيّة برؤية اتجاهات القوى السياسيّة الإقليمية.**

أما الفرضيات الأخرى الفرعية فتتمثل فيما يأتي:

١ –يمكن القول: إن الاعتراف بتأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" في عام (١٩٣٢) كان أحد الأسباب التي حالت دون تمدد مجال نفوذ ملك "الحجاز" و"نجد" وملحقاتها الملك "عبد العزيز بن سعود" في منطقة الفراغ السياسيّ على مستوى عمومية "شبه الجزيرة العربيّة".

٢ –يمكن القول: إن عمومية التوزان الإقليميّ على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة" كانت تعكس حالة من التوزان الفوضويّ لصالح القوى غير العربيّة التي كانت بدورها تهيمن على الإطار العام لـ شبه الجزيرة العربيّة" بخاصة والإطار العام للعالم العربيّ بعامة.

٣ – يمكن القول: إن التغيرات التي انتابت المكون المجتمعيّ الجديد المستولد على مستوى "الأحيزة الجغرافية الهجرية" كانت أحد الأسباب التي تأثرت بها حيوية "الهجر" قبل عملية تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" بوصفها استمرارية وظيفيّة وبعد تأسيسها بوصفها استمرارية تعايشية.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي عالجت "الهجر" في ظل وجهات نظر غلب عليها التخصص وإلى جانب ذلك يمكن إضافة مجموعة أخرى من الدراسات لم تعالج "الهجر" بصورة مباشرة بقدر معالجتها لمضمون فكرتها التوظيفيّة الذي يرتكز على التغيير والاستيعاب. وبناءً على ذلك يمكن التعرف إلى بعض هذه الدراسات على ضوء ما يأتي:

الدراسات المباشرة: (التي ترتبط بالهجر بطريقة مباشرة)

١ – دراسة عبد الفتاح حسن أبو عليه في عام (١٩٧٥).

جاءت الدراسة في (١٠) صفحات تحت عنوان "الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو في جزيرة العرب وتندرج في تخصصها إلى علم "التاريخ". ولعل من الأمور التي تم التوقف عندها في هذه الدراسة تلك التي تتعلق بالجدوى الاقتصادية لمشروع "الهجر" من ناحية، ومدى اعتماد البدو على ما كان يقدمه الإمام "عبد العزيز بن سعود" من عطايا ومنح ومواد غذائية وتسهيلات بوصفها عوامل تحفيزية من شأنها أن تُدعم الاستقرار.

٢ –دراسة أحمد عبد الرحمن الشامخ وترجمة عبد الألة أبو عايش في عام (١٩٨١).

جاءت الدراسة في (٣٩) صفحة تحت عنوان "توطين البدو في المملكة العربيّة السعوديّة – الهجر" وتندرج في تخصصها إلى علم "الجغرافيا". وتكمن القيمة في هذه الدراسة في محاولتها رصد جملة "الهجر" التي تأسست حتى عام (١٩٥٨) على مستوى "المملكة العربيّة السعوديّة".

٣ –دراسة نياف هايش المطيرى في عام (١٩٨٥).

جاءت الدراسة في (٦٨) صفحة تحت عنوان "رسالة قصيرة عن سكان البادية في عهد الملك عبد العزيز" وتندرج في تخصصها إلى علم "التاريخ". ولعل من الأمور

المهمة التي أوضحتها الدراسة طبيعة اتجاهات العلاقة بين الملك "عبد العزيز بن سعود" من ناحية، وبين المكون المجتمعيّ الذي أضحى عليه سكان الهجر من ناحية أخرى.

٤ –دراسة حسن عبد القادر صالح في عام (١٩٨٥).

جاءت الدراسة في (٣٩) صفحة تحت عنوان "توطين البدو في عهد الملك عبد العزيز" وتندرج في تخصصها إلى علم "الجغرافيا". وبصدد القيمة في هذه الدراسة فإن روافدها متعددة؛ كونها حاولت معالجة "الهجر" في إطار تتصف أبعاده بالشمولية، حيث أوضحت العديد من الأمور السكانية، والاقتصادية، والعمرانيّة، ويمكن إضافة السياسيّة كذلك. وفي إطار الاستفادة، فلقد اعتمد الباحث على هذه الدراسة.

٥ –دراسة موضى بنت منصور عبد العزيز آل سعود في عام (١٩٨٨).

جاءت الدراسة في (٤٧٠) صفحة تحت عنوان "الهجر ونتائجها في عصر الملك عبد العزيز" وتندرج في تخصصها إلى علم "التاريخ". وبصدد أهمية الدراسة فتكمن في كونها دراسة موسوعية أوضحت معالجتها العديد من الأمور منها الأبعاد السياسيّة التي كانت عليها "شبه الجزيرة العربيّة" في فترة تأسيس "الهجر" الأولى وتحديدًا خلال الفترة من عام (١٩١٢) إلى عام (١٩٣٢). وفي إطار الاستفادة، اعتمد الباحث على هذه الدراسة.

٦ –دراسة سعود ضحيان الضحيان في عام (٢٠٠٠).

جاءت الدراسة في (٥٦) صفحة تحت عنوان "الجانب التنمويّ في عملية توطين البدو في عهد الملك عبد العزيز" وتندرج في تخصصها إلى علم الاجتماع. ولعل من الأمور التي أوضحتها هذه الدراسة ما يتعلق بالأبعاد الثقافية التي كان عليها البدو بعد مرحلة التوطين إلى جانب توضيح ما أُطلق عليه بالآليات التي اسُخدمت في عملية التوطين.

٧-دراسة أحمد الجار الله جار الله في عام (٢٠٠٢).

جاءت الدراسة في (٣٥) صفحة تحت عنوان "هجر الملك عبد العزيز جذور النظام الحضريّ السعوديّ المعاصر" وتندرج في تخصصها إلى العمارة والتخطيط. وتكمن الأهمية في هذه الدراسة في محاولة تحليل البناء العدديّ للهجر وكذلك أحجام سكانها وتحديدًا خلال الفترة من عام (١٩٣٢) إلى عام (١٩٩٦). وبصدد نتائج هذه الدراسة لاسيما فيما يتعلق بخصائص الهجر الوظيفيّة، فلقد أوضحت الدراسة أن الهجر التي أنشأها الملك "عبد العزيز" هي مستوطنات حضرية، حيث يعمل سكانها في أنشطة غير زراعية كالتعليم والتجارة والوظائف العسكرية والأمنية (أحمد الجار الله جار الله، ٢٠٠٢: ٣١). والحقيقة أن تلك الخصائص أو الوظائف تتدرج بقوة على جملة "الهجر" التي تأسست بعد عام (١٩٣٢) أكثر من كونها تتدرج على جملة "الهجر" التي تأسست قبل عام (١٩٣٢). وفي إطار الاستفادة، اعتمد الباحث على هذه الدراسة.

٨-دراسة كمال حمادي الخاروف في عام (٢٠١٥).

جاءت الدراسة في (٣٨) صفحة تحت عنوان "الدور العسكريّ الأمنيّ في نجد (١٩١٢-١٩٣٢) وتندرج في تخصصها إلى علم التاريخ. وتكمن أهميتها في سعيها إلى توضيح أن الهجر إلى جانب وظائفها المختلفة كانت بمنزلة مجموعة من القواعد الأمنية أسهمت في توحيد أكبر قدر ممكن من أراضي "شبه الجزيرة العربيّة".

وفضلًا عن الدراسات السابقة هناك العديد من الدراسات الأخرى التي تضمنت في أحد محاورها الإشارة إلى عمومية "الهجر" أو ناقشت عملية التوطين على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة".

الدراسات غير المباشرة :

(التي ارتبطت بمضمون التغيير والاستيعاب في عمومية المجتمعات الجديدة)

١ –دراسة "**بروس**" "**Bruce**" و"**ماتيو**" "**Matthew**" في عام (٢٠٠٤)، وجاءت تحت عنوان: **"Geography and segmented Assimilation: examples from New York Chines"**

حاولت هذه الدراسة مناقشة الكيفية التي استطاع مجموعة من المهاجرين استيعاب مدخلات تنمويّة جديدة لم يشهدوها من قبل (Bruc.N and Matthew.F, 2004:12).

٢ –دراسة "**كلوديا**""**Claudia**" و"**رنير**" و"**Rainer**" في عام (٢٠٠٦)، وجاءت تحت عنوان: **"Reactive Ethnicity or Assimilation? statements, arguments, and first Empirical evidence for labar migrants in Germany"**

وتهدف الدراسة في المقام الأول إلى تحديد المدخلات التي تؤثر في العمال المهاجرين إلى " ألمانيا". فهل هي مدخلات تعتمد على خصائص العمال العرقية، أم على مدى قدرتهم الاستيعابية؟(Cladia.D and Rainer.S, 2006,790–795).

٣ –دراسة "**إيرول ألكر**" "**Erol Ulker**"فى عام (٢٠٠٨)، وجاءت تحت عنوان: **Assimilation,security and Geographical nationlization in iterwar Turkey: the settement law of 1934.**

تكمن أهمية هذه الدراسة في توضيح عملية استيعاب القرارات أو عدم استيعابها (سواء أكانت تتعلق بمجالات التنمية أم النواحي الأمنية)، وأثر ذلك في المجتمع بوصفه بنية مترابطة من المفترض أن تتسق نظاميتها التعايشية مع خصائص هذه القرارات. والحقيقة أن قيمة هذه الدراسة تنسحب على المجتمعات التي تتدافع إليها مقاصد التغيير، دون اعتبار لفعل الزمن (**Erol.u,2008:7–9**).

٤ –دراسة "**كارولين ناجل**" "**Caroline Nagel**"فى عام (٢٠٠٩)، وجاءت تحت عنوان: **.Rthinking Geograhies of Assimilation**

وتكمن أهمية "**كارولين ناجل**" **في** إيضاح أن الجغرافيين يجب أن ينظروا إلى عملية الاستيعاب ليس بعدّها نوعًا من الأنماط المكانيّة وحسب، ولكن يجب أن ينظروا إليها بعدّها نوعًا من شروط عضوية الفرد المجتمعيّة. (Caroline,N,2009:400-407)

٥-دراسة "**وليام ستيلس**" "**William Stiles**"، و"**وليام سلوان**" "**William Sloan**" **في** عام (٢٠١٠)، وجاءت تحت عنوان:

Assimlation of Problematic Experiences.

وبعيدًا عن مرامى الدراسة المختلفة، فهي تهدف في المقام الأول إلى اقتراح نموذج منهجي لإيضاح خطوات عملية الاستيعاب. والحقيقة أن هذا أمرٌ مهم، وتكمن أهميته في محاولة ضمان تمرير عملية الاستيعاب التنمويّ في خطوات من شأنها أن تعين إلى بلوغ غايات محددة (William,s and William,S ,2010: 462-465). ولقد كان لهذه الدراسة دورًا في بناء نموذج الفكر التنمويّ المقترح الذي سيتضح من خلال توصية الدراسة.

٦ - دراسة "**جلين روزير فورد**"" **GlenRuther Ford**"فى عام (٢٠١١)، وجاءت تحت عنوان:

A model of Assimilation and Accommodation in Cognitive and cultural realms.

ولعل أهمية تلك الدراسة تكمن في خاتمتها التي أوضحت أن عملية الاستيعاب المعرفيّ تتلازم تمامًا مع جملة العمليات التي يقوم بها الفرد في إطار بيئته (Glen, R F,2011:7) (ولعلها بذلك كانت تعني حيزه الجغرافيّ الذي يتعايش فيه وبه).

٧-دراسة "**ريتشارد هويت**""**Richard Howitt**"، و"**كيم دوهان**" "**Kim Doohan**" **في** عام (٢٠١٣)، وجاءت تحت عنوان:

Intercultural Cpacity deficitsi contested Geographies of Coexistence in natural.

بالفعل يمكن القول: إن دراسة "**ريتشارد** " و"**كيم**" تمثل إحدى الركائز الأساسية في مدخلات دراسة "الهجر"؛ كونها تركز على التعايش، والتنافس، والنزاع الذي يصاحب مقاصد التغيير في إدارته للموارد الطبيعية. ولعل من أبرز النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة، أن نظام التعايش في أثناء التغيير يحتاج إلى إدارة مجموعة من الإمكانات التي تتخطى عمل المؤسسات الاعتيادية (Richard,H and Kim,D,2013:130-135).

مصادر الدراسة وخطواتها:

إلى جانب الاعتماد على بعض من الدراسات البحثية التي جاءت في إطار العنصر السابق تحت الدراسات السابقة، استُقيت الدراسة من مصدرين رئيسين وفق خطوتين شملتا (٤) مراحل تتمثل على نحو ما يأتي.

١ -الخطوة الأولى: (المصادر غير المباشرة).

المرحلة الأولى: الاطلاع على جملة من المصادر والمراجع التي تتعلق بتاريخيّة "شبه الجزيرة العربيّة" ولاسيما خلال الفترة من عام (١٩٠٢) إلى عام (١٩٣٢). وبصدد هذه المصادر والمراجع فيمكن تقسيم إصدارها إلى فترتين رئيستين، الأولى: قبل عام (١٩٥٠) ويتمثل بعضها في دراسة "شارلز دوتى"، و"جون فلبى"، و"أمين الريحانيّ"، و"حافظ وهبة"، و"رونكير"، والزركلي"، و" ويلفريد ثيسجر "، و"بلنج"، و"ديسكون". أما الفترة الثانية: ما بعد عام (١٩٥٠) فتتمثل في دراسة" فؤاد حمزة"، و"دون حبيب".

المرحلة الثانية: الاطلاع على مجموعة التقارير المختصة بمجموعة من المخاطبات الرسمية بين المندوبين البريطانيّين في "شبه الجزيرة العربيّة" من ناحية، وبين المندوبين البريطانيّين في "شبه الجزيرة العربيّة" والمندوب البريطانيّ في "مصر" من ناحية أخرى. ولقد أوضحت بعض من هذه التقارير العديد من الأمور المهمة التي كانت عليها عمومية الحالة السياسيّة في "شبه الجزيرة العربيّة" بالإضافة إلى محاولة تقييم تجربة تأسيس "الهجر" ودورها في إكساب الإمام "عبد العزيز بن سعود" مزايا تفاوضية في

إطار ما كانت تشهده "شبه الجزيرة العربيّة" من فوضى ناجمة عن الفراغ السياسيّ آنذاك.

٢ –الخطوة الثانية (المصادر المباشرة /خلال عام ٢٠١٧).

وخلال تلك الخطوة أمكن ما يأتي:

المرحلة الأولى: زيارة بعض قرى "الهجر" التاريخيّة التي تم تأسيسها في الإطار المكانيّ لقبيلة "حرب". وما يجب التنوية عنه أن هذه القرى تم تأسيسها بعد عام (١٩٣٢) وتحديدًا في منطقة "دير النجف". ولعل من أبرز ما تم الاستماع إليه خلال هذه الزيارة من بعض شيوخ إحدى قرى هذه الهجر الذين تشتملهم اللوحة رقم (١) ما يأتي:

اللوحة رقم (١): أحد اللقاءات التي جمعت الباحث مع بعض مشايخ دير النجف

"معلوم يا دكتور (تدري) طال عمرك المشكلة عندنا (ايش)؟ إن الناس والبذور (الأولاد الصغار)، والدول بتتغير في ٢٠٠ سنة وأحنا عملنا اللى يسير يتعمل في الـ (٢٠٠) في (٣٠)[١] سنة. عشان كده طلع جيل لا يدري بعض شبابه ويش اللى (بمعنى ما) المفروض يتعمل، طلع لا يدري ما يفعله، طلع أول ما حط رجله ركب سيارة "الليكزس

[١] يمكن القول: إن قوة أسباب التغيير بوصفها رغبة احتياجية على مستوى "المملكة العربية السعودية"، أقوى من نتائج الجغرافيات الناجمة عن التغير بوصفها تراكمات زمنية؛ ومن ثم فأسباب التغيير دائمًا تسبق نتائج جغرافيات التغير، فتجعلها في إطار جغرافيات الماضى. وبناءً على ذلك جاءت الدراسة في إطار الجغرافيا التاريخية لا بدافعية تراكم الزمن، وإنما بدافعية مقاصد التغيير التي تستبق الزمن.

"(سيارة تتجاوز في رفاهيتها سيارة التويوتا كورلا والكامري المنتشرتين من حيث الاستخدام على مستوى المملكة العربيّة السعوديّة في عام ٢٠١٥)، فتريده يتعلم علشان يركب (ايش) تاني؟ تعرف يا دكتور جماعتنا هتتغير مِتى؟ لو الجيل اللي طالع عرف المشكل وين، عرف قد ايش أحنا تعبنا وأد ايش ما كان فيه أرزاق، والجيل اللي طالع ده أبغاه يتعب علشان يعرف قيمة الأرزاق"(أبو محمد، ديرة النجف:٤/١/٢٠١٧).

المرحلة الثانية: زيارة بعض قرى "الهجر" التاريخيّة التي تم تأسيسها في الإطار المكانيّ لقبيلة "مطير" والتي تم تأسيسها أيضًا بعد عام (١٩٣٢) [(١)]. وفي حقيقة الأمر فإن هذه الزيارة تحديدًا كان لها واقع مختلف عن زيارة قرى "الهجر" في المرحلة الأولى؛ نظرًا لأنه تم ملاحظة خلال هذه الزيارة أن العديد من قرى "الهجر" مازالت تحتفظ بالعديد من خصائصها التي كانت عليها عند التأسيس. وفي إطار العموم فلقد استحضر الباحث في أثناء هذه الزيارة آراء "غوستاف لوبون" عن البدو وتحديدًا ما يتعلق بفطرتهم التي هم عليها هذا من ناحية، وبساطتهم التي يتصفون بها من ناحية أخرى. ولقد أُفرد لهذه البساطة العديد من المناقشات التي ارتبطت بجدوى التغيير. وعلى نحو ما يتضح من خلال المرحلتين السابقتين فإن زيارتهما جاءت في إطار قرى "الهجر" التي تأسست بعد عام (١٩٣٢) على الرغم من أن الفترة الزمنية للدراسة من عام (١٩١٢) إلى عام (١٩٣٢). والحقيقة أن جميع قرى "الهجر التي تم تأسيسها خلال هذه الفترة أضحت واقعًا تراثيًا تاريخيّا أكثر من كونها واقعًا عمرانيّا جغرافيًا.

---

(١) في الحقيقة هناك نقطة جديرة بالذكر تتعلق بإيضاح أن ثمة فرقًا بين قرى "الهجر" التي تم تأسيسها قبل عام (١٩٣٢) وقرى "الهجر" التي تم تأسيسها بعد عام (١٩٣٢). فالتي تم تأسيسها بعد عام (١٩٣٢) تتوافق تراكيبها مع الخصائص التي أضحت عليها "المملكة العربية السعودية" بعد تأسيسها في عام (١٩٣٢)؛ ومن ثم أصبحت الجزء الخاص من الجزء العام الذي يتوافق مع خصائص المملكة ذاتها، والعديد من هذه القرى لا يزال قائمًا حتى وقتنا هذا. أما قرى "الهجر" التي تم تأسيسها قبل عام (١٩٣٢) فتتوافق تراكيبها مع معطيات الخصائص التي كانت تتطلبها "شبه الجزيرة العربية" آنذاك؛ ولاسيما المعطيات السياسية؛ ومن ثم فإن تراكيبها كانت بمنزلة الكل العام؛ حيث "الهجر" ذاتها في الكل العام وحيث منطقة "نجد" في "شبه الجزيرة العربية". ومن الجدير بالذكر أن النسبة الأكبر من هذه "الهجر" أضحت بقايا تراثية في إطار من الحماية الثقافية.

منهجية الدراسة وأساليبها التحليلية:

نعم ... فكثير من الآراء انحرفت عن مسارها التاريخيّ الصحيح، وكثير منها لم يكن عن عمد؛ بل كان عن ضيق فهم نجم عن استدعاء حدث بآخر أو بمضاهاة زمن مضى بآخر تعايشيّ. وفي إطار ذلك، فالحقيقة التاريخيّة لا تتجلى إلا عندما يتسق الظاهر المعلن للحدث مع باطنه الخفيّ. ولأن الحدث التاريخيّ لا يُستدل عليه، إنما يُسرد حتى يُستدل عليه؛ فلقد اعتمدت الدراسة على المناهج والأساليب الآتية:

١ –مناهج الدراسة.

المنهج التاريخيّ: اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخيّ، والحقيقة أن جوهر الاعتماد هنا لم يأت في صورة من التتابع الزمني فترة بعد أخرى إنما جاء في إطار محاولة بناء الأحداث التاريخيّة لقرى الهجر بعدّها مجموعة من المحلات العمرانيّة اتصفت بمجوعة من الأبعاد السكانية، والعمرانيّة، والوظيفيّة بصفة عامة. ومن ثم كانت عملية إعادة بناء ال ماضي **"The Process of Reconstruting the Past"** بمنزلة السبيل الضامن لتحقيق أهداف الدراسة.

المنهج الاستدلالى: وفي إطار عملية إعادة بناء ال ماضي كان من الضروريّ الاستعانه بالمنهج الاستدلالى والذى يعد بمنزلة الداعم الحيوى الذي أكسب الدراسة قوة الدفع للانتقال من حدث تاريخيّ إلى آخر كونه اتاح إمكانيّة الانتقال من المعرفة الجزئية الذاتيّة حيث خصائص "الهجر" إلى المعرفة الكلية حيث منطقة "نجد" ومن بعدها "شبه الجزيرة العربيّة" في رباط واحد لا ينتظم به إلا من تثبت صحته التاريخيّة. وبناءً على ذلك اتاح المنهج الاستدلالى الحكم على مدى دقة الحدث التاريخيّ وذلك بمقارنته، وربطه، واتساقه بالحدث الذي يليه.

٢ –أساليب الدراسة.

تعد الأساليب التحليلية دعامة تحقيق المناهج المستخدمة في الدراسة. وفي إطار ذلك اعتُمد على "**الأسلوب التحليليّ الاستدلاليّ النقديّ**" ومن خلاله أُخضعت العديد من الأحداث التاريخيّة لمبدأ العلاقات السببية أم التأثيرية بوصفها محاولة للوقوف على مدى صحة الحدث أو حتى للاقتراب من مستوى مقبول من الصحة. كما

اعتُمد على "**الأسلوب التحليليّ الاستدلاليّ التقييميّ**" ومن خلاله أُخضعت العديد من الأبحاث التاريخيّة لمبدأ الواقعية بوصفها محاولة للحكم على مدى توافق الحدث التاريخيّ أو تجاوزه للواقع الذي من المفترض أن يكون عليه؛ ومن ثم يمكن القول: إن هذين الأسلوبين كانا بمنزلة الداعم الرئيس في تحري صحة العمل بالمنهجين السابقين في إطار بنية كلية تبتغي الدقة.

معالجة الدراسة:

سعيًا إلى تحقيق أهداف الدراسة جاءت المعالجة في إطار من البناء التتابعيّ الشرطيّ حدثًا دافعًا لحدث، أو حدثًا لاحقًا نتيجة حدث سابق، أو محورًا بعد محور. وبناءً على ذلك كان لابد من محاولة التعرف إلى خصائص السكان في الهجر وعمومية اتجاهاتهم الوظيفيّة، ثم الانتقال بعد ذلك إلى دراسة إحدى "الهجر" بعدّها إحدى الثبوت التاريخيّة. وبإتمام ذلك كان لابد من التعرف إلى مراحل انتشار "الهجر" على مستوى منطقة "نجد" ودورها البنائيّ. وبإتمام ذلك كان لابد من الانتقال إلى ما كانت عليه "الهجر" من واقعية تعايشية، وذلك من خلال التعرف إلى أحد اتجاهاتها الوظيفيّة. ومن نتاج هذا كله يمكن التعرف إلى دور "الهجر" الوظيفيّ في تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة"

محاور الدراسة:

وبناءً على خطوات المعالجة، فقد شملت الدراسة مجموعة المحاور الآتية:

المحور الأول:	**الأحيزة الجغرافية الهجرية، والمدخلات السكانية ...والدلالات الاسمية ... والاتجاهات الوظيفيّة.**
المحور الثاني:	**هجرة الأرطاوية النسب الأسمى ... والثبت التاريخيّ دراسة بنائية تطبيقية.**
المحور الثالث:	**هجرة الأرطاوية ... القالب السكانيّ ... والانتشار المكانيّ.**
المحور الرابع:	**الأحيزة الجغرافية الهجرية ... والقواعد البنائية ... والتوزيعات المكانيّة ... والأنوية التنمويّة.**
المحور الخامس:	**الأحيزة الجغرافية الهجرية والأبعاد التوظيفيّة.**
المحور السادس:	**الأحيزة الجغرافية الهجرية ومدخلات تأسيس المملكة العربيّة السعوديّة .**

كما شملت الخاتمة، والنتائج والتوصيات.

المحور الأول :

الأحيزة الجغرافية الهجرية

المدخلات السكانية ...الدلالات الاسمية ...الاتجاهات الوظيفيّة

لا مغالاة تفوقية أو مزايدة معرفية في القول: إن "الهجر" أو "الأحيزة الجغرافية الهجرية"[١] هي خطوة التحضر الأولى في تاريخ "شبه الجزيرة العربيّة" الحديث. وفي إطار ذلك يشير "عمر الفاروق" إلى أن نتائج "الهجر" تعد مرحلة تاريخيّة بارزة في تاريخ "شبه الجزيرة العربيّة" أدت إلى إيجاد مراكز حضارية تتفق مع مقتضيات العصر (عمر الفاروق،١٩٨١: ٤٠). وفي إطار ذلك أوجدت "الأحيزة الجغرافية الهجرية" سلوكيات ذاتيّة ووظائف تعايشية لم تشهدها العديد من الأمكنة على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة" خلال فترة التاريخ الحديث. ولا مغالاة توجيهية أو عصبية نسبية في القول: إن "الأحيزة الجغرافية الهجرية" أوجدت نظامًا اجتماعيًا واقتصاديًا، وسياسيًا مختلفًا تمامًا عن عمومية الفوضى التي كانت سائدة في إطار "شبه الجزيرة العربيّة" خلال الفترة من عام (١٩٠٦) إلى عام (١٩١٢) (لودر ديفى،١٩٢٥: ٦١-٧٣). وإذا كان العديد من الدارسين يعدون أن دخول الملك "عبد العزيز بن سعود" إلى "مكة المكرمة" (مكة المكرمة لا ترجح أحدًا على أحد إنما يُنصر بها أحد على أحد) في عام (١٩٢٧) هو حدث تأسيس الدولة السعوديّة (الثالثة) فإن هذا هو الظاهر، في حين أن الحقيقة أن لهذا التأسيس مدخلات استباقيّة حدثت قبل ذلك، وتحديدًا بداية من عام (١٩١٢) حيث شهد هذا العام التطبيق الفعليّ لرؤية الإمام متمثلًا في تأسيس هجرة "الأرطاوية". ولقد جاءت رؤية التأسيس الاستباقيّ في فترة تاريخيّة كانت تموج بمقدمات حرب عالمية -الحرب العالمية (الأولى) من عام (١٩١٤) إلى عام (١٩١٨)- لم يكن مسارها قد تحدد بعد، وفي إطار هذا التموج لم يكن ثمة مجال للعون الخارجيّ

[١] يتغير الوسط الطبيعيّ أو البيئيّ إلى حيز جغرافيّ بفعل مقاصد المجتمع، ولا تعني عملية التغير هذه توقف الحيز الجغرافيّ وانتهائه إلى حالة معينة من السكون بقدر ما تعني اقتران هذا الحيز بفعل تنظيميّ في إطار زمني محدد.

المنصرف بأنظاره عن قلب "شبه الجزيرة العربيّة" –آنذاك– والمتحري لأطرافها وحسب؛ كونها جزءًا من إطار الفراغ السياسيّ الناجم عن ضعف الدولة "العثمانية". ولعل ذلك ما ذهب إليه "كينيث" "**Kenneth**" في دراسته التي جاءت تحت عنوان: "**Ibn Sa'ud : the Puritan king of Arabia**" (**Kenneth,1933:81**).

ولقد استخدم "كينيث" "**Kenneth**" عبارة **"Asystem Out of Chaos"** **في** عام (١٩٣٣) لتشخيص الحالة السياسيّة التي كانت عليها "شبه الجزيرة العربيّة" من ناحية، وما يُنتظر أن تُسفر عنه هذه الحالة من الفوضى الخلاقة من ناحية أخرى؛ ومن ثم فإن جوهر كتابه كان معنيًا بمدى إمكانيّة إيجاد نظام سياسيّ في إطار عمومية الفوضى السائدة على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة" آنذاك.

في إطار هذا كله كان لزامًا وجود رؤية استباقيّة يُسعى من خلالها إلى الإثبات الذاتيّ وبلوغ النجاح الداخليّ. ولم يكن السبيل سوى جملة من الأنوية الوظيفيّة يمكن من خلالها تحقيق ذلك، وهذا كان في جوهره الأمر الشرطيّ والحقيقة الواضحة في شرطية السلطة.

وفي إطار ذلك تكمن رؤية الإمام "عبد العزيز بن سعود" ومدى إدراكه للاتجاه الصحيح في فترة لم تكن تحتمل إلا النجاح (لم تكن هناك إمكانيّة ورفاهية لقبول الخطأ أو حتى التصحيح)، وليس مآل الدولتين السعوديّتين (الأولى) و(الثانية) عن ذلك ببعيد. ومن ثم فلقد أدرك الإمام "عبد العزيز بن سعود" الضرورة التي اقتضت إدراك أن وجودية التأسيس لم تكن تعني السلطة فوق المكان، بقدر ما كانت تعني الكيفية التي يمكن من خلالها ضمان ديمومية السلطة فوق المكان، وبأكثر دقة لم تكن تعني سوى الكيفية التي يمكن من خلالها استنهاض جملة من "الأحيزة الجغرافية الهجرية" أو ما يمكن أن نطلق عليه استنهاض جملة من "**الجغرافيات الاستباقيّة**" في بنية سلطنة "نجد" وملحقاتها ومن بعدها الجزء الأكبر في "شبه الجزيرة العربيّة" التي كانت تتصف بدورها بعدم الاستقرار.

وفي إطار هذا كله تكونت جغرافيات الهجر في ظل مدخلات سكانية، ودلالات اسمية، واتجاهات وظيفيّة يمكن التعرف إلى خصائصها على ضوء ما يأتي:

أولًا – الأحيزة الجغرافية الهجرية والمدخلات السكانية.

هل التغيير من أجل بلوغ غايات محددة يحتاج إلى خصائص سكانية معينة أم أن مدخلات التغيير تستطيع بناء خصائص سكانية يمكن من خلالها بلوغ غايات محددة؟

وبشأن الهجر وعلاقاتها بالإجابة عن هذا السؤال، وبشأن "البدو" الذين سيستقرون في "الهجر"، وبشأن عمومية خصائصهم التي هم عليها قبل عملية الاستقرار، وبشأن إمكانيّة توجيههم وظيفيًا لتحقيق غايات محددة؛ فإن للإجابة عن السؤال السابق صور عديدة استقت منها المعالجة جملة من الآراء تصب جميعها في محاولة فهم خصائصهم التي كانوا عليها قبل الاستقرار وذلك على نحو ما يأتي:

١ – غوستاف لوبون في عام (١٨٨٦) [(١)].

أورد "غوستاف لوبون" جملة من الآراء عن "العرب" و"البدو" في "شبه الجزيرة العربيّة"، يمكن القول: إنها تحمل بين طياتها ما قد يؤدي إلى الاضطراب، ذلك الذي لا يتعلق بالمضمون (أبدًا)، بقدر ما يتعلق بالاتجاه الذي تسير فيه آراؤه، حيث يصعب معرفة ما هو الغالب عليها. وليس أدل على ذلك بأنه دعم آراءه عن "العرب" والبدو، بآراء ممن سبقوه واختلفوا عنه، ومنهم "ديودر الصقليّ" (القرن الأول قبل الميلاد)، و"هيرودوت" (القرن الخامس قبل الميلاد)، و"لاري"، "وهيردر"، و"ديفرجه"، و"بلغريف" (القرن التاسع عشر). وفي إطار ذلك، فإن جملة آرائه عن "العرب"، و"البدو" في "شبه الجزيرة العربيّة" إنما تعبر عن واقعية تختص بذاتيّة رؤيته في مرحلة زمنية معينة، ولا يجوز التعدي عليها إلا من خلال النقد البناء. وفيما يتعلق بآرائه فهي تمثل أحد المدخلات التاريخيّة للوقوف على خصائص "البدو" بعدّهم سكان "الهجر" التي سيتم

(١) تُوَفِّي "غوستاف لوبون" في عام (١٩٣١)، أي: قبل العام الذي توحد فيه الجزء الأكبر من "شبه الجزيرة العربية" وشهد نشأة "المملكة العربية السعودية بعام واحد. وفي لمحة استفسارية، هل إذا أطال الله في عمره لعقد آخر كان سيبقى على جملة آرائه التي شملها كتابه "حضارة العرب" أم كان سيعتكف عليها بالتغيير.

تأسيسها؛ كونها الأقرب إلى عمومية زمنية الإمام "عبد العزيز بن سعود" بما ارتكزت عليه من مدخلات الجغرافيات التي أدت إلى نشأة الدولة السعوديّة الثالثة في عام (١٩٣٢). وفي إطار آراء "غوستاف لوبون" بشأن العرب والبدو، فبعضها تختزله الفقرات الآتية:

"إن الفارق الأساسيّ الوحيد بين العرب هو ما أيدته تقاليدهم وطُرق معايشهم، وهو تقسيمهم إلى حضر وأهل بدو، ويجب ألا يغيب هذا التقسيم الجوهريّ عن البال حين البحث في تاريخهم. فأما البدو وهم الأعراب، فلهم طُرق معايش وعادات وطبائعُ لا تزال كما كانت عليه من آلاف السنين. ويحتمل أن تبقى هكذا إلى الأبد، وهم مقسمون إلى قبائل ترتحل عن الأماكن المقيمة بها عندما تستنفد مواشيهم ما عليها من الكلأ، وأما أهل الحضر من العرب فهم -على العكس- يتغيرون بتغير الأماكن والشعوب التي يخالطونها.

ويُقَسَّم أهل البدو (الأعراب) من العرب إجمالًا إلى قبائل كثيرة مُوزَّعة في أطراف الأراضي الخصبة القريبة من البادية، وتقيم القبائلُ بمضارب وخيام تُنقل من مكان إلى آخر عند الضرورة.

ويتألف من الأعراب، الذين يَظُن الكثيرون أن جزيرة العرب لا تشتمل على غيرهم، عِرق (....) (كلمة تفيد الخشونة) بعيد عن التمدن عاطلٌ من أي تاريخ، ونحن إذا استثنينا الدين نرى أنه لم يتبدل فيهم شيء من آلاف السنين، وعلى من يود أن يعرف ما كانوا عليه منذ ثلاثة آلاف سنة أن ينظر إلى حاضرهم، وهم الذين قدِّر عليهم ألا يتحوَّلوا.

ويستخف الأعراب بسلطان الحضارة، وهم يُفضَّلون عليها عَيْش البادية، وهذه المشاعر الموروثة التي ترى مثلها عند هنود أمريكية/ "وعندي أهل البدو من العرب، مع بقائهم على الفطرة وعدم تحولهم قيدَ أُنملة عن الحال الابتدائية التي كانوا عليها منذ أقدم العصور أفضلُ من جميع أمم الرعاة في العالم، وقد أتيح لي أن أحادثهم، فظهر لي أن مبادئهم في الحياة تعدلُ مبادئ كثير من الأوروبيين العريقين في الحضارة، وسنرى أن الأعراب (.....) (كلمة تفيد الشِدّة) بعاداتهم شعراءُ بتصوراتهم، وينذر أن يكون الأعرابيُ غيرَ شاعر.

والحقُّ أن الأعرابيّ (.....) (كلمة تفيد الغلظة) نكيّ لم يصعد درجة في سُلّم الحضارة منذ آلاف السنين، ولم يُعانِ ما عاناه الرجل المتمدن من التحول المتراكم بتوال الأجيال، وإذا صحَّ ما نعتقده من أن اختلاف السجايا يكفي لوجود فروق بين الناس أمكننا أن نقول: إنه يتألف من العرب المتحضرين

والأعراب عرقان تَفصل بينهما هُوَّة عميقة (غوستاف لوبون، ٢٠١٢: ٧١-٧٩). هذا جزء من فيض ما أورده "غوستاف لوبون" بشأن "العرب" من ناحية، و"البدو" من ناحية أخرى. وعرضه هنا لا يعبر عن وجهة النظر التي ستشتملها الدراسة إنما جاءت لتعكس في جزء منها ما كان متعايشًا به حتى ممات "غوستاف لوبون" في عام (١٩٣١). وبناءً على آراء "غوستاف" يمكن تقسيم تقسيم الجزيرة العربيّة في بداية القرن العشرين إلى ثلاث شرائح اجتماعية، حُددت بفواصل من الفجوات الحضرية، في إطار أصولية طبيعية وتتمثل في شريحة "الأحساء"، وشريحة "نجد"، وشريحة "الحجاز" وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٣).

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية أُستيقت من آراء غوستاف لوبون.

الشكل رقم (٣): الشرائح الاجتماعية في الجزيرة العربيّة في بداية القرن العشرين

ولعل هذا ما أيده "جون حبيب" في قوله: **"كانت ألف ميل تقريبًا من الصحاري تفصل بين الأحساء على الساحل الشرقيّ والحجاز، وهذه المسافة – من وجهة نظره – هي التي أدت إلى تخليد الخبرات التاريخيّة والدينية المختلفة لسكان هذه المناطق. وعلى الرغم من أن الأحساء تجاور "نجد" من**

الناحية الجغرافية فإن فجوة سحيقة من الغطرسة القبلية والدينية المتبادلة كانت تفصل تمامًا بين سكانها، شأنها في ذلك شأن الصحراء التي كانت تفصل بين كل من الحجاز والمنطقة الشرقيّة (يقصد نجد)".

وبناءً على آراء "غوستاف" فإنه رجح ألا تتغير طرق معايش "البدو" وعاداتهم وطبائعهم عما كانت عليه من آلاف السنين. وفي ظل ترجيحه فإن الإجابة عن السؤال الرئيس في هذا العنصر أن خصائص سكان "البدو" لن تفيد التغيير وإن محاولة التغيير في خصائصهم لن تكون لها أي منفعة.

٢ – الإمام عبد العزيز بن سعود (١٩١٢).

وبصدد آراء الإمام "عبد العزيز بن السعود" ورؤيته التي انتهجت التغيير يمكن التعرف إلى أبعادها من خلال قوله: "**أما وإن القبائل البدويّة هي سلسلة الدولة الفقرية وعمادها وسندها – نُكرت هذه العبارة قبل تأسيس الهجر في عام (١٩١٢)- فلا مناص من ربطها بالأرض ربطًا محكمًا وتحكيم صلاتها بها، ولا مناص من إرغام هؤلاء البدو على قبول التعليم، وهذا يحتم إحداث تبديل جوهريّ في عادات رجال البادية بحيث لا يفكرون في الغزو بل يحصرون تفكيرهم في حراثة الأرض**" (حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٥: ١١).

وبصدد رأي الإمام "عبد العزيز بن سعود" فالقول: إنه كما كان يدرك غايته فإنه كذلك كان يدرك خطواته التنفيذيّة التي لم يستطع "غوستاف" أن يدركها ليس لأنه غير عربيّ؛ بل لأنه لم يدرك الكيفية التي من خلالها تتحقق الخطوات وبأكثر دقة، والمدخلات التي يجب أن تتصف بها الخطوات التنفيذيّة في سبيل تحقيق الغاية. ولعل هذا ما أوضحه "الريحانيّ" في عبارة دقيقة بقوله: "**فلقد تجلت لعبد العزيز الحقيقة التي خفيت على سواه. وهذه الحقيقة هي أن البدو لا يثبتون، ولا يطيعون، ولا يخلصون لأنهم لا يملكون شيئًا من الأرض، ولا يسكنون بيوتًا ثابتة؛ إذن، سنعطيهم أرضًا ونساعدهم في بناء البيوت. سننقلهم من البادية إلى المدينة. سنقيدهم بالأرض، ونكبلهم بسلاسل التملك فننفعهم، وإذا أذنبوا نستطيع تأديبهم**" (أمين الريحانيّ، ١٩٢٧: ٢٦٠-٢٦١).

وبناءً على رؤية الإمام "عبد العزيز بن سعود" فإن الإجابة عن السؤال الرئيس في هذا العنصر أن مدخلات التغيير تستطيع بناء خصائص سكانية يمكن من خلالها بلوغ غايات محددة.

٣ –أمين الريحانيّ في عام (١٩٢٧).

وفي فترة زمنية معاصرة لعملية التوطين وفى ضوء آراء "الريحانيّ" التى يمكن الإطلاع عليها من خلال كتابه الذى جاء تحت عنوان " **نجد الحديث وملحقاته وسيرة عبد العزيز عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز**"[١] (أمين الريحانيّ، ١٩٢٧: ٢٥٨–٢٦١).

وبناءً على آراء "الريحانيّ" فقد يُظن أن ثمة تناقض بينها، والحقيقة أن بنية آرائه بصدد "البدو" تكاد تسير في اتجاه واحد لا عوج فيه. فعلى الرغم من كونها صيغت في ثلاث فقرات غير متصلات فإنها جميعًا يشتملهم رباط دقيق يجمع بين الاعتزاز بالذات وبين الولاء، يجمع بين طلب الراحة وطلب الجهاد، يجمع بين التقدم وبين التقهقر، يجمع بين دفاعه عن بعيره حتى الممات وبين تمرده إذا زادت عليه الضغوط. وفي ظل تناقضات هذا الرباط تكمن عبقرية الإمام "عبد العزيز بين سعود" الذي تمكن من توجيه هذه التناقضات كافة حتى بات كما وصفه "الريحانيّ" "**المصلح الأكبر في العرب**". وبناءً على آراء "الريحانيّ" فإن الإجابة عن السؤال الرئيس في هذا العنصر أن مدخلات التغيير تستطيع بناء خصائص سكانية يمكن من خلالها بلوغ غايات محددة.

٤ –بنواميشان في عام (١٩٧٦).

وبصدد آراء "بنواميشان" فيمكن التعرف إليها من خلال ما يأتي: "**أن البدو متموجون ، متحركون من الضحك إلى البكاء، ومن البشاشة إلى الغضب، ومع هذا فهم عاجزون عن القيام بجهد مستمر طويل. يغيرون رأيهم في تقلب، ينتجون قليلًا ويدمرون كثيرًا، لا يترددون في تغيير معسكرهم وهم في صميم المعركة، وفي محالفة الغالب لتدمير المغلوب، ويمكن القول: إن تقلبهم المفاجئ هو الذي**

[١] **يمكن الإطلاع على كافة تلك الآراء بمراجعة كتاب "نجد الحديث وملحقاته وسيرة عبد العزيز عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز" وتحديدًا من صفحة ٢٥٨ إلى صفحة ٢٥٨.**

أطال الحرب في بعض المعارك، وكان ميلهم للتفرق بعد كل معركة هو الذي جعل العمليات العسكرية لا تصل أحيانًا إلى نتائجها الحاسمة" (بنواميشان، ١٩٧٦: ٢٦٧). وبناءً على ذلك فلقد جاءت آراء "بنواميشان" لتوضح أن "البدو" تشتملهم خصائص، رباطها التناقض وبناءً على ذلك فإن الإجابة عن السؤال الرئيس في هذا العنصر أن مدخلات التغيير لن تستطيع بناء خصائص سكانية يمكن من خلالها بلوغ غايات محددة.

والمحصلة، كان لا بد للأحيزة الجغرافية الهجرية (بوصفها غرسًا جديدًا)، من رباط لديه إمكانيّة تجاوز التناقض سعيًا إلى التوحيد، ولم يكن شيئًا أبلغ أثرًا من الرباط الوثيق بمبادئ الإسلام الصحيحة، ذلك العائل الذي ضمن لها إطار النضج على الرغم من الخلاف والاختلاف. وفي إطار هذا الأمر تحديدًا، هل العمل بمبادئ الإسلام الصحيحة هي التي أدت إلى التغيير الاجتماعيّ، أم اسُتخدمت هذه المبادئ لصناعة التغيير؟ والقول: إن هذا التغيير لم يكن ليحدث إلا بتطبيق استمد قوته من رسوخ العقيدة، وكانت الأحيزة الجغرافية الهجرية قد تكونت بالعقيدة، ولعل هذا وجهة نظر "مولن" "**Meulen**" الذي يرى أن الملك "عبد العزيز بن سعود" كان يغترف لبناء مشروعه الضخم بالاغتراف من ينابيع عدة، أهمها: ينبوع العقيدة **(Meulen,2000:41)**

ثانيًا – الأحيزة الجغرافية الهجرية والدلالات الاسمية.

تكونت "الهجر"، وأضحت واقعًا جغرافيًا في ظل توزيع دقيق، امتد أفقيًا وفق آلية كانت مشروطة بنتائج الأولين منها. وبهذا التكوين وبتلك النتائج بات لإقليم سلطنة "نجد" جغرافياته الواضحة في إطار هيمنة الدولة العثمانية التي كانت حدودها توصف بالاضطراب آنذاك وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٤). وبعبارة أخرى، بات لإقليم سلطنة "نجد" جغرافيات سياسيّة استباقيّة اعتمدت على استنهاض جملة من "الأحيزة الجغرافية" جاءت جميعها تحت اسم واحد مشترك هو "الهجرة".

وعلى الرغم من كونه اسمًا واحدًا، فإنه حُمل بالعديد من الدلالات الاسمية التي يمكن التعرف إلى بعض منها من خلال الآراء الآتية.

١ –أمين الريحانيّ في عام (١٩٢٧):

يرى "الريحانيّ" أن الهُجر جمع هُجرة، والهجرة في القاموس ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام. أما وطن البدو فالبادية، والبادية مهد الشرك، فالهجرة منها إذن هي الهجرة إلى الله والتوحيد، وهي
كذلك هجرة مدنية. فمن بيوت الشعر إلى بيوت من لبن وحجر، ومن الفقر والغزو إلى أرض لا تخون صاحبها إذا أعمل بها المحراث، ومن الخوف والتحذر إلى طمأنينة لا تهجره ما زال عاملًا مفيدًا لنفسه وبلاده. (أمين الريحانيّ،١٩٢٧: ٢٦١) .

٢ –حافظ وهبة في عام (١٩٥٦):

يرى "وهبة" أن "الهجر" أصبحت علمًا على سكان البادية الذين تركوا السكن في الخيام واستقروا في أماكن معينة، وبنوا بيوتًا من الطين سميت "هجرة " إشارة إلى أنهم هجروا الحياة القديمة المكروهة إلى حياة أخرى محبوبة (حافظ وهبة،١٩٥٦: ٢٩٣).

٣ – وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في عام (١٩٦٥).

تذهب وزارة العمل والشؤون الاجتماعية إلى أن "الهجر" لفظ مشتق من "الهجرة"، وهي تجمعات عمرانيّة تشير إلى ترك حياة الارتحال والتمسك بحياة الاستقرار (وزارة العمل والشيءون الاجتماعية، ١٩٦٥: ٤٢٤) .

٤ –جلال محمد كشك في عام (١٩٨١) :

يذهب "كشك" إلى أن كلمة "الهجر" مشتقة من "الهجرة"؛ اقتداء بهجرة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من مكة إلى المدينة، وتأسيًا بهجرة النبيّ محمد –صلى الله عليه وسلم– من مكة إلى المدينة. وتعد هجرة البدويّ رمزًا إلى انفصاله عن بداوته الماضية انفصالًا لا رجعة فيه. فالهجر جمع "هجرة" و"الهجرة" في القاموس، ترك

الوطن الذي بيد الكفار والانتقال إلى دار الإسلام. أما وطن البدو البادية، والبادية مهد الشرك، فالهجرة منها هي الهجرة إلى الله والتوحيد (جلال محمد كشك، ١٩٨١: ٥٥٥)

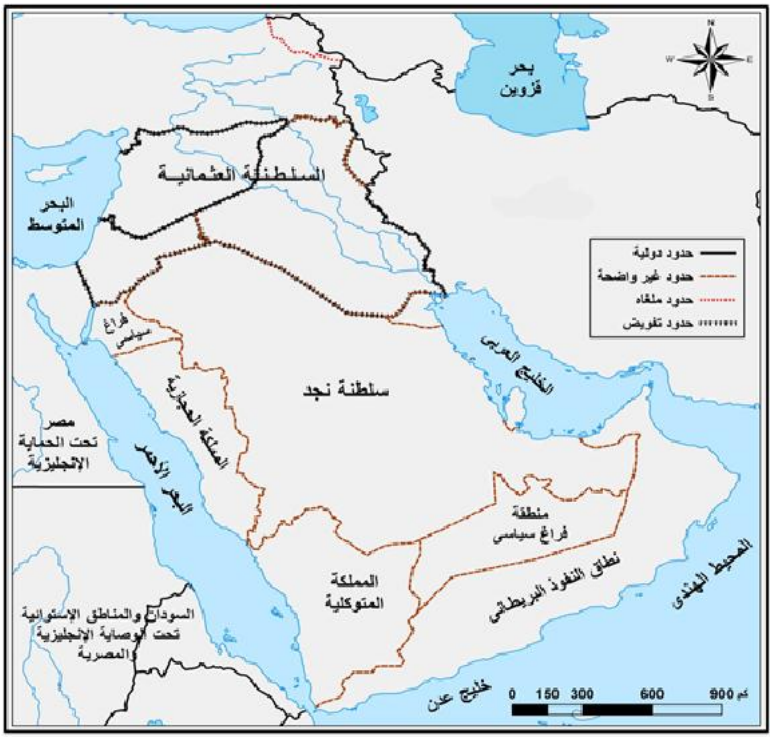

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على خريطة Lawrence Martain لمنطقة شبه الجزيرة العربية فى عام (١٩١٢).

الشكل رقم (٤): الحدود السياسيّة فى بداية العقد الثانى من القرن العشرين على مستوى شبه الجزيرة العربية

٥ -خالد محمد العنقري في عام (١٩٩٠):

يرى "العنقري" أن "الهجر" جمع "هجرة"، وهو لفظ استيطانيّ حديث، يشير إلى مراكز استيطان يتم فيها توفير عناصر الاستقرار للسكان والاستغلال الاقتصاديّ المنظم في نفس المركز أو قريب منه، وذلك بإقامة المرافق الإنتاجية في المناطق التي تؤكد المعلومات صلاحيتها لذلك، ثم تتم عمليات توطينهم حول هذه المرافق وتدريبهم ومساعدتهم على استغلالها (خالد محمد العنقري، ١٩٩٠ : ١٦٧).

٦ –فؤاد حمزة في عام (٢٠٠٢):

يرى "حمزة" أن "الهجر" طبقة جديدة من الناس لم يكن لها وجود من قبل بهذا الاسم، وسبب وجودها حديث العهد. فقد كانت القبائل الموجودة في المملكة على سابق بداوتها وجاهليتها، إلى أن شاء الله بعث الإمام الملك "عبد العزيز بن سعود" لها فاهتدت إلى الدين، وتركت ما كانت عليه من أمور جاهلية وعادات عرفية قبائلية، وتمسكت بأهداف الدين وتركت حياة البادية، وانتقلت منها إلى حالة السكون والاستقرار، فأنشأ الملك لها قرى سميت بـ "الهجر"، وسمى أهلها المهاجرين؛ دليلًا على تركهم الجهل وهجرهم الضلالات القديمة إلى حيث يتعلمون دينهم ويتركون بداوتهم إلى معيشة دينية هادئة (فؤاد حمزة، ٢٠٠٢: ٣٣).

٧ – أحمد الجار الله جار الله (٢٠٠٢).

يرى "الجار الله" أن الهجر التي أنشأها "الملك "عبد العزيز" هي مستوطنات حضرية وفق مجموعة من المعايير، حيث إن سكانها يشتغلون بأنشطة غير زراعية كالتعليم والتجارة، والوظائف العسكرية، والأمنية إضافة إلى المهن الأخرى (أحمد جار الله الجار الله، ٢٠٠٢: ٣١).

والمحصلة، وبناءً على ما سبق فالأنوية العمرانيّة القروية الجديدة التي تأسست مقدماتها في عام (١٩١٢) ماهي إلا تلك المحلات العمرانيّة التي استقبلت البدو سعيًا إلى توطينهم بعد هجرتهم من حياة الارتحال إلى حياة الاستقرار. ولأن الحدث الأكبر هنا لا يكمن في المحلات العمرانيّة بقدر ما كان يكمن في اقتناع "البدو" بالاستقرار؛ فلقد سُميت الأنوية العمرانيّة القروية الجديدة والأحيزة الجغرافية الجديدة بـ "الهجر" ومفردها "هجرة". وعلى الرغم مما حملته الدلالات الاسمية السابقة من اختلافات نسبية فإن بينها رباطًا يمكن التعبير عن جميع مكوناته في كلمة واحدة فقط هي "**التغيير**" وبأكثر من كلمة "**التغيير من أجل بلوغ مقاصد معينة**". وعلى الاختلاف فجميع الدلالات الاسمية السابقة حُملت بأمر آخر ويجب الانتباه إليه ومضمونه: أن

الهجر تمثل فاصلًا بين حدثين مختلفين في زمن واحد. الأول: يتعلق بالتخلي عن جغرافيات الماضي أما الثاني: فكان يتعلق بالتطلع إلى جغرافيات المستقبل؛ ومن ثم كان على "البدو" المفاضلة بين استمراريتهم في كنف الماضي أو السعي نحو التطلع إلى المستقبل. والحقيقة أن عملية القيام بهذه الخطوة ليست بالأمر اليسير على غرار ما هو معتاد لدى سكان الحضر بل كان الأمر يعني نوعًا من المراهنة لا مال فيها سوى الفوز بالاستقرار؛ وذلك لأن عدم نجاح استقرار البدو لم يكن يعني سوى الردة إلى الماضي وعدم إمكانيّة محاولة الاستقرار مرة أخرى.

ثالثًا – الأحيزة الجغرافية الهجرية والاتجاهات الوظيفيّة.

لا تجاوز في القول: إن "الهجر" أو "الأحيزة الجغرافية الهجرية" هي أنوية التنمية الاستباقيّة في تاريخ "شبه الجزيرة العربيّة" الحديث؛ كونها نوعًا من التحضر الاستباقيّ الذي تجاوز فترة الانقطاع التاريخيّ بين بؤر العمران في وسط "شبه الجزيرة العربيّة" تحديدًا. ولا اِشْتَطاط في القول: إن فكرتها التاريخيّة ظلت تؤثر في اتجاه الفكر التنمويّ؛ حتى عام (٢٠١٥) ؛كونها تعد النموذج الأنسب لعدّات كثيرة منها رقعة الدولة التي تقترب مساحتها من (٢) مليون كم٢، والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تصل بجميع أجزائها إلى مستوى واحد من التنمية. وعلى الرغم من أن ذلك قد يُرد عليه بأنه لا يُشترط أن تكون جميع أجزاء الدولة الواحدة على مستوى واحد أو درجة واحدة من التنمية. وعلى الرغم من كونه القول الحق، فإن "المملكة العربيّة السعوديّة" لها نموذجها التنمويّ الخاص؛ كون معمورها لا يزيد عن (١%) من جملة مساحتها الحاوية لافتراش عمرانيّ يفتقد الرباط. وفي خضم ذلك كله، نشأت البدايات الأولى

للأحيزة الجغرافية الهجرية[١] في وسط "شبه الجزيرة العربيّة" بين أضلاع ثلاثة، رؤوسها "الأحساء"، والرياض"، و"حائل" وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٥) [٢].

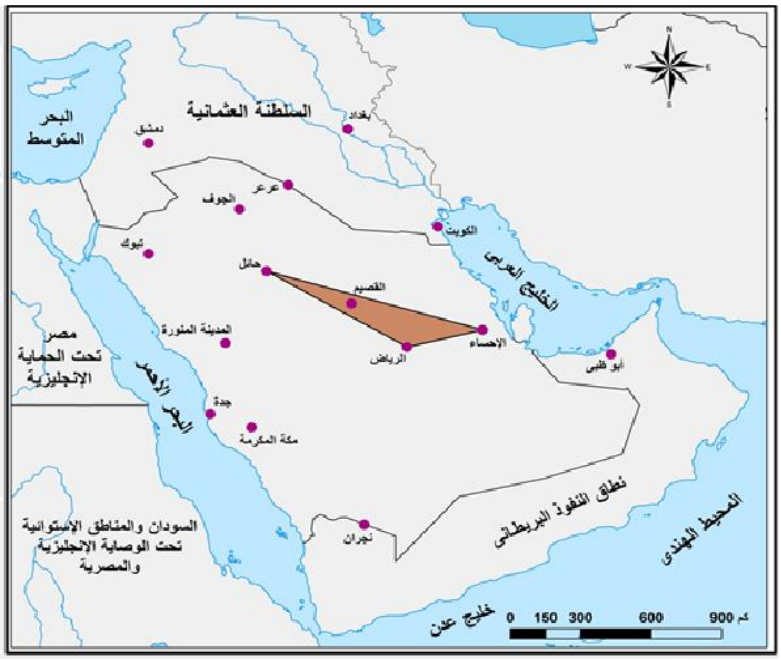

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٥): النطاق الأول لانتشار الأحيزة الجغرافية الهجرية

ومن ثم فلقد جاءت بين مرجعيات تاريخيّة من الناحية الوظيفيّة وبين علاقات مكانيّة من الناحية الإقليمية. وفي حقيقة القول فإن تاريخيّة الانتشار الأفقيّ بين هذه الأضلاع الثلاثة لا تعكس رؤى قصدية للتوطين وحسب، بل تعكس أيضًا مدى سيطرة الإمام "عبد العزيز بن سعود" آنذاك على هذه الأضلاع والرؤوس ومن بعدهم عمومية وسط "شبه الجزيرة العربيّة". وهنا يكمن أحد مداخل الفكر في الجغرافيا السياسيّة؛ فلقد أدراك الإمام أن السيطرة على بلاد "الحجاز" أو شماليّ "شبه الجزيرة العربيّة" أو جنوبها أو حتى شرقها؛ ينبغي تحقيقه بجيوش لا تمثل قبيلة أو قبائل بعينها، ولكنها يجب أن

---

[١] **من الأهمية بمكان إدراك أن تاريخية الأحيزة الجغرافية الهجرية التي بصددها الدراسة ترجع إلى الفترة التي تمتد بين عامي (١٩١٢) و (١٩٣٢).**

[٢] **أمـا تلك التي جاءت بعـد عـام (١٩٣٢) فـهي تلك الأحيزة التلقائية. وهنا يكمن أحد مداخل الفكر التنمويّ الذي يرتبط بأهمية التمييز بين الأحيزة الجغرافية القصدية، والأحيزة الجغرافية.**

تتم بقوات تمثل "وسط الجزيرة العربيّة"، وبدقة تمثل أحيزته الجغرافية الهجرية الاستباقيّة؛ ومن ثم لم تكن "الهجر" جملة من الأحيزة الجغرافية، أو جملة من المشروعات الاقتصادية الانتفاعية، أو حتى الاجتماعية الزمنية فحسب؛ بل كانت في جملتها رؤية من الجغرافيات السياسيّة الاستباقيّة، وبقول تنمويّ رؤية من الجغرافيات الاستيلادية لروافد التغيير، والنمو، والنهضة، والتحديث في آن واحد. وبناءً على ذلك يمكن التعرف إلى الاتجاهات الوظيفيّة للأحيزة الجغرافية الهجرية على ضوء ما يأتي من آراء.

١ –الإمام عبد العزيز بن سعود" في عام (١٩١٨) (العام الأخير من الحرب العالمية الأولي).

وفي فقرة تشخيصية جاء حديث الإمام "عبد العزيز بن سعود" إلى بعض من ممثلوا "الهجر" فأوضح ما يأتي: "**إن العرب اليوم مثل الطفل الصغير الذي يحتاج إلى عناية دقيقة، وإنه يتحتم على المكلف بشؤونهم أن ينصحهم وأن يوجههم إلى الطريق الصحيح، إنني قمت بواجبي بهذا الصدد، وبهذا العمل (المقصود بالعمل هنا تأسيس الهجر بداية من عام ١٩١٢)، فأنا أقرب إلى الطبيب الذي يستعمل أنواع الأدوية التي يحتاج إليها المرضى، وفي بعض الحالات قد يضطر الطبيب إلى بتر أحد الأطراف لإنقاذ الجسم كله**" (موضى بنت منصور عبد العزيز، ١٩٨٨: ٦٥). **إنني أريد تطوير نزعة العرب الفطرية إلى الحرب؛ حتى يشعروا بأنهم أعضاء في جماعة واحدة، وإنه عمل شاق ولا أنكر ذلك ، ولكن الجانب الكبير منه سيتحقق عندما تبدأ وحدات الجيش تشعر بأن الهجر هي بمنزلة وطن صغير لهم وسط الوطن الكبير القاحل**" (حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٣: ١١). وبناءً على ما سبق يتبين أن الإمام "عبد العزيز بن سعود" كان لديه رؤية سياسيّة كما كان لديه خطوات تنفيذيّة يمكن من خلالها تحقيق رؤيته. ومن ثم فالأحيزة الجغرافية الهجرية التي تمثل أدوات تنفيذ رؤيته لم تكن مجرد مجموعة من القرى بقدر ما كانت مجموعة من الأنوية

المنوطة بتأهيل البدو ليمارسوا دورًا جديدًا لم يكن موجودًا من قبل؛ ومن ثم فالتأهيل كان يعني العديد من الخطوات التي تبدأ بالتوطين سعيًا إلى الاستقرار وتنتهي بالتجنيد سعيًا إلى بسط مزيد من النفوذ وتحديدًا على بلاد "الحجاز".

٢ –أمين الريحانيّ في عام (١٩٢٧).

وبصدد الاتجاه الوظيفيّ للهجر يقول "الريحانيّ": "**الداعي إلى الهجرة ثلاثة أمور، أي تعليم البدو الدين، ونفعهم بأرض يحرثونها، والاستيلاء عليهم. ليس من السهل أن يألف البدويّ الزراعة وقد كان دائمًا يأنفها. وقد كان سكان البادية يقسمون في الماضي إلى قسمين: البدو والعرب. فالبداوة غزاة، والعربُ رعاة. وكان "ابن سعود" يعين بقعة من الأرض فيها ماء لقبيلة أو فخذ منها فتنزح إليها وتباشر بناية البيوت فيها. بيد أن الصعوبة الأولى التي تغلب دعاة الهُجرة عليها هي الجمال. ومعلوم أن رزق البدويّ أباعره، فما زالت عنده البادية تستغويه، فيروح في ساعات الضجر طالبًا الرزق حلالًا أو غزوًا حيث كان. لذلك جُبر البدو على بيع جمالهم. وكان ابن سعود يساعد ماليًا في بناء البيوت الجديدة**" (أمين الريحانيّ، ١٩٢٧: ٢٥٨). وبصدد "الريحانيّ" فإن رأيه مستمد من واقع تعايشه ذاتيًا. والحقيقة أن رأيه هنا يعكس نقطة غاية في الأهمية تتمثل في ربطه بين ممارسة البدو للزراعة وإمكانيّة السيطرة عليهم من ناحية، ومباشرة تعاليم الدين من ناحية أخرى. وتكمن الأهمية هنا في إيضاح أن تعاليم الدين كانت بمنزلة الضامن في عملية بلوغ الغاية من وراء تأسيس الأحيزة الجغرافية الهجرية بعدّها أحيزة قصدية يُسعى بها إلى بلوغ المزيد.

٣ –هارى سانت جون فيلبي المعروف بـ "جون فيلبي" "Jhon Philby" في عام (١٩٢٨).

وبصدد الاتجاه الوظيفيّ للهجر يقول "فيلبي": "**مشكلتان واجهتا منذ زمن سحيق، كل من حاول حكم الجزيرة، (الأولى) هي عادات البدو و(الثانية) هي فقدان الهدف المشترك الذي يشكل المركز الذي يلتف حوله. وخلاصة القول هي أن هدف**

"**ابن سعود" من إنشاء حركة الإخوان[١] وتقويتها هو زيادة قوته العسكرية باستخدام عدد أكبر من رعاياه؛ حتى يمكن له تعويض الضعف في الدولة البدويّة وفي الجيش البدويّ والاقتصاد عن طريق إحلال الأمل في ثواب الآخر محل العدّات الارتزاقية**" **(Philby,1928:352)**. وبناءً على ذلك، فإن رأى "فيلبي" يمثل أحد المداخل في فهم إدارة أحد أبعاد القيمة في "شبه الجزيرة العربيّة". ويتمثل هذا المدخل في مدى إمكانيّة بناء "**الهدف المشترك**" الذي يمكن أن تنطوي تحت رايته وتتوحد الخلافات كافة سعيًا إلى بلوغ غاية محددة. ولعل هذا ما أدركه الإمام "عبد العزيز بن سعود" في العصر الحديث فنجح في ما لم يستطع غيره أن ينجح فيه[١]. وبناءً على ذلك، وفي إطار التنمية تحديدًا، فلقد ثبت أن المرحلة الأولى في مراحل بناء النموذج التنفيذيّ في عملية التنمية؛ تعتمد في المقام الأول على توحيد جميع مدخلات قوى المجتمع للالتفاف حول رؤية تنمويّة واحدة في ظل نظام مركزيّ يتسم بالاستنارة ومشروط بضوابط معينة، وهذا ما نجح فيه الإمام" عبد العزيز بن سعود".

٤ -ساعد العرابيّ الحارثيّ في عام (١٩٤٦).

وبصدد الاتجاه الوظيفيّ للهجر يقول "الحارثيّ": "**إن المتعمق في دراسة حركة التوطين البدويّة في جزيرة العرب في عهد الملك "عبد العزيز بن سعود" يرى أن الدولة السعوديّة كانت تهدف من وراء ذلك إلى غايات عدة دينية، واجتماعية وعسكرية، وسياسيّة؛ لذا فإن الملك عبد العزيز كان مدفوعًا بحماس سياسيّ عسكريّ اجتماعيّ عندما فكر في تأسيس هذه الحركة، وقد رأى أن الهدف السياسيّ يمكن أن**

---

[١] يجب التمييز هنا بين إخوان "الهجر" وهم إخوان الإمام عبد "العزيز بن سعود" الذين كانوا دعائم سكان الهجر" وبين الإخوان المسلمين بوصفها حركة نشأت في "مصر". فإخوان الإمام "عبد العزيز بن سعود" هم البدو الذين استقروا على مستوى الأحيزة الجغرافية الهجرية والتزموا بتعاليمه وتعاليم دعوته السلفية، وكان إمامهم هو "عبد العزيز بن سعود الذي كان يسعى إلى توحيد "شبه الجزيرة العربية" تحت لواء واحد.

[١] نسبة إلى "التماكن" "Conjunction" ويقصد به هنا أن يُؤخذ في الاعتبار خصائص الأحيزة الجغرافية، والأمكنة كافة عند بناء رؤية موحدة؛ سعيًا إلى إيجاد مشترك تنمويّ يتسق تمامًا مع اعتبارات الأحيزة الجغرافية والأمكنة وخصائصها.

يحقق له ما كان يصبو إليه من تأسيس أقوى دولة في الجزيرة العربيّة وأكبرها" (ساعد العرابيّ الحارثيّ،١٩٩٤: ٣٥٠-٣٥١).

وفيما يتعلق بـ "الحارثيّ" فرأيه يجنح إلى أن حركة توطين البدو وما تبعها من تأسيس "الهجر" في ظل غايات وظيفيّة واضحة كانت بهدف بناء الدولة الأكبر في "شبه الجزيرة العربيّة". والحقيقة أن هذا الأمر على الرغم من تحققه فإنه ينطوي على كثير من الأسباب التي تدعو إلى المراجعة التاريخيّة والتدقيق. ولعل من أهم هذه الأسباب أن الفرق الزمنيّ بين تأسيس الهجرة (الأولى) وبين تأسيس أكبر دولة في "شبه الجيزة العربيّة" يبلغ (٢٠) عامًا وهي فترة زمنية كبيرة يمكن خلالها فقدان الهدف؛ ولذلك فالقيمة هنا لا تكمن في مدى نجاح الإمام "عبد العزيز بن سعود" في تحقيق هدفه فحسب، بل تكمن في الإجابة عن سؤال واحد مهم، مضمونه: **كيف استطاع الإمام "عبد العزيز بن سعود" أن يسير خلال هذه الفترة في خطوات تنفيذيّة تتصف بالتوازن حتى بلغ سعيه، على الرغم مما كانت تتصف به "شبه الجزيرة العربيّة" وأطرافها من فوضى غير معلومة الاتجاه ومن ثم النتيجة؟** والحقيقة فإن الإجابة عن ذلك السؤال لا تكفيه أعداد الهجر التي تأسست قبل تأسيس المملكة فحسب بل يحتاج الأمر إلى ما هو أكثر من ذلك لبلوغ التفسير.

وفي محاولة لذلك يمكن القول: إن الإمام "عبد العزيز بن سعود" كان يسير وفق خطط تنفيذيّة دقيقة. والدقة هنا لا تعني الوصول إلى الخطة (الثانية) بعد انتهاء (الأولى) لا، إنما تعني بناء الخطة (الثانية) بعد الاطمئنان إلى نتائج الخطة (الأولى)؛ ولذلك فالأمر لم يكن نوعًا من الخطط التنفيذيّة التتابعية على وتيرة الخطط الخمسية التي شهدتها المملكة العربيّة السعوديّة" خلال الفترة من عام (١٩٧٥) إلى عام (٢٠١٥) حيث توقف العمل بها، بل كانت نوعًا من الخطط البنائية التي لم يكن يُنفذ جديدها إلا بعد الاستفادة من نتائج قديمها والعمل بما جاء بمعطيات اتجاهاتها. وهنا تكمن قيمة الفكر التنمويّ التي تتجاوز قيمة تأسيس "الهجر" نفسها، وتتمثل في أن

الإمام "عبد العزيز بن سعود" كان لديه فكر تصحيحيّ يعتمد في المقام الأول على مستوى النتائج التي بلغتها خطواته.

٥ –حمد الجاسر في عام (١٩٨١)،

وبصدد الاتجاه الوظيفيّ للهجر يقول "الجاسر": "**إن الهجر لم تكن هجرًا زراعية بالمعنى الحقيقيّ، وإنما هي على شكل وحدات سكنية بناها البدو حول بئر ماء وبجانبه مسجد، وكان جل اعتماد البدو على عطايا الدولة**" (جلال محمد كشك، ١٩٨١: ٥٦٤ – ٥٦٥).

وفيما يتعلق بـ"الجاسر" فإن رأيه ينطوي على بعد آخر يتمثل في العلاقة بين "الهجر" بعدّها أنوية تنمويّة أو حتى محلات عمرانيّة ذات وظيفة موجهة من ناحية، وبين دور المسؤول الذي كان يتمثل عندئذٍ في الإمام "عبد العزيز بن سعود" بعدّه إمام نجد ورئيس عشائرها خلال الفترة من عام (١٩١٢) إلى عام (١٩٢١) من ناحية أخرى. وبشأن ذلك يرى "الجاسر" أن العلاقة بينهما كانت تدخل في إطار الاعتمادية التي تسير في اتجاه واحد ينتهي على عاتق مسؤولية الإمام. والحقيقة أن القيمة هنا تكمن في معرفة ما يمكن أن تؤول إليه استمرارية "الهجر" بعدّها محلات عمرانيّة تعتمد في المقام الأول على عطايا المسؤول. ولعل هذا الأمر ما حاول إيضاحه "عبد الفتاح أبو علية" في دراسته التي جاءت تحت عنوان "الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو في جزيرة العرب" عند تقييمه للواقع ودرجة النجاح التي تحققت من مشروع التوطين (عبد الفتاح أبو علية، ١٩٨٥: ١٢١).

٦ –حسن عبد القادر صالح (١٩٨٣).

وبصدد الاتجاه الوظيفيّ للهجر يقول "صالح": "**كانت الهجر تتكون من مستوطنات دينية عسكرية زراعية، وقد تخرج فيها نفر آمنوا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا، وأطاعوا "عبد العزيز" وأذعنوا له إمامًا، وجاهدوا في الله حق جهاده، فكان ثمار انتصاراتهم فتح البلاد وتأسيس المملكة**

العربيّة السعوديّة؛ لذا فإن غايته –الإمام عبد العزيز بن سعود– تركزت في معالجة قضية التنمية الاجتماعية من منطلق تكاملها مع التنمية الاقتصادية تؤثر فيها وتتأثر بها، وليس من منظور تبعيتها لها وتلقائية حدوثها بوصفها نتيجة اقتصادية" (حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٣: ٣– ١١).

وبشأن "صالح" فإن رأيه ينطوي كذلك على بعد آخر يتمثل في العلاقة بين هوية "الهجر" ووظائفها من ناحية، وبين دور الإمام "عبد العزيز بن سعود" من ناحية أخرى. ففي إطار الغاية التي كانت من أجلها وظائف "الهجر" كان يُنظر إلى الإمام بعدّه المُشرع العام للاتجاه الذي يجب أن تسير نحوه وظائف "الهجر" وذلك بما يتفق مع مساعي تحقيق الغاية. والحقيقة أن ما خلُص إليه "صالح" فيما يتعلق بالاتجاهات الوظيفيّة للهجر يوضح أن الضرورة تقتضي وجود علاقة ارتباطية بين وظائف المحلات العمرانيّة من ناحية، وبين الغاية التي من أجلها كانت هذه الوظائف من ناحية أخرى. وفيما يتعلق بالتنمية؛ فيمكن القول: إن هذا الاقتضاء يرتبط بصورة مباشرة بالمرحلة الثانية من عملية التنمية المنوطة بتحديد القدرات التشريعية التي تشتمل على الإمكانات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسيّة، والإدارية، والمكانيّة، والزمنية.

٧–موضى بنت منصور عبد العزيز في عام (١٩٨٨).

وبصدد الاتجاه الوظيفيّ للهجر تقول "موضى": **"وجد الملك "عبد العزيز" مجموعة رعاياه تنقسم إلى فريقين: أقلية قروية ومدنية، وأكثرية من البدو الرحل، وكان في وسعه الاطمئنان إلى ولاء الأولين، لكن الآخرين في حركة دائمة لاشيء يمسك بهم في أي مكان. وكان الإمام الملك "عبد العزيز" يرى أن البدو هم عصب الدولة، وأنهم يشكلون نسبة كبيرة من عدد سكانها. فكان هو الحاكم الأول في تاريخ شبه الجزيرة الذي تأكد من أن البدويّ لا يمكن تعليمه وتحويله إلا إذا استقر في حياته، وأنه لا نظام في حياة فرد من البشر من دون بيت، والبدويّ المرتحل، الذي لا يعرف البيت قد يتحول في لحظة ما معاديًا للحكومة المستقرة في الدولة الحديثة؛ ومن ثم أقدم الإمام الملك "عبد العزيز" على فكرة**

التوطين، مصحوبة بالعزم على استبدال العادات والتقاليد والأعراف البدويّة بالشريعة الغراء. لقد نجح الملك في ربط مشروعه للإمساك بالقبائل البدويّة المرتحلة بإحياء العقيدة الصحيحة، وقرن ذلك بإقامة مراكز التوطين، فكأنها حركة قامت على أساس العودة لأصول الإسلام في شكل أخوة مع الارتباط بالأرض؛ مما أدى إلى انضمام قبائل بأكملها لهذه الحركة الإصلاحية الكبرى في تاريخ شبه الجزيرة العربيّة على امتداد كل عصورها" (موضى بنت منصور عبد العزيز، ١٩٨٨، ٥٢-٥٨).

وفيما يتعلق بـ "موضى" فإن رأيها جاء بين بعدين متكاملين مشروطين، الأول: يرتبط باستقرار البدو أما الثاني: فيرتبط بالنتائج الوظيفيّة، والاجتماعية، والسلوكية المتوقعة بعد تحقيق البعد الأول. وبشأن ذلك فإن الاستقرار بالفعل يعد من أهم المدخلات لبلوغ الغاية لكن لا يعد كل المدخلات. فالاستقرار وحسب لا يكفل استمرارية "الهجر" بصورة مطلقة بل يجب أن يكون ذلك مرهونًا بأبعاد أخرى لا يقتصر جّلها على التحفيز الماديّ. فلقد ثبت بالفعل أن الاستقرار كان أحد أسباب نهضة المحلات العمرانيّة بيد أنه لم يكفل لها الاستمرارية بوصفها بقاء (عبد الفتاح أبو عليه، ١٩٨٥: ١٢١).

٨-جون حبيب في عام (١٩٩٨).

وبصدد الاتجاه الوظيفيّ للهجر يقول "حبيب": **"كان "ابن سعود" بحاجة إلى قوة عسكرية تتمتع بخفة حركة البدو وولاء سكان الحضر وشجاعتهم وإخلاصهم واستقرارهم وثباتهم. ولم يستطع "ابن سعود" كما لم يرغب مطلقاً في تحويل السكان الحضر إلى قوة بدوية ضاربة شبه عسكرية. حيث كان المصدر البشريّ الوحيد المتاح له هو البدو ومع ذلك فقد كان يعرف جيدًا أن هؤلاء البدو بحكم طبيعتهم التقليدية، لا يمكن الاعتماد عليهم أو الوثوق بهم في المسيرات الطويلة بعيدًا عن "نجد"؛ إذ إنهم قد ينسحبون من القتال فجأة أو ينضمون إلى الخصم. وحلًا لهذه المصيبة، فقد استفاد "ابن سعود" من خياله وجرأته، بأن غيّر البدو تغييرًا جوهريًا، خلال سنوات قلائل ليحولهم إلى قوة خفيفة الحركة تستطيع أن تجوب "شبه الجزيرة العربيّة" بطولها وعرضها، كما جعل من البدو قوة مستقرة يمكن وضعها في مكان بعينه إذا ما أراد هو لها ذلك. فعل "ابن سعود" ذلك من دون جعجعة أو جلبة، إلى أن ظهرت هذه القوة**

على المسرح العربيّ لأول مرة جاهزة ومتشوقة للقتال تحت اسم حركة الإخوان" (جون حبيب، ١٩٩٨: ٤٨).

وبشأن "حبيب" فلقد أوضح رأيه نقطة غاية في الأهمية، وتتمثل في أن دافعية الاستقرار وتوطين البدو جاءت بعد المفاضلة بين مدى إمكانيّة الاعتماد على سكان الحضر وبين مدى إمكانيّة الاعتماد على البدو، وكلاهما كان من أجل نفس الرؤية. ولو أن المفاضلة جنحت آنذاك إلى سكان الحضر لانتفت جغرافيات "الهجر" من تاريخيّة "المملكة العربيّة السعوديّة". وتكمن القيمة هنا في أن "الأحيزة الجغرافية الهجرية" إنما تأسست بدافعية ممارسة وظائف غرضية.

والمحصلة، وعلى ضوء ما سبق، فإن الهجر جمع هجرة، ومعناها القرية الجديدة التي أقيمت للبدو الذين تدينوا، وتحضروا، فهاجروا إليها من الجهالة إلى الدين، ومن السلب والنهب إلى الزراعة، ومن البداوة إلى التحضر. وكان بموجب ذلك أن الذين يتم توطينهم لزامًا عليهم أن يقلعوا عن عاداتهم القديمة؛ ولاسيما إغارة بعضهم على بعض الآخر؛ بغرض السلب والنهب، فلقد من الله عليهم وأصبحوا إخوانا (موضى بنت منصور عبد العزيز، ١٩٨٨: ٨١). ومن ثم كانت "الأحيزة الجغرافية الهجرية" بمنزلة مقدمات التخلي عن التاريخيّة الاجتماعية والثقافية للبدو، وتحديدًا تلك التاريخيّة التي ترتبط بالتعدي على الآخر. وبصدد "صالح" تحديدًا، فلقد انتهى إلى توصيف دقيق يمكن من خلاله التعرف إلى الاتجاهات الوظيفيّة التي كانت عليها "الهجر" وذلك على ضوء ما يأتي:

- ✓ **الاتجاه الزراعيّ:** حيث تعد الزراعة من أهم الأعمال التي قام بها سكان "الهجر"، حيث هُيئت لهم الإمكانات كافة لممارستها كتوفير الأرض القابلة للزراعة، وحفر الآبار، وتقديم الإعانات، والبذور والأدوات وكذلك المرشدين الزراعيين (حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٣: ٢٩).

- ✓ **الاتجاه الرعويّ الزراعيّ:** وتشغل هذه الحرفة المرتبة (الثانية) بعد حرفة الزراعة من حيث عدد العاملين فيها. وفي هذه الحرفة يجمع الفرد بين ممارسة الزراعة من ناحية، وممارسة الرعي من ناحية أخرى. حيث يقضي العاملون معظم السنة بوصفهم مزارعين في أراضي "الهجرة" وينتقلون إلى منطقة الرعي في موسم الشتاء لرعي حيواناتهم من أغنام وماعز (حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٣: ٢٩). بيد أن ما يجب التنوية عنه أن أراضي المراعي كانت تقع في إطار المحيط الخارجيّ للهجرة ذاتها.
- ✓ **الاتجاه الصناعيّ:** كان يعمل في هذه الحرفة عدد محدود من الرجال والنساء، وذلك في الصناعات الخفيفة والتقليدية كإنتاج التمور، ومنتجات الألبان، وغزل الصوف، ونسج السجاد (حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٣: ٢٩).
- ✓ **الاتجاه التجاريّ:** كان يعمل في هذه الحرفة عدد محدود من سكان "الهجرة"، حيث كانوا يعتمدون في المقام (الأول) على فوائض الزراعة والصناعة على مستوى "الهجرة" ذاتها للاتجّار بها مع "الهجر" الأخرى أو حتى أطراف المدن (حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٣: ٣٠).
- ✓ **الاتجاه العسكريّ:** وهو الاتجاه الذي كان يغلف الاتجاهات الوظيفيّة كافة على مستوى عمومية "الهجرة". وبموجب هذا الاتجاه كانت "الهجرة" الواحدة تنطوي على ثلاث فئات من المجاهدين بأنطمة مختلفة (حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٣: ٣٠).

وبكل هذه الاتجاهات تأسست "الأحيزة الجغرافية الهجرية". وهنا يكمن أحد الأسئلة المهمة، ومضمونه: **هل انتفاء الغرض الذي من أجله تأسست "الأحيزة الجغرافية الهجرية" كان يعني انتفاء وجود هذه الأحيزة أم أنها استمدت من المرونة ما يؤهلها لكي تستمر في ظل مقاصد التغيير المتعددة؟** ولسوف تتضح الإجابة من خلال المحاور الآتية.

المحور الثاني:

هجرة الأرطاوية

النسب الاسمى ... والثبت التاريخيّ

دراسة بنائية تطبيقية

نعم ... فكما أن للأعمال أوائل تؤدي إلى أواخرها، ومداخل تفضي إلى حقائقها، فإن للملكة العربيّة السعوديّة أوائل سببية ومداخل بنائية أفضت جميعها إلى نشأتها التأسيسية. وفي الحقيقة، وعلى الرغم من وجود مسافة زمنية وتراكمات جغرافية بين الأوائل والمداخل من ناحية، وبين النشأة والتأسيس من ناحية أخرى؛ فإنّ كليهما قد خرج من دافعية واحدة، ومن فكر واحد، ومن مِشْكاة واحدة هي "الهجر" أو ما يُطلق عليها بـ "الأحيزة الجغرافية الهجرية". ومع أن الدراسة ليس من أهدافها الاستدلال على ذلك، إلا أنه كان من الضروريّ التعرف إلى ما كانت تعنيه جغرافيات الهجرة (الأولى) في إطار برنامج نشأة "الهجر" الذي استمر من عام (١٩١٢) إلى عام (١٩٣٢)؛ تلك التي عُرفت باسم "الأرطاوية". وفي عبارة تنمويّة واحدة متصلة فـ "الأرطاوية" هي رأس التجربة الكبرى في استنهاض جملة من الأحيزة الجغرافية أمكن خلالها استرداد سلطنة "نجد" وملحقاتها ومن بعدها توحيد المملكة بعدّه حدثًا تاريخيًا فإن هجرية "الأرطاوية" ما هي إلا نتيجة متسقة جمعت بين طياتها تلاقي جملة من الجغرافيات في إطار جملة من العلاقات؛ فقد يصعب تفكيك عناصرها، إلا أن محاولة ذلك أمرٌ ينطوي على العديد من الإيجابيات التي يمكن توظيفها سعيًا إلى إدراك فهم البناء الذي أدى إلى تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة".

أولًا- هجرة الأرطاوية والنسب الأسمى.

تُنسب هجرة "الأرطاوية" اسمًا إلى كلمة "الأَرْطَى"، وهو نوع من الشجر صغير الحجم ينبت في الرمل، طيب الرائحة، وثمره كالعنّاب يستعمل في الدِبّاغ. وهو شبيه بالعَصَا ينبت عصّيًا من أصل واحد يطول قدر قامه ورائحته طيبة

(**https://www.almaany.com**). والأَرْطَى كلمة معروفة عند جميع أهل "نجد" وإليها ينسب اسم وادي "أرط" الذي يعد أحد الأودية الصغيرة التي تقع في الجزء الشرقيّ من حوض "الرمة" في وسط "شبه الجزيرة العربيّة" – وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٦). وبالإضافة إلى ذلك فإن كلمة الأَرْطَى تنسب إلى جميع أسماء آبار منطقة "سدير" الذي يقع جزئها الشرقيّ في وادي "أرط"؛ ومن ثم فهي كلمة طيبة الرائحة تنسب لشجرة طيبة، أصلها ثابت، تَنبت في ظل وفرة من الماء. وباجتماع هذا كله أضحى الماء الأَرْطَى والنبت الزكيّ أحد المحطات الرئيسة للتزود بالماء والغذاء (غذاء الإبل والأغنام من حمى الشجر الطيب)، في طريق القوافل التي كانت تتجه إلى منطقة غربيّ "الخليج العربيّ" ومنها إلى "الكويت" شمالًا وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٧).

وفي إطار ذلك فهجرة "الأرطاوية" نُسبت إلى محطة مرورية متجددة خلت من أي تاريخيّة عمرانيّة، أو تعقدات اجتماعية وهي في مجملها سالمة نقية.

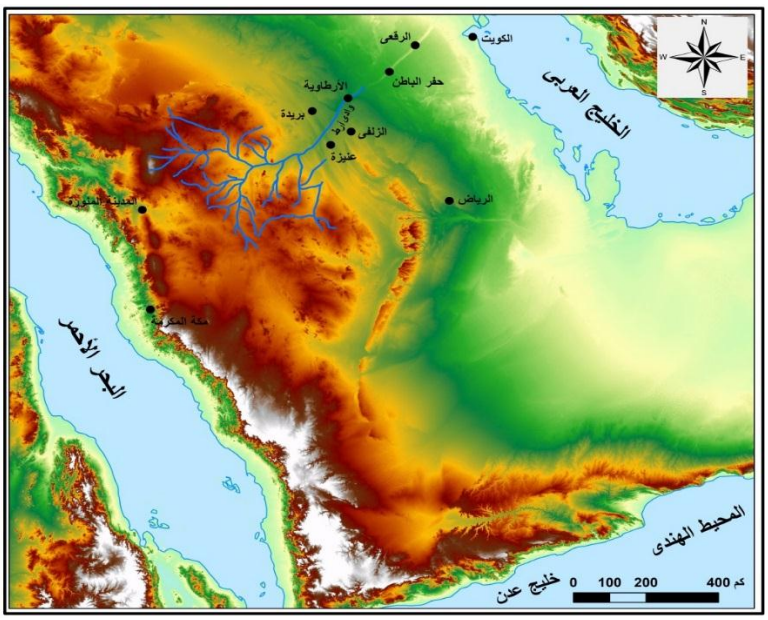

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على إحدى المرئيات الفضائية Land Sat TM8 من هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية.

الشكل رقم (٦): حوض الرمة في شبه في جزيرة العربيّة

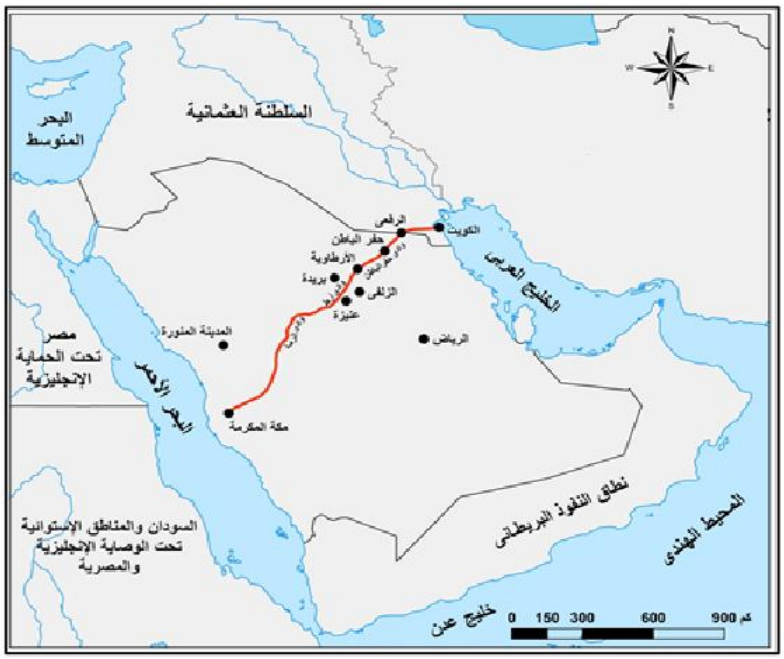

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٧): طريق القوافل إلى الكويت

ثانيًا: هجرة الأرطاوية الثبت التاريخيّ.

اليوم الخميس، الموافق الثاني والعشرين من شهر ديسمبر من عام (٢٠١٦)، يعيش في "الأرطاوية" (أو ما يُعرف الآن بمدينة "الأرطاوية")، نفَر اشْتملَ بعمره السجل الحيويّ لتاريخها الجغرافيّ وحاضرها التعايشيّ؛ ذلك السجل الذي تتجاوز زمنيته قرنًا. وهو بسجله هذا يعد ثبتًا ميلاديًا لبداية اختلف حولها الباحثون. وأيًا كان هذا الاختلاف، فلقد كان من الضروريّ الوقوف على ماهية هجرة "الأرطاوية" التاريخيّة.

والحق أن سبب ذلك لا يكمن في محاولة تصويب سنة زائدة أو ناقصة عن وجودها التأسيسيّ؛ إنما يكمن في الوقوف على ما يمكن جمعه من مستخلصات تنمويّة يمكن الانتفاع بها والاستناد إليها. وفي إطار ذلك كان لابد من محاولة التعرف إلى الثبوت التاريخيّة التي شهدت جغرافياتها التأسيسة، وفيما يأتي محاولة بناء ذلك.

١- الثبت الأول: (باركلى رونكيير) في عام (١٩١٢)

يقول "رونكيير" في كتابة الذي جاء تحت عنوان "عبر الأراضي الوهابية على ظهر جمل"[١]: **"في يوم (١٢) مارس من عام (١٩١٢)، رحلنا من محطتنا الثالثة عشرة في الساعة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة، في البداية كانت الأرض مستوية وتكثر فيها الأعشاب الطويلة التي تشبه تلك التي شاهدناها في المنطقة القريبة من "الكويت". ولكنها تزيد عليها هنا بوجود الأحجار الرملية. تنحدر الأرض هنا تدريجيًا نحو وادي "الرمة". كما بدأت تظهر بالتدريج تجمعات صخرية ترتفع فوق سطح المنطقة المنبسطة. وأشرفنا في بداية الصباح على آبار الأرطاوية؛ ولهذا فقد تقدم بعض رجالنا المسلحين بوصفهم عيونًا لرصد المنطقة من نقطة عالية تشرف على الآبار. وعلى الرغم من أننا أصبحنا في المنخفض حيث توجد البئر فإن البئر نفسها لم تر؛ حيث تحجبها بعض النتوءات التي تقوم حولها. كنا على بعد كيلو مترًا واحدًا من البئر عندما صاح أحد رجال المقدمة أن هناك بعض الأعراب الغرباء عن البئر. انضم رجال القافلة بسرعة إلى بعضهم وحثوا مطاياهم على السير بأقصى ما لديها من سرعة نحو البئر، وهم يتصايحون بقوة وقد شهروا أسلحتهم. وتجاوبت الإبل مع الصياح والحث على السير واندفعت بقوة كبيرة دافعة بأرجلها إلى الخلف رافعة حناجرها بالرغي وثائرة؛ لدرجة أنه كان على ركابها أن يبذلوا أقصى الجهود للبقاء فوق ظهورها. وبهذه الطريقة العنيفة وصلنا إلى البئر. فلم نجد رجالًا عن البئر إذا يبدو أنهم عندما شاهدوا إقبالنا نحوهم بالطريقة التي كنا عليها فضلوا السلامة على المواجهة ورحلوا بسرعة، مخلفين وراءهم بعض الحمير التي راحت تنظر إلينا وهي ترفع وتخفض رؤوسها الكبيرة وتهز آذانها. سقنا الحمير أمامنا على أمل أن نجد أصحابها في الزلفى (إحدى المحلات العمرانيّة القريبة من الآبار "الأرطاوية")؛ لأننا خشينا ألّا تكون ملكًا لأولئك الرجال الذين هربوا قبل وصولنا إلى البئر"** (باركلى رونكيير ، ٢٠٠٣:ط٢/١٣٠). وبناءً على ما سبق، وفي جملة واحدة، فحتى شهر مارس من العام (١٩١٢) لم تكن هناك أي محلة عمرانيّة تحمل اسم "الأرطاوية" في منطقة وادي "أرط" ، إنما هي جملة آبار يقصدها العابرون والمسافرون للارتواء والتزود بالماء. ولعل من الأمور التي يجب الالتفات إليها أنه حتى عام (١٩١٢) كانت عملية

[١] **حديثًا تغير اسم هذا الكتاب إلى "عبر الأراضي السعودية على ظهر جمل".**

الإغارة جزءًا من نمط تعايشيّ تألفه القبائل، وليس أدل على ذلك من الهجوم غير المسوغ من رجال القافلة التي كانت تصطحب "رونكيير" على من كانوا يتزودون بالماء، ولولا هروبهم لأصبحوا جزءٌ من متاعهم. وأيًا كان الأمر فقيمة ما ذكره "رونكيير" يكمن في إيضاح حقيقة أحد البواعث الأصيلة التي يمكن استخلاصها في بناء الفكر التنمويّ ومضمونها ليس من المفترض الدفع بكل الأمكنة في تنفيد رؤى التنمية (لكن من المفترض أن تكون جزءًا فيها)، إنما تُدفع أولًا تلك الأمكنة التي ترتكز على مقومات ذاتيّة، وبتلك الذاتيّة تُستولد القيمة لتتضح بعد ذلك بانتقالها من طور ذاتيّتها المحلية إلى طور علاقاتها المكانيّة. فحتى عام (١٩١٢) لم تكن هناك هجرة تحمل اسم "الأرطاوية"، بل كانت هناك بواعث ذاتيّة تحمل اسم آبار "الأرطاوية"، وبذاتيّة تلك الآبار استولدت هجرة "الأرطاوية"[١] .

٢ – الثبت الثاني: (جون فيلبي) في عام (١٩٢٢)

يقول "جون فيلبي" في كتابه الذي جاء تحت عنوان "جزيرة العرب الوهابية": "**من الواضح أن "باركلي رونكيير" كان آخر الآوروبيين الذين مروا بهذا المكان (يقصد بذلك آبار الأرطاوية قبل أن تتحول إلى هجرة) وكان ذلك في عام (١٩١٢)، حيث يبدو أن المنزل الأول لم يكن قد بني بعد. ولم يمضِ سوى ست سنوات ونصف السنة؛ حتى نمت في تلك المنطقة بلدة (يقصد بها هجرة الأرطاوية)، لا يقل عدد سكانها عن (١٠٠٠٠) نسمة ، والتي كنت أول أوروبيّ ينظر إليها من بعيد**" (جون فيلبي، ٢٠٠٧: ٢٢٠).

وفي دراسة أخرى جاءت تحت عنوان "نجود الجزيرة العربيّة" أشار "جون فيلبي" إلى جوهر التغيير الذي أظهر "الأرطاوية" وذلك في قوله: "**زار الرحالة الهولنديّ، "باركلي رونكيير" الموقع خلال رحلة قام بها من "الكويت" إلى "بريدة" قبل أشهر عدة من تأسيس المستقر**

[١] **وبصدد جملة الهجر؛ فلم تكن تتناقص قيمة أمكنتها ونفوذها بالخروج منها؛ وذلك لأنها أضحت في علاقة تشاركية مع غيرها من الأمكنة الأخرى وإن بعدت المسافات، وهذا عكس ما يظنه "جمال حمدان" الذي يرى أن نفوذ المدينة يتناقص كلما بعدنا عنها (جمال حمدان،١٩٧٨: ٣٦٨).**

(يقصد بذلك قرية الأرطاوية)، ويبدو أنه لم يكن على علم بخطة تحويل منطقة البئر إلى معسكر دينيّ كبير. وبعد ذلك بشهور قلائل سافر الرحالة الإنجليزيّ الشهير الكابتن "جي . أي. ليتشمان" من "بغداد" إلى "الرياض" عن طريق بريدة؛ حيث أجرى في الرياض اتصالًا سريعًا بـ"ابن سعود"، ثم واصل رحلته بعد ذلك شرقًا إلى الأحساء، التي كانت لا تزال تحت الاحتلال التركيّ، على الرغم من أنها كانت على وشك تغيير المحتل. كما فشل "ليتشمان" أيضًا في استشعار جو التغيير الذي بدأ ينتشر في الصحراء على أثر حركة الإخوان الأولية. ولم يستطع الكابتن "شكسبير" أيضًا، عندما كان يتنقل عبر "الجزيرة العربيّة" في شتاء العام (١٩١٣)//(١٩١٤) تقييم احتمالات الفكرة التي كانت قد بدأت بالفعل في نظم القبائل الرعوية ضمن إطار شكل لدولة قابلة للتحقيق" (جون حبيب،١٩٩٨: ٩٦).

وعلى ضوء ما سبق فتأسيس "الأرطاوية" خلال النصف الأول من عام (١٩١٢) لم تكن قائمة، ويؤكد ذلك من بعد "رونكيير" كل من "جون فيلبي"، و"ليتشمان"، و"شكسبير"، وأما النصف الثاني من العام ذاته فلقد شهد شرعيتها الوجودية. وفي حقيقة الأمر فبين الملاحظات سالفة الذكر تختبئ بواعث قيمة الفكر التنمويّ الذي دفع بنتائجه فاستنهضت دولة. ولا مغالاة في ذلك، ولعل بعض البواعث المختبئة يتمثل فيما يأتي:

- **يعد مطلب التغيير أمرًا قصديًا لا يُطلب إلا بوجود غاية معلومة وآليات واضحة، وإلا فلا داعي لبذل الجهد. ولعل ذلك ما يمكن استخلاصه من مقارنة النصف (الأول) من عام (١٩١٢)، بما انتهى إليه النصف (الثاني) من العام ذاته. ففي خلال أشهر معلومات تغير الأمر من آبار "الأرطاوية" إلى هجرة "الأرطاوية"، وتغير الأمر من محطة للتزود بالماء لا تتصف بالاستقرار إلى قرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان.**
- **يعتمد التغيير على وجود رؤية شمولية تتصف بوضوح أركانها، فلقد تأسست "الأرطاوية" بوصفها قرية مكتملة ضربت بأسباب عمرانيّتها الأرض كما لو كانت في منافسة مع جذور نبات "الأرطى". والقول: إن ذلك أمرٌ لا ينفي أن**

عمرانيّة القرية قد توسعت بعد ذلك لكنه يوضح ما تنطوي عليه قيمة الاكتمال السببيّ.

- **نعم ... يعتمد مطلب التغيير على وجود زمنية يمكن من خلالها إدراك الهدف غير أن تلك الزمنية لا ترتبط عبر السنين والعقود بقدر ارتباطها بوجود الغاية ووضوح آليات تنفيذها.**

٤ – الثبت الثالث:(أمين الريحانيّ) في عام (١٩٢٧)

ومن دون مبالغة تاريخيّة، فـ "أمين الريحانيّ" من خلال كتابه الذي يحمل عنوان " نجد الحديث وملحقاته" تمكن من سرد ما كان قائمًا في "نجد" بوصفه ماضيًا فانيًا، وما كان قائمًا بوصفه حاضرًا كائنًا. ولا مبالغة في أنه تمكن من أن يخبرنا بما هو حاضر بوصفه زمنًا معاصرًا، من ناحية، وما سيكون حاضرًا في انتظاره من ناحية أخرى. فكتابه يجسد رؤية التعرف إلى ثنايا المجتمع وفهم أخص دقائقه في أطر يغلب عليها الترابط الذي قلما يوجد في كتابات تاريخيّة أخرى. وفيما يختص بالثبت الوجوديّ لهجرة "الأرطاوية" عند "الريحانيّ" فيمكن التعرف إليها من خلال ما أوضحه على نحو ما يأتي: "**قد شاهدنا للمرة الأولى، في وقعة تربة، روحًا جديدة في القتال، روحًا نجدية دينية مُجسمة في الإخوان –المقصود هنا إخوان الهجر–، روحًا قهّار، هي بنت الهول والاستشهاد، قلما تُغلب أو ترد. وفي كلمة كتبها الأمير "عبد الله" إلى "ابن سعود" عن سر هذه القوة. قال الأمير: هم الذين أمرتهم ببيع مواشيهم وبنيت لهم الدور (تلك هي أول إشارة مباشرة عن تاريخيّة الهُجَر). والهجر مهد الإخوان والإخوان جيش "ابن سعود" الدينيّ القوميّ، جيش التوحيد. وقد أُسست في سنة (١٣٣٠هـ)/(١٩١١) أول "هجرة" لعرب "مطير" أي: "الأرطاوية" شرقيّ "بريدة" وقرب "الدهناء". أما تسميتها بـ "الأرطاوية" فهو لأن "الأرطى"، مرعى الإبل المعروف، يكثر في جوارها. وإن هذه الهُجرة لأكبر الهجر اليوم وأهمها. وقد تبعها كل سنة هجرٌ عدة**

لقبائل "حرب" و"عتيبة" و"قحطان" وغيرها، حتى أصبح عددها سبعين هجرة ويزيد" (أمين الريحانيّ، ١٩٢٧: ٢٥٨-٢٦٠).

وبصدد الثبت التاريخيّ للهجر عند "الريحانيّ"بصفة عامة وهجرة "الأرطاوية" فيها بصفة خاصة، فهو ليس كغيره من الثبوت التاريخيّة عند مقارنته بكثير من المؤرخين أو الباحثين. وليس سببية ذلك أنه أفند للهجر فصلًا كاملًا جاء تحت عنوان "البدو الهجر" في كتابه عن "نجد وملحقاتها" -الفصل (٢٨) تحديدًا- ولكن لجملة من الأسباب يأتي في مقدمتها ما يأتي:

- **جاءت نظرته الأولى في معالجته للهجر من خلال إبراز مخرجاتها الوظيفيّة التي بها أصبحت مظهرًا عمرانيّا مختلفًا تمامًا عما هو كان قائمًا من قبل على مستوى منطقة نجد وملحقاتها والحجاز.**
- **استطاع أن يربط بين مخرجات الهجر الوظيفيّة من ناحية، وبين الكيفية أو الدافعية أو السببية غير المباشرة التي كانت وراء إنجاح هذه المخرجات وذلك عندما أوضح أن الإمام "عبد العزيز بن سعود"أمر كل من سيستقر في الهجر الجديدة ببيع مواشيهم. والحقيقة أن هذه النقطة تحديدًا توضح أن ابتغاء التغيير سعيًا إلى بلوغ غايات محددة أمرٌ يحتاج إلى فكر تنمويّ استباقيّ يدرك ما ستؤول إليه نتائج الخطوات التنفيذيّة في ظل مركزية مستنيرة.**
- **أوضح في عبارة قصيرة لم تتجاوز (٧) كلمات أدق دقائق فكر الإمام "عبد العزيز بن سعود" التنمويّ بصدد بلوغ مقاصد التغيير وتتمثل في: "أمرتهم ببيع مواشيهم وبنيت لهم الدور". فسعي الإمام "عبد العزيز بن سعود" اقترن بفعلين مختلفين في ذات الزمن الواحد. فأما الأول: فلقد اقترن ببيع المواشي (الإبل تحديدًا) لضمان عدم عودة البدو إلى حياة الترحال والحد منها والتخلي عن حياتهم القديمة أما الأمر الثاني: فلقد اقترن ببناء الدور لضمان استقرارهم وعَصَبَهم ببيوتهم وقريتهم الجديدة.**

وبصدد هجرة "الأرطاوية" فلقد أقر بتأسيسها في عام (١٩١١)، وبعيدًا عن إقرار الكثير من الباحثين بأن تأسيسها كان في عام (١٩١٢) إلا أن الباحث يجنح إلى ما أورده "الريحانيّ"؛ كونه كان الأقرب إلى معايشته الحدث، لا بعدّه مؤرخًا إنما بعدّه أحد المستشارين للإمام "عبد العزيز بن سعود".

٤ –الثبت الرابع: (خير الدين الزركليّ) في عام (١٩٢٨)

الأطر السببية، والخصائص الاجتماعية الدقيقة تلك هي الصفة الغالبة على كتاب "خير الدين الزركليّ" الذي جاء تحت عنوان "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز". وبصدد هجرة "الأرطاوية" فلقد جاءت في سرد تتابعيّ على نحو ما يأتي: "**أُنشيءت الهجرة الأولى على آبار الأرطاوية الواقعة على الطريق بين الزلفى والكويت عام (١٣٣٠هـ)/(١٩١٢م) وسكنها سعد بن مثُيب من حرب (أي: ينتمي لقبيلة حرب) ثم أُعطيت إلى فيصل الدويش وجماعته من مطير (أي: قبيلة مطير) وأصبحت خلال بضع سنوات مدينة عامرة فيها من السكان ما يزيد على عشرين ألفًا. وتبع إنشاء هجرة الأرطاوية قيام حركة بين البدو، لترك حياتهم البدويّة والسكنى في قرى جديدة كانوا ينشيءونها بمعونة بيت مال المسلمين. حيث تُحفر البئر، ويُبنى المسجد الذي هو مجتمع القرية ومدرستها وتُبنى البيوت بسرعة**" (خير الدين الزركيلي، ١٩٨٨: ٧٠)

٥ – الثبت الخامس: (فؤاد حمزة) في عام (١٩٣٦)

الأطر العامة للخصائص الطبيعية، والأحوال الاجتماعية في الجزيرة العربيّة. تلك هي الصفة الرصينة الغالبة على كتاب "فؤاد حمزة" الذي جاء تحت عنوان "قلب جزيرة العرب". وبصدد هجرة "الأرطاوية" فلقد جاءت في سرد من الإيضاح الوظيفيّ تمثل في النحو الآتي: "**أنشيءت الهجرة الأولى على آبار "الأرطاوية" الواقعة على الطريق بين "الزلفى" (محلة عمرانيّة)، و"الكويت" عام (١٩١٢). وسكنها "سعد بن مثيب" ثم أُعطيت لـ "فيصل الدويش" وجماعته من "مطير"، وأصبحت خلال بضع**

سنوات مدينة عامرة فيها من السكان ما يزيد عن العشرين ألفًا. وتلى إنشاء هجرة "الأرطاوية" حركة عامة بين البدو لترك حياتهم البدويّة والسكنى في قرى جديدة كانوا ينشؤونها بمعونة بيت مال المسلمين. حيث تحفر البئر ويبنى المسجد الذي هو مجتمع القرية ومدرستها، وتبنى البيوت بسرعة. وكانت أول هجرة البدو من بداوتهم إلى دار الهجرة، هجرة دينية محضة، فباعوا الإبل، وأهملوا أمرها، وشرعوا في دراسة الدين، فغصت المساجد بهم فأصدر العلماء فتوى شرعية بضرورة العمل للكسب من التجارة والزراعة، فأقبل أهل الهجر عليها وقد دعوا أنفسهم الإخوان. ولقد ورد في كشف الهجر التي حضر مندوبوها اجتماع الجمعيّة العمومية الذي عقد في الرياض في عام (١٩٢٧) اسم (١٧٢) هجرة. والهجر من حيث الحرب والسياسة معسكرات منتشرة في أنحاء البادية، والإخوان جند هذه المعسكرات يسيرون بأمر القائد الأعظم عبد العزيز بن سعود في أي وقت شاء. والهجر من حيث الدين مساجد غاصة بأهلها ممن تركوا الخرافات والبدع وعادات الجاهلية وعُرف البوادي وانقلبوا إلى الحياة الدينية. والهجر من حيث العمران والاجتماع، سبيل لنقل البدويّ المتنقل من حياة الراعي والصياد، إلى حياة الزارع المستقر، وهي الخطوات الأولى في العمران البشريّ، والحياة المدنية الدائمة" (فؤاد حمزة ،٢٠٠٢: ٣٧٥).

تلك هي رؤية "حمزة"، وتكمن قيمتها في إيضاحها الوظائف التي أُنيطْت بها الهجر. فهي لم تبن بوصفها نتيجة الانتشار العمرانيّ في مرحلة ما، بل شُيدت لإتمام مهام محددة من الناحية السياسيّة، والدينية، والعمرانيّة. وفي الحقيقة فهذا أمرٌ واضح لا خلاف عليه من الناحية الوظيفيّة، أما ما يحتاج إلى إدراك وفهم دقيق ما يرتبط بكيفية التوازن بين هذه الوظائف مجتمعة، وبعبارة أخرى أخرى ما تلك الكيفية التي من خلالها أمكن توظيف الهجر للقيام بوظائفها في إطار من التوازن؟ والقول: إن الإجابة عن ذلك السؤال لا يعد أمرًا عابرًا يخلو من الأهمية؛ إنما أمر الجوهر الذي كان نتاجه الإمكانات على توظيف "الهجر" لغرض ما من ناحية، أو عدم الإمكانات

على توظيف الهجر من ناحية أخرى. وبأكثر واقعية مدى الإمكانات على سيطرة الإمام "عبد العزيز بن سعود" على الهجر وتوجيهها لإتمام مهام معينة، أو خروج "الهجر" عن هذه السيطرة ومن ثم مهامها. ولقد كان لكلا الأمرين العديد من النتائج التي رُجحت في النهاية لصالح بناء الدولة.

٣ – الثبت السادس: (حافظ وهبة) في عام (١٩٣٨)

تتصف رؤية "حافظ وهبى" التاريخيّة بالشمولية المقْتضبة، ولعل ذلك يتضح من خلال كتابه عن "شبه الجزيرة العربيّة" الذي جاء تحت عنوان "جزيرة العرب في القرن العشرين". وبصدد هجرة "الأرطاوية" فقوله: "**إن أول هجرة بُنيت هي هجرة الأرطاوية سنة (١٩١١)، وسكنها خليط من قبائل "حرب"، و"مطير"، ثم هجرة "الغطغط" (الهجرة الثانية)، وسكانها من عتيبه ثم "دخنه" (الهجرة الثالثة)، وأكثر سكانها من "حرب"، ثم "الأحْفر" وأكثر سكانها من "شَمَّر"، وتبلغ الهِجَر نحو ستين هجرة ولكن أهمها ما تقدم. ثم أخذت الهجر تنتشر بسرعة، وأخذت العشائر تُقلد بعضها في ترك حياة البادية التي أصبحت تسمى عندهم بالجاهلية كما يسمون الحياة الجديدة بالإسلام/ إن حياتهم الأولى تشبه في كثير من الوجوده حياة الجاهلية، كما أن حياتهم الأخيرة تشبه حالة الإسلام في أيامه الأولى. فعكف أكثرهم على تعلم مبادئ القراءة، وحفظ شيء من القرآن والحديث. غير أن الانقلاب كان خطيرًا وعنيفًا. لقد تشرب هؤلاء كثيرًا من المبادئ والتعاليم الناقصة؛ حتى اعتقدوا أنها هي الدين، وما سِواها ضلالة، كما أساءوا الظن بغيرهم من حضر "نجد"، بعد أن تولى أمرهم الإمام "عبد العزيز"** (حافظ وهبة،١٩٥٦: ٥٨–٥٩). وبناءً على ما سبق فإن "حافظ وهبة" يرى أن الثبت التاريخيّ لهجرة "الأرطاوية"، يُنسب إلى عام (١٩١١) بدلًا من عام (١٩١٢) وذلك على نحو ماتم الإشارة إليه عند "رونكيير"، و"جون فيلبي". وفي حقيقة الأمر فهذا شأن يمكن الرد عليه بأن معرفة "وهبة" برؤى الإمام "عبد العزيز" وقربه منه آنذاك جعله ينسب تاريخيّة رؤيته لنشأة هجرة "الأرطاوية"

بدلًا من نسبه لتاريخيّة نشأتها الفعلية، وهذه أمور من الناحية التاريخيّة لا تمثل عائقًا أمام تحري المعرفة. بيد أن قيمة ما أتى به "وهبة" لا تكمن في ذلك؛ إنما تكمن في باعثين لا يقلان من حيث الأهمية عن بواعث الفكر التنمويّ التي يمكن استخلاصها مما جاء به "جون فيلبي" على نحو ما سبق. بل هما يستكملان جزءًا أصيلًا في بنائية الفكر التنمويّ إذا ما أُحسن الإلمام بآلياتها. ويتمثل هذان الباعثان فيما يأتي:

- **التداعي، فالنجاح يستدعي المزيد ويدفع بعضه إلى بعض، ولعل ذلك ما يمكن استخلاصه من انتشار "الهجر" بطريقة سريعة؛ ومن ثم فالتنمية بوصفها عملية تحتاج إلى برهنة وجودية وإثباتات انتفاعية لترسيخ مراحلها والدفع بها إلى الاستمرارية.**
- **الاستيعاب، الاستيعاب، الاستيعاب، نعم ... تعد عملية استيعاب التغيير أحد الضوابط الضامنة لبلوغ الغاية أو الهدف من عملية التنمية أو من إدراك التغيير، وهذا ما لم يدركه بعضهم في العديد من قرى الهجر بعد نشأتها، حيث اعتقدوا أنهم هم الدين وما سواهم ضلالة[١].**

والحقيقة أن الجزء الأخير من الفقرة السابقة لا تقتصر أهميته على أنه أحد بواعث الفكر التنمويّ فحسب، بل تكمن أهميته فيما هو أبعد من ذلك وعكسه. فلقد جاء في نهاية الفقرة السابقة ما يأتي: **غير أن الانقلاب كان خطيرًا وعنيفًا. لقد تشرب هؤلاء كثيرًا من المبادئ والتعاليم الناقصة؛ حتى اعتقدوا أنها هي الدين، وما سِواها ضلالة، كما أساءوا الظن بغيرهم من حضر "نجد"، بعد أن تولى أمرهم الإمام "عبد العزيز"**. وهنا يكمن أحد المداخل الخفية التي أثرت في مستقبل جغرافيات عمومية

---

[١] **يتحدث "حافظ وهبة" عن هذا الأمر باستفاضة، ومما أشار إليه أنهم أصبحوا يعتقدون أن لبس العمامة هي السنة، وأن العقال من البدع المنكرة. بل غالى بعضهم فجعله من لباس الكفار ويجب مقاطعة لابسيه. وكان كثيرًا منهم يعتقد أن لا إسلام لمن لم يسكن الهجرة مهما كان عليه من الإسلام، وترك شرور البادية وعوائدها. فلا يبدأون بسلام ولا يردون عليهم السلام، ولا يأكلون ذبائحهم، وذنب هؤلاء عندهم هو عدم سكنى الهجرة (حافظ وهبة،١٩٥٦: ٢٨٦). وفى حقيقة الأمر فإن "وهبة" يستفيض في تلك الأمور في فصول كاملة من كتابه الذي يحمل عنوان " جزيرة العرب في القرن العشرين" وكذلك " جون حبيب" في كتابه الذي يحمل عنوان "الإخوان السعوديون في عقدين".**

"الهجر". فالمقصود بهذه العبارة أن سكان "الهجر" –الذين يعرفون بإخوان الهجر– بمعرفتهم للقليل من تعاليم الدين تراءى لهم أنهم وحدهم الذين يملكون حق المعرفة أما غيرهم فهم دونهم؛ ومن ثم فقدت الأحيزة الجغرافية الهجرية الرابط السُريّ الذي كان يعصمها من الذاتيّة مقابل الشمولية، بل فقدت بسببية ذلك اتجاهاتها الوظيفيّة التي من أجلها كانت مساعي تأسيسها. ولعل ذلك ما أشار إليه "الريحانيّ" بطريقة غير مباشرة من خلال عبارة عبقرية أوضح فيها أن توحيد السيادة العربيّة السائرة البلاد نحوها، تضيِّق من طبعها مجال الغزو وتزيله في النهاية تمامًا (أمين الريحانيّ، ١٩٢٧: ٢٦٣). وفي إطار هذه النقطة تحديدًا يذهب الباحث إلى ما هو أكثر من ذلك، حيث يظن أن بسبب ذلك فقد الإمام "عبد العزيز بن سعود" **ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها في عام (١٩٢٧)** جزءًا من رؤيته السياسيّة التي كانت تتجاوز الحدود التي تأسست بها "المملكة العربيّة السعوديّة"، بل إن بسببية ذلك يمكن تقسيم حكم الملك "عبد العزيز بن سعود" –رحمه الله– إلى أربع فترات رئيسة هي على النحو الآتي:

الفترة الأولى: من عام (١٩٠٢) إلى النصف الأول عام (١٩١٢).

الفترة الثانية: من النصف الثاني من عام (١٩١٢) إلى النصف الأول من عام (١٩٢٧).

الفترة الثالثة: من النصف الثاني من عام (١٩٢٧) إلى عام (١٩٣٢).

الفترة الرابعة: من عام (١٩٣٢) إلى عام (١٩٥٣).

واستكمالًا للظن السابق، فإن الفترة (الثالثة) تعد أهم الفترات من دون أي مبالغة. وقد يرى بعضهم ذلك صحيحًا، حيث تم الإعلان عن تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" بعد ذلك في عام (١٩٣٢). والحقيقة أن الرؤية هذه هي الظاهر الذي قد يرتضي به بعض الباحثين، أما القيمة الباطنة التي يُرتضى بها في إطار استكمال الظنون فأن أهمية تلك الفترة تكمن في تغيير إستراتيجية الملك "عبد العزيز بن سعود"؛ حيث إنه توقف عن ضم أي ملحقات أخرى إلى مملكته وتم الاكتفاء بضم "الحجاز" و"نجد" وملحقاتها في إطار مملكة واحدة تم الإعلان عن تأسيسها. أما فيما يتعلق بفهم القيمة

هنا فيكمن في أن الاتجاهات الوظيفيّة لجملة "الهجر" قبل عام (١٩٢٧) اختلفت تمامًا عما أصبحت عليه بعد عام (١٩٣٢). وهنا يطغى السؤالان المهمان في الدراسة ومضمونهما:

- **ماذا يحدث لو لم تتغير إستراتيجية الملك "عبد العزيز بن سعود" خلال الفترة من عام (١٩٢٧) إلى عام (١٩٣٢؟**
- **ماذا يحدث لو لم تتغير إستراتيجية الملك "عبد العزيز بن سعود" عن القواعد الأولى التي وضعها للهجر؟**

ولسوف تكون الإجابة أن "المملكة العربيّة السعوديّة" كانت ستغطي ملحقاتها الجزء الأكبر في الفراغ السياسيّ الناجم عن ضعف "الدولة العثمانية" في "شبه الجزيرة العربيّة" وانتهاء عهدها بعد الحرب العالمية الأولى.

والمحصلة، فحتى النصف الأول من عام (١٩١٢) لم يكن في منطقة "نجد" أي محلة عمرانيّة عُرفت باسم "الأرطاوية" إنما وجدت مجموعة من الأعلام العمرانيّة تمثلت في "الرياض"، و"عنيزة"، و"بريدة"، و"الزلفى"، وفيما عدا ذلك فهو نسيج عمرانيّ ترامت جغرافياته من خلال حركة القبائل البدويّة التي تمثلت في قبيلة "حَربْ"، و"قحطان"، و"مطير"، و"عتيبة"، وشمرَّ"، و"الدواسر"، وبتلك الأعلام، وبنسيج حركة القبائل تكونت شريحة اجتماعية "نجدية" اتصفت ببعض الخصائص التي اختلفت بها عما جاورها من شرائح اجتماعية شرقًا وغربًا". وفي إطار من القصدية نحو بلوغ غاية محددة؛ شهد النصف الثاني من عام (١٩١٢) نشأة "الأرطاوية" التي مثلت الهجرة (الأولى) في منظومة تسارع عددها؛ حتى بلغ في عام (١٩٢٧) نحو (١٢٢) هجرة انتشرت في الشريحة النجدية. وفي حقيقة الأمر فإن بين نشأة "الهجرة" الأولى في عام (١٩١٢) (وما اصطحب ذلك من دلالات سياسيّة، ودينية، وعمرانيّة)، وانتشارها في إطار المزيد الذي بلغ في عام (١٩٣٢) نحو (١٧٢) هجرة تكمن قيمة غير مرئية تتمثل في الإجابة عن ذلك السؤال التاريخيّ الذي مضمونه: **لماذا نجح الإمام "عبد**

العزيز بن سعود" فيما لم تنجح فيه الأسرة المالكة الهاشمية في الحجاز على الرغم من كونها كان لديها سبق وجوديّ ومكانة متقدمة في العلاقات الخارجية؟ وبقول ثانٍ: لماذا نجح الإمام "عبد العزيز بن سعود" في توحيد الجزء الأكبر من الجزيرة العربيّة فيما لم ينجح فيه ملك "الحجاز"؟ وبقول ثالث: لماذا نجح الإمام"عبد العزيز" في توحيد الجزء الأكبر من الجزيرة العربيّة فيما لم ينجح فيه الملك "حسين" الذي نصب نفسه زعيمًا للعرب؟

وفي عبارة تختزل الإجابة عما سبق كله يقول "الريحانيّ": باشر "ابن سعود" إصلاحه الكبير بالواسطة الدينية، فكان يرسل المطاوعة إلى البادية ليعلموا أهلها دين التوحيد والفرائض، ويزينوا لهم هجر ما هم فيه إلى إيمان يستشعرون، وبيت يأوون، وأرض يحرثون. وقد استخدم في التحضير القوة المدنية أيضًا، فكان السيف يتقدم المطوّع في بعض الأحايين أو يتبعه كما تقتضي الأحوال. تجاوز التطور في البدو حده الدينيّ، فصاروا يهجرون ما هم فيه ليس إلى الله والتوحيد فقط، بل إن الشريعة والنظام، وطاعة الحكام، واحترام حياة الأنام (أمين الريحانيّ،١٩٢٧ :٢٦١).

المحور الثالث:

هجرة الأرطاوية

القالب السكانيّ ... والانتشار المكانيّ

نعم ... لا يتفق الباحث مع ما ذهب إليه جون حبيب" بصدد جدوى تغيير البدو (على الرغم من استدراكه لفحوى هذه الجدوى في العديد من فصول دراسته[١] التي تحمل عنوان الإخوان السعوديّون)، حيث يرى ما يأتي: "**إن الدروس الدينية الجديدة لم تغير أي جانب من الجوانب الأساسية في حياة البدو تغييرًا جذريًا؛ كما أن الغزو لم يكن حرامًا أو محرمًا عندهم. إن كل ما حدث هو أن أسلوب حياة هؤلاء البدو أُعيدت قولبته وأُعيد تشكليه ليناسب مجموعة من الظروف الجديدة**" (جون حبيب،١٩٩٨: ٩٤). والقول: إن الأحيزة الجغرافية الهجرية بما كفلته من أنظمة اجتماعية، واقتصادية، وسياسيّة جديدة في ظل إطار يغلفه الدين لم تعد قولبة البدو فحسب؛ بل شهدت التغيير فتأسست قوالب جديدة لم تعهدها سلطنة "نجد" من قبل، وفي إطار هذا التغيير والتأسيس يقول "أمين الريحانيّ" بناءً على تعايشاته الذاتيّة: "**أما سكان الهجر الآن، وهم الطبقة الأكثر عددًا فقد ألفوا الزراعة واستعذبوا ثمارها. وهناك الطبقتان الأخريان، أي: التجار والمطاوعة. أما من الوجهة الحربية فالهجرة تقسم إلى ثلاثة أقسام أخرى؛ لتلبية دعوات الحرب الثلاث، أي: الجهاد، والجهاد مثنى، والنفير. فالذين يلبون الدعوة للجهاد هم دائمًا مسلحون وعندهم مطايا وشيء من الذخيرة. والجهاد مثنى هو ضعف الجهاد، فيجيء كل مجاهد بآخر يردفه ذلوله.**

---

[١] **توصف العديد من التقارير المعلوماتية الخاصة بالجزيرة العربية خلال العقد الثاني والثالث من القرن العشرين بالتناقض، ليس على مستوى جملتها فحسب بل على مستوى التقرير الواحد. كما توصف العديد من الدراسات التاريخية الناجمة عن تعايشات ذاتية في الجزيرة العربية خلال نفس العقدين بالتناقض المعرفيّ أيضًا. والقول في ذلك هو عدم إدراك جزء من المكون العام الذي كان يدفع بعملية التغيير على مستوى الشريحة الوسطى من الجزيرة العربية أو حتى الشرقية أو الغربية آنذاك. وفيما يتعلق ب - "جو حبيب" فهو يخرج من إطار تلك الحقبة التاريخية؛ كونه من الدارسين الذين لا ينتمون إليها زمنيًا، حيث ينتمي إلى حقبة النصف الثاني من القرن العشرين، وتحديدًا خلال العقدين السادس والسابع فيه؛ الأمر الذي يعني أن معايشته الذاتية إنما جاءت بعد انقضاء ما يقرب من نصف قرن على نشأة "الأرطاوية". وعلى الرغم من ذلك فالعديد من آرائه وملاحظاته تتسم بالدقة التي يُستدل من خلالها على صدق الحدث الذي يشير إليه.**

وهم الذين يلبون الدعوة الثانية والأحرى أن يسموا الرديف. أما القسم الثالث من الذكور فهم الذين يبقون في أيام الحرب في الهجر؛ ليداوموا أعمال التجارة والزراعة، ولا يُدعون للحرب إلا إذا اضطر صاحب البلاد إلى الاستنفار العام. ومن حقوق الإمام وحده أن يدعو إلى الجهاد والجهاد مثنى. أما الاستنفار العام الذي لا يكون إلا للدفاع عن الوطن، فهو حق العلماء. ولكن السلطان يكتب إليهم معلنًا حاجة البلاد إلى الدفاع، فيبادرون إلى استنفار الناس أجمعين: البدو والحضر والمهاجرين" (أمين الريحانيّ،١٩٢٧: ٢٦٤). وعلى الرغم من كونهما رأيين مختلفين فإنّ كلًا من "حبيب" و"الريحانيّ" أقرا بأن هجرة "الأرطاوية" تعد نموذج الإثبات التطبيقيّ على وجود التغيير، وذلك من خلال جغرافياتها التي تحددت خصائصها بما يتفق مع مقتضيات رؤية الملك "عبد العزيز بن سعود" وفيما يأتي توضح ذلك.

أولًا– هجرة الأرطاوية وخصائصها العمرانيّة.

اعتمادًا على العديد من الآراء يمكن التعرف إلى خصائصها العمرانيّة على ضوء الأبعاد الآتية.

١ –اختيار المكان الأنسب.

وبعيدًا عن أي اجتهادات من شأنها أن تؤدي إلى الاختلاف، فإن عملية اختيار الأمكنة التي ستتضمن "الهجر" لم تكن عملية اختيارية بقدر ما كانت عملية انتقائية تخضع في المقام الأول إلى مكامن الماء ومدى إمكانيّة الحصول عليه؛ ومن ثم لم يكن هناك اجتهاد في الاختيار. وفي ذلك يقول "الريحانيّ": **كان "ابن سعود" يعين بقعة من الأرض فيها ماء لقبيلة أو لفخذ منها فتنزح إليها وتباشر بناية البيوت فيها، وكان "ابن سعود" يساعد ماليًا في بناء البيوت الجديدة** (أمين الريحانيّ، ١٩٢٧: ٢٦٢). وفي إطار ذلك يقول "حبيب": "**تقع هجرة الأرطاوية في وادٍ يحمل الاسم نفسه. وعندما تسقط الأمطار الغزيرة على حوض الرمة يتحول وادي الأرطاوية إلى سيل جارٍ، وقد حاول أهل البلدة الاحتفاظ بجزء من ذلك الماء فبنوا**

سدًا بدائيًا صغيرًا، ولكنه كان مفيدًا يحتجز كمية كبيرة من الماء وما زال هذا السد قائمًا (جون حبيب ١٩٩٨: ١٠١).

٢ –الموقع الجغرافيّ.

وفي إطار الانتقاء الذي يعتمد على الماء تأسست هجرة "الأرطاوية" بالقرب من أطراف القصيم على الطريق من "الكويت" إلى "بريدة، وتحديدًا في وسط الطريق بين "نجد" و"الأحساء" (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ١٠٤) وذلك على نحو ما اتضح من الشكل رقم (٧) بالمحور الثاني في الدراسة.

٣ –المخطط العمرانيّ.

وفي ذلك يقول "حبيب": "**ولقد أنشئت الأرطاوية بناءً على مخطط رئيس يشبه العجلة (دولاب صناعة الفخار)، يقع المسجد وميدان القرية في منتصفها على وجه التقريب. وكان يحيط بالبلدة سور من اللبن يصل ارتفاعه إلى نحو (١٢) مترًا تقريبًا (لم يصب الجزء الأكبر منه أي أذى إلى الآن، وهي تلك الفترة الزمنية التي زار فيها جون حبيب الأرطاوية وكان ذلك خلال العقد السادس من القرن العشرين)، له مداخل ومخارج تتحكم فيها أربع بوابات من ناحية الشرق، والغرب، والجنوب، والشمال. وكما هو الحال في أي منطقة عسكرية فإن إسطبلات الخيل، ومخازن العلف كانت تتحدد مواقعها بشكل واضح في وسط البلدة بالقرب من الميدان. وفي ذلك الميدان كان الإخوان يرفعون علم الحرب (بيرق) إشارة إلى نداء بالحرب قد صدر إليهم. والمنازل جميعًا مكونة من طابق واحد، كما تجاور بعضها بعضًا على طول حارات ضيقة متعرجة لا تتسع إلا لمرور عربة تجرها دابة**" (جون حبيب ١٩٩٨: ١٠٢). وبصدد ذلك أيضًا يقول "صالح": "**وعلى الرغم من تفاوت الهجر من حيث مساحاتها وأحجامها، فإنه يمكن القول: إنها تتشابه من حيث تراكيبها الداخليّة. فالسوق والمسجد يمثلان قلب الهجرة، حيث يقومان في وسطهما، والبيوت تشكل المنطقة السكنية التي تشتمل على بيوت متلاصقة أحيانًا ومتفرقة أحيانًا أخرى**" (حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٥: ٣٢). واعتمادًا على ما جاء به "الريحانيّ"، "وحبيب"، و"الشامخ"، و"صالح"، ومعاينة بعض اللوحات التي توضح من كانت عليه

الجغرافيات التاريخيّة لهجرة "الأرطاوية" يمكن القول: إن المخطط العمرانيّ العام لهجرة "الأرطاوية" كان يتكون على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٨).

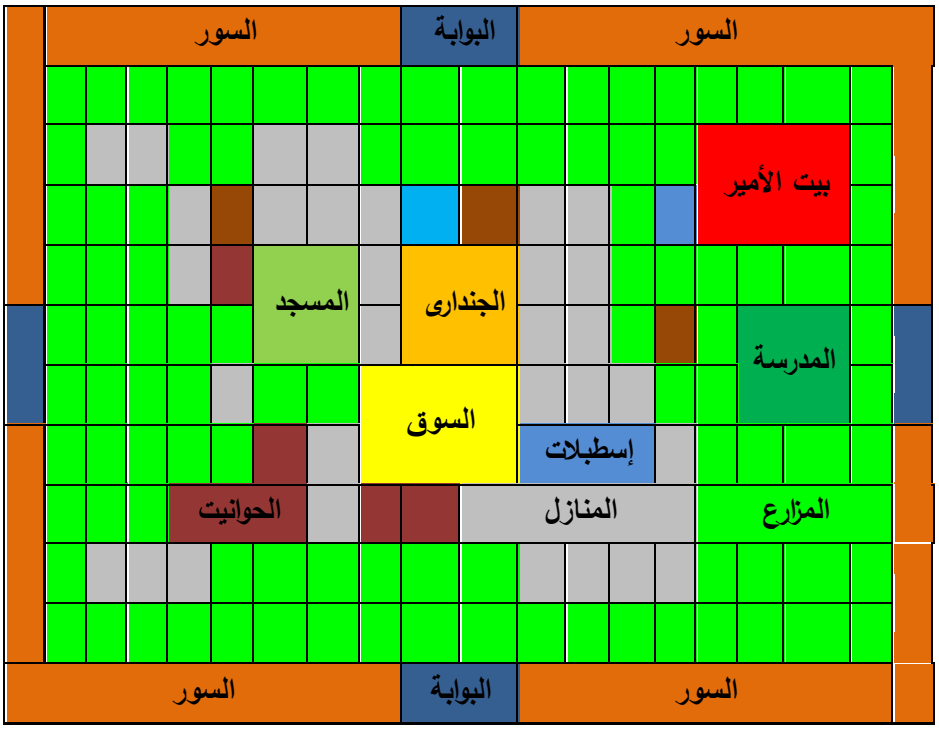

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٨): المخطط العام لهجرة الأرطاوية

٤ –المساكن ومادة البناء[١].

وفي ذلك يقول "حبيب": **وبيوت البلدة مبنية من الطوب اللبن ولونها يشبه الصدأ، ولم تكن المنازل تحظى بأي شكل من أشكال الزينة أو الطلاء اللهم إلا من بعض الدهان الأبيض من حول النوافذ والأبواب في بعض الأحيان** (جون حبيب ١٩٩٨: ١٠٢). وبصدد ذلك أيضًا يقول "صالح": **وقد بنيت البيوت من اللبن، حيث**

[١] **في حقيقة الأمر لا يوجد الآن ما يُعرف بهجرة "الأرطاوية"، بل يوجد مركز "الأرطاوية" الذي يتضمن مدينة "الأرطاوية" التي تقع إلى الشمال الغربيّ مما تبقى من جغرافيات هجرة "الأرطاوية" التاريخية. ولقد أضحت هذه الجغرافيات واقعًا تراثيًا غير مؤهل تشهد بقاياه بأنه كان ذا شأن في فترة زمنية سابقة، وتوضح اللوحات رقم (٢)، و(٣)، و(٤)، و(٥) أطلاله.**

كان الطين يمزج مع قش القمح لصناعة القوالب التي تبنى منها جدرات البيوت، ثم تغطى الجدران بطبقة رقيقة من الطين المخلوط بالتبن؛ لضمان تماسكها وقوتها، واستخدمت الصخور الكلسية والأنواع الأخرى من الصخور المحلية في تدعيم قواعد البيت وأعمدته المساندة، كما استخدمت أخشاب أشجار النخيل والأثل في صناعة الأبواب والنوافذ وفي بناء الأسقف (حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٥: ٣٢).

٥ –المساكن والتركيب الداخليّ.

وفي ذلك يقول "حبيب": "**وغالبية المنازل مكونة من غرفتين أو ثلاث، إحداهما غرفة القهوة وتحتوي على موقد نجديّ تمامًا. وكان لكل منزل بئره الخاصة، والسبب في ذلك أن نساء الإخوان لم يكن مسموحًا لهن باستعمال الآبار العامة**" (جون حبيب، ١٩٩٨: ١٠٤). وبناءً على ما سبق فإن المخطط العمرانيّ لهجرة "الأرطاوية لم يكن سوى المجال التطبيقيّ الأول الذي تعلم به، ومنه، وفيه الإمام "عبد العزيز" الكيفية التي يمكن من خلالها إدارة الجنود، لا لشيء إلا لأنه مخطط توظيفيّ جاء ليتلاءم مع خدمة المعسكرات في إطار غلب عليه الدين.

اللوحة رقم (٢): الجزء الشرقيّ من السوق

اللوحة رقم (٣): توزيع المساكن بجانب السور الشرقيّ

اللوحة رقم (٤): الشارع الذي يقود إلى مسكن الأمير

اللوحة رقم (٥): الحوانيت في إطار الميدان

ثانيًا – هجرة الأرطاوية والتقدير الحجميّ للسكان.

ما بين "جون فيلبي"، و"هاميلتون"، و"جون حبيب"، يأتي تقدير حجم سكان "هجرة الأرطاوية" خلال العقد الثاني من القرن العشرين في إطار غلب عليه التفاوت البين. والقول: إن لذلك أسبابًا عديدة، ترتبط في المقام الأول برؤية صاحبها من ناحية وطريقته التي اتبعها في تقدير السكان من ناحية أخرى، وفيما يأتي محاولات ثلاث:

١– المحاولة الأولى: العقيد هاميلتون في عام (١٩١٧).

وعلى الرغم من كونها تنسب إلى "هاميلتون" فإن راويها هو "جون فيلبي" ذاته، وعن تلك المحاولة يقول: "**سنحت الفرصة للعقيد هاميلتون في أثناء رحلته التي قام بها إلى الرياض في شهر أكتوبر من العام (١٩١٧) أن يمر خلال يوم كامل من رحلته بالقرب من "الأرطاوية" التي تعد مركزًا من مراكز الحركة الوهابية الجديدة التي تربطها علاقة أخوة بالإخوان. وقد تأثر "هاميلتون" بما سمعه عن مبادئ ذلك المذهب المتشدد، وأنه قبل بلا مناقشة تقديرًا محليًا**"[(١)]**، أعطى البلدة عددًا من السكان يقدر بنحو (٣٥٠٠٠) نسمة. وأنا على يقين أن العقيد "هاميلتون" لو أعمل فكره قليلًا في ذلك الرقم لما قبل أن يورد ذلك الذي سمعه من دون أن يقوم بالمزيد من التحري، ويحتمل أنه لم يتوقع أن يؤخذ ذلك التقرير مأخذ الجد**[(٢)] **ففي المقام الأول لم يكن محتملًا منذ الوهلة الأولى أن تنمو الأرطاوية خلال عامين من الزمن لتصبح مدينة في حجم أكبر المدن في المنطقة الوسطى؛ وفي المقام الثاني – وهذه النقطة استنتاجية من وجهة نظري – فإن التقديرات الوطنية للسكان لا يمكن الاعتماد عليها، وربما كان من الأفضل اللجوء إلى خطة "دوغتي" التي تقتضي**

---

(١) يُلاحظ أن "جون فيلبي" يملي رأيه تصويبًا فيما يختص بـ"هاميلتون" دون اعتبار إذا كان "هاميلتون" ذاته كان يقتنع بذلك أم لا. والقول: إن ذلك يعدّ تعديًا قصديًا، في حاجة إلى مراجعة تاريخية قد تصل نتيجتها إلى حد عدم صحتها؛ الأمر الذي يجعل غيره من الدارسين يعتقد أن "جون فيلبي" ذهب فيما ذهب إليه؛ ليسوغ تقديره السكانيّ الذي خلص إليه، وذلك بعد أن أتى "هاميلتون" بتقدير سكانيّ آخر.

(٢) تمثل هذه العبارة تحديدًا تعديًا منهجيًا على ما أتى به "هاميلتون"؛ ولاسيما أن "جون فيلبي" ذاته قد أخذ تقديره للسكان من وراء نظارة مُقربه، ومما يدعو للاستغراب أن "فيلبي" يوجه "هاميلتون" إلى فعل ما لم يقم به.

تخفيض مثل هذه التقديرات بنسبة ٩٠ في المئة في مثل هذه الحالة" (جون حبيب،١٩٩٨: ١٠٠). وعلى ضوء ما سبق، فإن "جون فيلبي" فيما يختص بتقدير حجم السكان لا يزكي إلا نفسه ومن بعده "دوغتي" الذي بتطبيق خطته لن يتجاوز تقدير حجم سكان القرية (٣٥٠٠) نسمة. وأيًا كان الأمر فالهجرة تعكس واقعًا، مضمونه: أن ثمه تغييرات أضحت واقعًا ملموسًا في منطقة لم تشهد ذلك من قبل؛ إذن، تلك كانت محاولة "هاميلتون"، وعلى الرغم من كونها محاولة تقديرية نتاج تعايش محليّ؛ فإن "جون فيلبي" لم يقبل بها. والحق أن "هاميلتون" حاول وسعى في تقديره جاهدًا غير أن التقدير قد يكون أقل من ذلك لكن ليس بالوتيرة التي جاء بها "جون فيلبي". ومن الجدير بالذكر أن مدينة "الأرطاوية" (فى الوقت الحاليّ)، بما تشتمله من مراكز (والتي تقع في الجزء الشماليّ الغربيّ من الحيز الجغرافيّ الذي كانت تشتمله هجرة الأرطاوية)، يدور تقدير حجم سكانها في عام (٢٠١٦) حول (٣٥) ألف نسمة (مصلحة الإحصاء، ٢٠١٦)، تمامًا كما أتى به "هاميلتون". ولعل في ذلك ما يشير إلى أن هذا الحجم يمثل حد التشبع الأعلى بالسكان الذي كانت تستطيع هجرة "الأرطاوية" استيعابه قديمًا ولم تستطع "مدينة "الأرطاوية" حديثًا أن تتجاوزه. والأمر كله في إطار من التوازن للماء فيه الكلمة الأولى.

٢- المحاولة الثانية: جون فيلبي في عام (١٩١٨).

وفى حقيقة الأمر فإن هذا التقدير قد يظن بعضهم أنه يقترب من الصحة وذلك بعد مرور (٦) أعوام على إنشاء الهجرة؛ بيد أنه تقدير جاء به من وراء حجاب؛ نعم ... فلقد تجنب "فيلبي" زيارة هجرة "الأرطاوية"، وجاء تقديره هذا؛ اعتمادًا على مجموعة من الملاحظات قام بها من خلال استقصائها بنظارته المعظمة، معترفًا أنه ومن معه قرروا أن يتحاشوا زيارة "الأرطاوية" وعن ذلك يقول: "**إذ لم أرغب مطلقًا في**

المخاطرة بجلدي في "الأرطاوية"[١]، فالبلدة كانت علامة بارزة في التاريخ، وكان الجميع يخشونها بطول الجزيرة العربيّة وعرضها، كما كان المسلمون الذين يعتنقون مبادئ الوهابية بشكل عام يتحاشون تلك البلدة أيضًا". لقد شاهدت البلدة من مسافة قريبة في شهر أكتوبر من العام (١٩١٨) الميلاديّ، وأنا مقتنع بأن سكانها لا يمكن أن يزيدوا على (١٠٠٠٠) إلى (١٢٠٠٠) نسمة" (جون حبيب،١٩٩٨: ١٠٤). وبناءً على ذلك، فلقد كان "جون فيلبي" قيمًا على ذاته موضحًا عدم إمكانيّته للقيام بزيارة هجرة "الأرطاوية" والقول في ذلك أن ثمة تغيرات جديدة، وجغرافيات مستولدة سواء أكان ذلك على مستوى هجرة "الأرطاوية" أم حتى على مستوى جملة الأحيزة الجغرافية الأخرى في "نجد". ولقد خشيها "جون فيلبي" سماعيًا قبل أن يقترب منها مكانيًا. وقد يكون معه الحق، غير أنه الحق الذي يستند إلى عدم إمكانيّة مواجهة التغيير لا إلى نتائجه. أي: أن ثمة تغييرًا حدث بالفعل بيد أنه تجاوز استيعاب قدرته فخشيه قبل التعرف إليه مكتفيًا بنظارته التي قربت إليه نتائج فعل التغيير، وحالت دون تقريب جوهره، فجاء تقديره على نحو ما سبق.

٣- المحاولة الثالثة: جون حبيب في عام (١٩٦٨).

للاجتهاد قيمة، غير أنه ليس من المفترض الإقرار بنتائجه. وفي حقيقة الأمر تمثل محاولة "جون حبيب" التي قام بها إحدى طرق هذا الاجتهاد. وعن المحاولة يقول: "**حاولت الوصول إلى الرقم الصحيح لعدد سكان "الأرطاوية" (يقصد هجرة الأرطاوية التاريخيّة)، وذلك عن طريق المقارنة بين الحجم النسبيّ لكل من الغطغط (الهجرة الثانية التي أُنشئت بعد هجرية "الأرطاوية")، والأرطاوية. وفي شهر ديسمبر من العام (١٩٦٨) الميلاديّ رافق المؤلف أحد مخططي المدن المحترفين إلى الغطغط، وقام بدراسة سريعة للبلدة. ومن مكان في أعلى مئذنة (المسجد الرئيس)،**

---

[١] **كانت المسافة الآمنة التي أوردها "جون فيلبي"، بينه وبين رؤيته لهجرة "الأرطاوية" تقدر بنحو أربعة أميال (جون حبيب،١٩٩٨: ١٠٠)، والظن أن هذه المسافة يصعب في ظلها الإلمام بتفاصيل شبه دقيقة يمكن من خلالها الانتهاء إلى تقدير حجم السكان..**

في المدينة المدمرة (ما تبقى من هجرة الغطغط)، قام بعملية عد المنازل التي وصل عددها إلى (٥٠٠) منزل. ومن عدد المنازل استطاع أن يستنتج أن عدد سكان "الغطغط" كان يُقدر بنحو (٣٥٠٠) نسمة من ناحية أخرى. وبفرض أن تقدير مخطط المدن المحترف لسكان "الغطغط" كان صحيحًا، وبفرض أيضًا أن مساحة "الأرطاوية" كانت ثلاثة أمثال مساحة الغطغط فإن عدد سكان الأرطاوية لا بد من أنه كان يتراوح بين (١٠٠٠٠) و (١٢٠٠٠) نسمة" (جون حبيب، ١٩٩٨: ١٠١). تلك كانت محاولة "جون حبيب"، وللفرضيات فيها شأن واضح، بيد أن الأمر ينتفي في ظل ما جاءت به النظريات التي حاولت تقدير أحجام المدن بوصفها منظومة عمرانيّة بناءً على ما يُعرف الرتبة/الحجم. وأيًا كان الأمر فقد يبدو أن "جون حبيب" تشجع في ذلك؛ اعتمادًا على ما انتهى إليه "جون فيلبي".

والمحصلة تلك كانت ثلاث محاولات لتقدير حجم سكان هجرة "الأرطاوية" خلال نشأتها المبكرة. ولقد جاء مداها الحجميّ بين (١٠) آلاف نسمة و(٣٥) ألف نسمة. وعلى الرغم من هذا التفاوت فالقول: إن الهجر خلال العقد الثاني من القرن العشرين استطاعت اختزال الانتشار الأفقيّ للبدو في بؤر من التكثيف النوويّ عن عمدية قصدية لا اختيارية؛ ومن ثم فالأمر برمته يحتاج إلى محاولات أخرى مشروطة بإدراك ما كانت تعنيه الهجر من قيمة انتفاعية آنذاك.

ثالثًا – هجرة الأرطاوية ومدخلات المزيد من الأحيزة الجغرافية الهجرية.

وكما أن البقاء لا يعني الاستمرارية (كونه يعني مدى الإمكانات على الاستمرارية)، فإن التنمية لا تضمن النجاح إنما يؤخذ بأسبابها بوصفها محاولة لإدراك النجاح. وفي إطار ذلك كانت عملية اختيار أماكن الأحيزة الجغرافية الهجرية الجديدة من الأمور التي تتطلب معرفة دقيقة ببواطن المياه في صحراء تعاني الشح. وعلى إطار العمومية كان البئر هو العامل الأساسيّ لقيام الهجرة؛ ومن ثم ارتبطت عملية إنشاء الهجر بوجود الآبار أو حفرها. كذلك ارتبطت بالتنقيب عن المياه، ومعرفة

أنواعها من حيث المذاق، كداح أو ملاح، أو مجة؛ إذ معظم مياه الآبار في البادية لم تكن عذبة. وكذلك التمييز بين الآبار الخرايج، وهي العميقة الغزيرة المياه، أو الحسيان وهي القليلة العمق والتي تزداد وتقل تبعًا لكثرة الأمطار أو قلتها (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ٩٩). هكذا أقيمت كل هجرة على رأس بئر أو نبع ماء، أو حيث حُفرت الآبار في قيعان الأودية. ومن ثم كان لزامًا على صانع القرار إدراك ما سيرتكز عليه من خزنٍ مائيّ؛ لضمان توطين جملة من الأنوية العمرانيّة كان يسعى من خلالها إلى توحيد "نجد". وفي جملة واحدة، فلقد احتضن حوض "الرمة" مسؤولية ذلك. وهنا وفي هذه النقطة تحديدًا يكمن موضع عبقرية اتخاذ القرار. فالإمام "عبد العزيز بن سعود" الذي هو رأس الحكم يقطن مدينة "الرياض" التي تكاد تتوسط المسافة بين حوض "الرمة" شمالًا وحوض "حنيفة" جنوبًا وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (٩).

وفي إطار هذا التوسط تميل مدينة "الرياض" إلى القرب المكانيّ من حوض "حنيفة" لا من حوض "الرمة". وعلى الرغم من قرب رأس الحكم من حوض "حنيفة" فإن اختياره لم يقع عليه؛ بل وقع على من يبعد عنه (حيث حوض الرمة) ، والقول: إن عبقرية ذلك تكمن في أمرين، هما:

١ –تعد تجربة الهجر، وما كانت ستنطوي عليه من أهداف أمرًا جديدًا على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة"، وكانت رأس الحكم ترى فيها مبتغاه، غير أن المبتغى لم يكن ليضمن النتيجة في حالة خروج هذه الهجر من حد المُبتغى إلى حد عدم السيطرة، فحينئذٍ لم يكن رأس

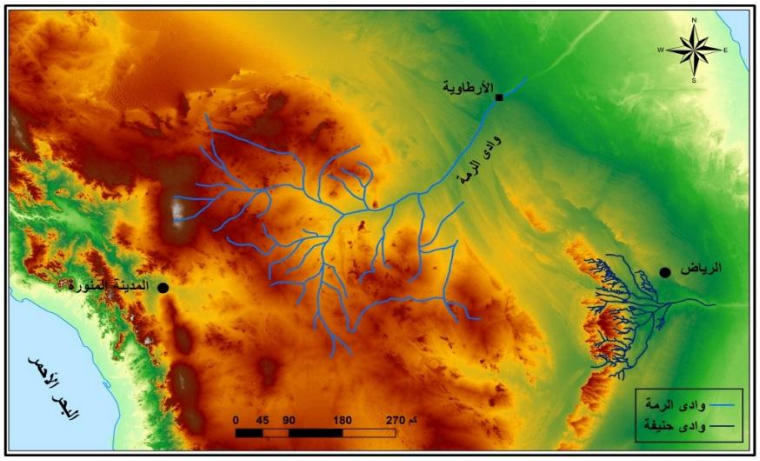

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على إحدى المرئيات الفضائية Land Sat TM8 من هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية.

الشكل رقم (٩): حوض الرمة

الحكم سيفقد مبتغاه وأهدافه فحسب؛ بل كان سيفقد حكمه بما ينطوي عليه من تاريخيّة تتمثل في "الرياض"؛ ومن ثم فاتخاذ حوض "الرمة" لم يكن لمائيته فحسب، ولكن لضمان نضج الهجر في ظل نتائج مأمولة.

٢ -كان من الأهمية تحري نشأة أماكن الهجر الجديدة في مناطق تتصف بنقائها من الناحية الاجتماعية وعدم تعقدها من الناحية العمرانيّة؛ وذلك لضمان نضجها بخصائص يمكن بها تحقيق الهدف، ولم يكن أنسب من ذلك من حوض "الرمة" الذي كان يخلو من أي تاريخيّة عمرانيّة مؤثرة فيما عدا "بريدة"، و"الزلفى"، و"عنيزة" وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (١٠)

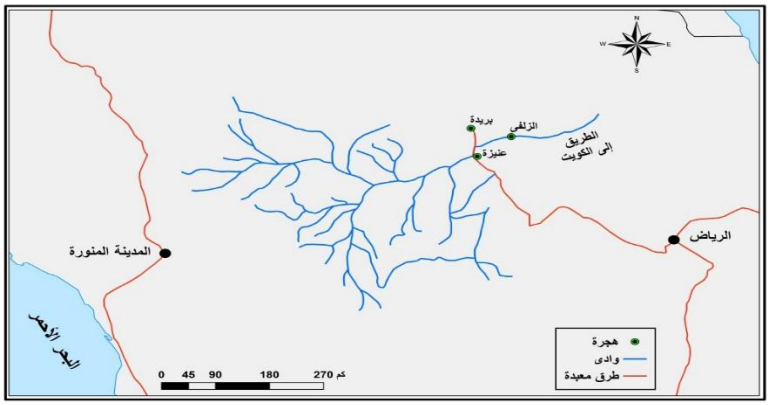

الشكل رقم (١٠): توزيع المحلات العمرانيّة القديمة في وادي أرط

وعدا ذلك فهو حوض نقيّ من الناحية الاجتماعية غير معقد من الناحية العمرانيّة، ولديه إمكانيّة قبول العمران في ظل نتائج مرغوبة[١]. **وفي إطار هذا النقاء جاءت نشأة هجرة "الأرطاوية"، في موضع نهاية وادي "أرط"** بما كان يكفله من مائية متجددة، **وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (١١). والحقيقة فإن هذه الكفالة كانت أحد العوامل التي وفقت بين الهدف الأساسيّ من نشأة الهجر من ناحية وبين ضمان قيامها بدورها التطبيقيّ من ناحية أخرى**[٢].

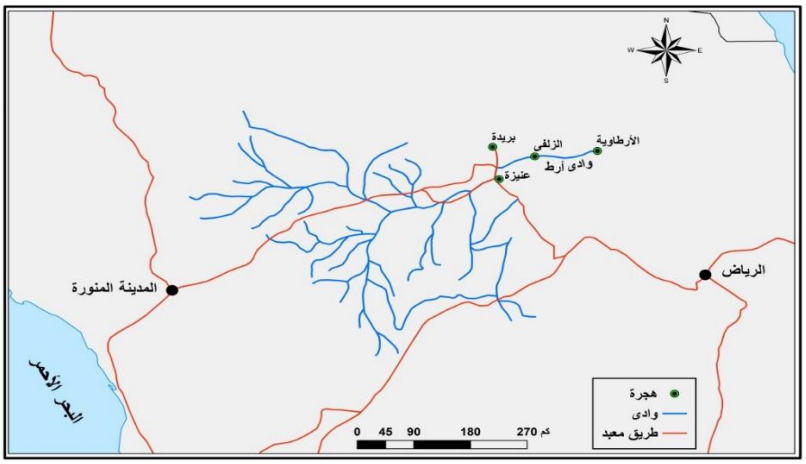

الشكل رقم(١١): تأسيس هجرة الأرطاوية

وتأسيسًا على ما سبق، نضجت تجربة هجرة "الأرطاوية" ونجحت في تحقيق الهدف منها، وتكونت جغرافيات جديدة لم تشهدها "نجد" أو حتى "شبه الجزيرة العربيّة" من قبل. واعتمادًا على مكتسبات هذا النجاح بدأت مرحلة أخرى يمكن أن يُطلق عليها مرحلة "**تعميم التجربة الأرطاوية**"، ولِمَ لا وحوض "الرمة" لديه إمكانيّة المزيد بما يكفله من مائية، وتربة، ومرعى. وفي إطار ذلك يقول "ديكسون" "**وهكذا أخذت الحركة بعد النجاح في الأرطاوية تنتقل من مرحلة إلى أخرى، وكان يتم ذلك بصورة تتسم**

---

[١] **يمكن القول: إن حوض "الرمة" بما احتضنه من الهجر كان بمنزلة البنية التحتية التي دفعت إلى توحيد الجزء الأكبر في الجزيرة العربية تحت اسم "المملكة العربية السعودية".**

[٢] **ولما كانت نشأة الهجر قد جاءت وفق خصوصية دينية معينة، فإن كل بيت كان لزامًا أن يكون له بئر، وذلك لأن المرأة وجب عليها عدم الخروج (جون حبيب، ١٩٩٨: ١١٢).**

بالذكاء الشديد، وأظهر الملك (الأمير عبد العزيز في هذه الفترة)، مقدارًا من العبقرية في السير بمشروعه من دون أن يستفز البدو أو يستجلب أي رد فعل في هذه المراحل الأولى" (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ١١١). وبعدم الاستفزاز هذا، وبعد نضوج تجربة هجرة "الأرطاوية" وبالاطمئنان إلى نتائجها، وبعد مرور عام من التجربة الأولى؛ نشأت هجرة "الغطغط" لتكون الهجرة الثانية في مشروع الهجر. ومن الجدير بالذكر أن معايير اختيار هجرة "الغطغط " اتفقت تمامًا مع معايير اختيار هجرة "الأرطاوية"، فيما عدا أمرًا واحدًا تمثل في قربها من "الرياض". فلقد أدرك رأس الحكم ما كانت تعنيه الهجرة من خطوات ثابتة في طريق رؤيته؛ ومن ثم كان من الأهمية بمكان أن تقترب تجربته الثانية من موطئ حكمه. وفي إطار ذلك كفل حوض "حنيفة" المائية وكفل وادي "ثمامة" الاستمرارية؛ كونه ينتهي إلى منخفض تنتهي إليه المياه؛ ومن ثم فحيثما كان الحفر يأتي الماء. واعتمادًا على مدخلات التجربة الهجرية وعوائد نجاحها اقتنع البدو بالتوطين وبما يلازمه من انتفاع. ولعل من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى إنجاح الأحيزة الجغرافية الهجرية هي التكاملية الاقتصادية التشاركية بين تجار المدن الصحراوية في نجد وبين البدو. وبصدد ذلك يشير "جون حبيب" إلى ما يأتي: "**إن البدو عندما يعاودون زيارة هذه البلدان في أثناء ترحالهم الموسميّ، يشترون احتياجاتهم الضرورية من الدكاكين، وفي مقابل ذلك كانوا يزودون الحضر بالإبل، والماشية، وبمنتجات الألبان في سنوات الوفرة. وعلى الرغم من اختلاف أساليب الحياة اليومية؛ فإن سكان الحضر وسكان خيام الشعر كانوا يحيون حياة متشابهة إلى حد كبير**" (جون حبيب،١٩٩٨: ٣٧). ولقد احتضن حوض "الرمة" تحديدًا رؤية الأمير "عبد العزيز بن سعود"؛ حتى إنه شهد في عام (١٩٢٢) (أي: بعد مرور عقد على نشأة هجرة "الأرطاوية")، انتشارًا عمرانيًا كان من الصعوبة بمكان توقعه إلا من خلال بصيرة تخطيطية تقوم في المقام الأول على إدراك

الواقع المحليّ الذاتيّ قبل إدراك الواقع الخارجيّ؛ ومن ثم لم يكن بمستغرب أن ينتهي حوض "الرمة" إلى عمرانيّة يوضح كثافتها الشكل رقم (١٢)

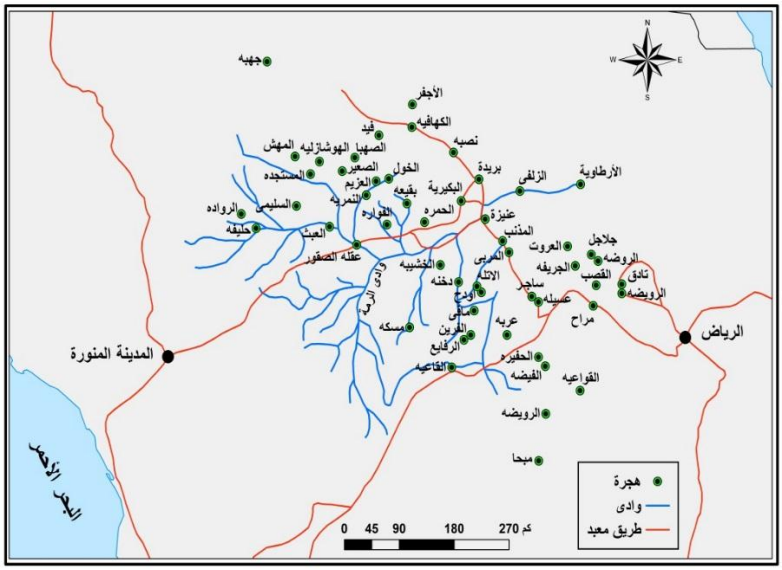

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على دراسة موضى بنت منصور عبد العزيز في عام ١٩٨٨.

الشكل رقم (١٢): توزيع المحلات العمرانيّة القديمة في حوض الرمة

وبعمرانيّة الأحواض، وباستيلاد جغرافيات جديدة؛ تلك التي تمثلت في الأحيزة الجغرافية الهجرية تمكن الأمير "عبد العزيز بن سعود" من أن يصبح السلطان "عبد العزيز بن سعود" وذلك بسلطنته على "نجد" وملحقاتها. وبعمرانيّة الأحواض، وباستيلاد الجغرافيات، وبالسلطنة على "نجد" وملحقاتها، تكونت جغرافيات سياسيّة محلية قادت إلى أخرى إقليمية. وبهذا كله تكونت لبنة مشروع السلطان "عبد العزيز"، وبهذه اللبنة، وبعد مرور عقد وتحديدًا في عام (١٩٣٢) بلغت جملة الهجر نحو (١٧٢) هجرة عمرانيّة وذلك على نحو ما يجمله الشكل رقم (١٣)

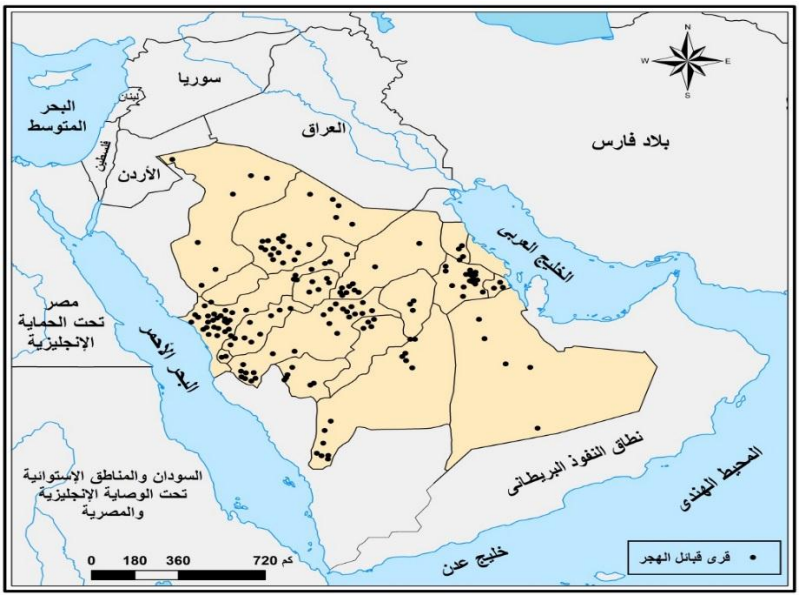

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (١٣): توزيع الأحيزة الجغرافية الهجرية في عام (١٩٢٧)

وفي إطار ذلك يقول "جون حبيب": "**وخلال عقد ونصف من تأسيس أول هجرتين، تم إنشاء ما يزيد عن مائتي هجرة، وعلى الرغم من أن السواد الأعظم من هذه الهجر كان يقع في منطقة نجد، فإن بعضًا منها تأسس في منطقة الحجاز وبعضها الآخر أنشئ في شماليّ البلاد في المنطقة التي تسكنها قبيلتا الرُّوَلة وشَمَرَّ بالقرب من الحدود السورية/الأردنية، كما لا يزال بعض هذه الهجر موجودًا على حافة الربع الخالي. كما أنشئت هجرتان عند الطرف الغربيّ لشبه الجزيرة العربيّة**" (جون حبيب،١٩٩٨: ١٠٩) .

وبتلك التوزيعات تمكن السلطان "عبد العزيز بن سعود" من حكم "الحجاز"وفي ذلك يقول "فؤاد حمزة": "**وبفضل التوزيع الجغرافيّ لمستقرات الإخوان تحقق لابن سعود القوة الضاربة قدرًا من المرونة جعل أي جزء من أجزاء شبه الجزيرة العربيّة لا يبعد أكثر من مسيرة يوم واحد عن الإخوان. كما أدى التوزيع القبليّ إلى توفير نقاط اتصال مع جميع القبائل الرئيسة في نجد؛ ومن ثم أصبحت لدى ابن سعود شبكة من**

المعسكرات التي كانت بمنزلة مواقع موالية متقدمة ونقاط لتجميع الاستخبارات أيام السلم في المناطق البعيدة عن الرياض. وفي زمن الحرب كانت تلك المعسكرات تتحول إلى مراكز للتعبئة ونقاط ينطلق منها الهجوم على أهداف محددة، وكانت قوات الإخوان المنطلقة من أقاصي نجد تجد إخوة لها في السلاح في هجر كل من "الحجاز" و"الجوف"، وبين هاتين النقطتين كانت قوات الإخوان تجد في الهجر من يقدم لها المؤن، والماء، والاستخبارات، والمستلزمات الأخرى. وبذلك "نجد" أن الهجر كانت بمنزلة قواعد عسكرية، وإمداد، ومواقع دينية متقدمة، ولما كان الكثير من هذه الهجر يقع بالقرب من مناطق الاستقرار التقليدية (كما هو الحال بالنسبة لموقع الغطغط قياسًا إلى المزاحمية)، فقد كان لها تأثير تنظيميّ في تلك البلدان؛ الأمر الذي أدى إلى الحفاظ بطريقة سليمة على هذه البلدان داخل نطاق الجماعة الوهابية" (فؤاد حمزة،٢٠٠٢: ٣٧٣-٣٧٨).

والمحصلة، وبجملة جغرافيات الأحيزة الهجرية؛ تحققت رؤيته، فأضحى ملك المملكة العربيّة السعوديّة في عام (١٩٣٢). وفيما يتعلق بتقييم تجربة هجرة "الأرطاوية" فإنه يمكن أن يُستدل على مدى ما بلغته من واقعية تعايشية من خلال مذكرة "ديكسون"(الممثل السياسيّ في الهفوف)، إلى المفوض المدنيّ في "بغداد"، حيث أوضح فيها ما يأتي: "**أن نشأة "الأرطاوية" بصفة عامة قد أثرت في البدو بطريقة غير عادية، كما أنهم ممتلئون حماسة دينية غريبة، وكانوا يرجون باستمرار إرسال المدرسين إليهم، ومن جهة أخرى فإن "ابن سعود" يلبي طلباتهم بإرسال العلماء لتعليمهم بقدر ما استطاع توفيره، ولقدة نجح في توفير الحركة وجعلها تحت سيطرته بعد إصراره على ضرورة استقرار البدو الرحل، وهو يتعمد إرسال شيخ القبيلة المستقرة إلى "الرياض"، وكلما ذهب إلى هناك كان الشيوخ يرافقونه، وكانوا وراءه باستمرار وتحت طلبه**" (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ١١٣).

المحور الرابع:

الأحيزة الجغرافية الهجرية

القواعد البنائية ... والتوزيعات المكانيّة ... والأنوية والتنمويّة

كيف يمكن إحداث تغييرات في أسس الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسيّة في قطاع كبير من المجتمع البدويّ[١] في ظل تجنب أي صدام بين خصائصهم التاريخيّة وما يُبتغى من رؤى التغيير من ناحية أخرى ؟ كيف يمكن إحداث هذا كله مع مراعاة عامل الزمن؟ وكما هو معروف، فحتى بداية القرن العشرين وتحديدًا قبل التأسيس، لم تشهد "المملكة العربيّة السعوديّة الاستقرار السكانيّ إلا في إطار نسبة يمكن القول: إنها لم تكن تتجاوز (١٠%) من جملة سكان المملكة آنذاك (أحمد الجار الله جار الله،٢٠٠١: ٢) حيث كانوا يتركزون في أطر بعض الأحيزة الجغرافية مثل: "مكة المكرمة"، و"المدينة المنورة"، و"الطائف"، ومن بعدهم أحيزة الواحات مثل "الهفوف"، و"المبرز"، و"القطيف"، و"الرياض"، و"بريدة"، و"عنيزة"، و"الزلفى"، "المجمعة" وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (١٤). ويمكن القول: إن ذلك كان كل العمران في الإطار الذي سيعهد عليه بعد ذلك تأسيس دولة "المملكة العربيّة السعوديّة"، وفيما عدا ذلك فهو لبدو رحل تعايش ساكنوها لمؤثرات البيئة الصحراوية في حركة تعايشية أفقية استندت نظاميتها إلى ديموميتها التي لم تكن تتوقف في نطاق أُطلق عليه البادية. وليس هناك أدنى شك في أن تغيير البادية عملية يكتنفها الكثير من الصعاب؛ كونها يجب أن تتم وفق خطة تقتضي الفهم الصائب لطبيعة المجتمع البدويّ بصفة عامة؛ ولذلك يجب أن تتحرك هذه الخطة وفق رؤية دقيقة متوازنة تدرك تمامًا الكيفية التي يمكن من خلالها التكيف مع واقعية الصحراء في

---

[١] يمكن القول:إن مفهوم البدواة يشمل كل تجمع بشريّ تتمثل فيه العصبية، وقانون العصبية لا يعني القبائل الرحل في جزيرة العرب وحسب؛ بل إنه يعني كل تجمع بشريّ يريد الفرد من خلاله أن يحافظ فيه على نفسه من خلال انتمائه لجماعة محددة. وعلى ذلك فكلمة البدواة لا تعني فقط ساكني الصحراء، بل تعني العشير سواء وُجد في مدينة ما أو صحراء، وعلى ذلك فإن التوطين من خلال الأحيزة الجغرافية الهجرية كان يرمي إلى ربط الفرد بالعقيدة، والأرض والوطن بدلًا من العشير.

ظل التغيير المستهدف. ومما يجب الإشارة إليه، أن القصور في فهم التوزان في هذه الرؤية، من شأنه أن يؤدي إلى فقدان هوية المجتمع، فليس هناك أصعب من إحداث تغيير في اتجاهات الأفراد وسلوكهم الاجتماعيّ، والاقتصاديّ، والسياسيّ.

أولًا– الأحيزة الجغرافية الهجرية والقواعد البنائية.

كانت الأحيزة الجغرافية الهجرية بمنزلة أوعية التغيير في خصائص البدو الاجتماعية، التي كفلت التطبيق الفعليّ لرغبة ذاتيّة أوجزها الإمام "عبد العزيز" في عبارة واحدة، مضمونها: "**أريد أن أعلمهم أن يعتبروا أنفسهم (أي: سكان الهجر) أعضاء في جماعة واحدة**"[٢]. يمكن القول: إن هذه العبارة الموجزة

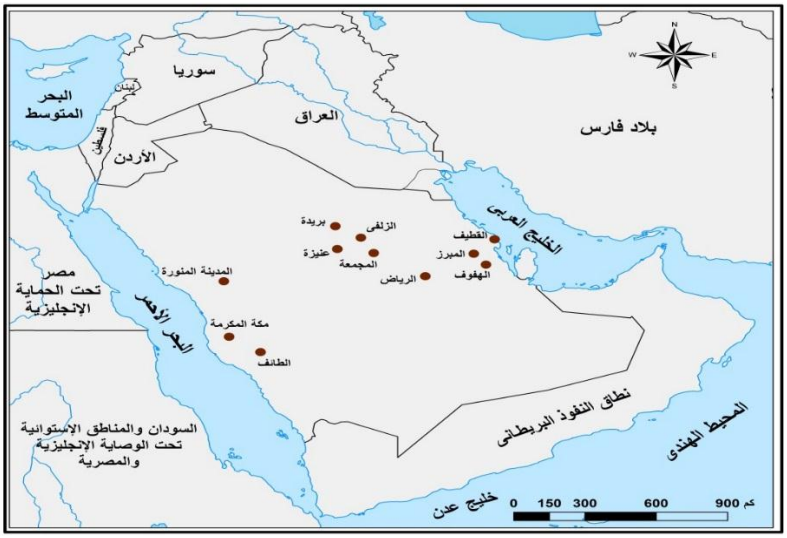

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (١٤): مناطق التركز السكانيّ قبل التأسيس في عام (١٩٣٢)

كانت صلب الإصلاح الاجتماعيّ، فلقد رأى الإمام مستقبل الجزيرة العربيّة يرتبط ارتباطًا وطيدًا بهذا الإصلاح. ولقد ساعده على إنجازه جهاز ضخم من الفقهاء،

---

[٢] **يمكن أن تمسك بهم بشد قبضة اليد عليها، لكنه من الصعب جدًا أن تجعل منهم كتلة موحدة، فلا يكاد الضغط يرتفع؛ حتى تسيل حبات الرمل من خلال الأصابع، وتتشتت معزولة عن بعضها بعضًا، وهذا هو حال القبائل في شبه الجزيرة العربية قبل الهجر(موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ٩١).**

والعلماء، والواعظين انطلقوا يعلمون ويحاورون ويراقبون خطوات نجاحه (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ٣٧٩).

وفي إطار ذلك كان الإمام "عبد العزيز" يرى أن البدو هم عصب رؤيته، كما كان يرى أن الصفات والتقاليد البدويّة لم تتغير ولم تتبدل، كما كان يرى أن ذلك لا يمكن أن يتم إلا بوازع من الدين (بمعنى تحويلهم إلى العقيدة السلفية)، ولا يمكن تحقيق هذا التحول إلا إذا استقرت القبائل. ولما كان لدى الإمام فكر انفتاحيّ يقبل المراجعة؛ كان لابد من التفكير في نظام يتفق مع التغيير على قدر ما تسمح به الخصائص الصحروية، ليس هذا فحسب بل كان لا بد من إدراك أن مشروع الأحيزة الجغرافية الهجرية سينطوي على استدعاء حيوية رجال البادية؛ ومن ثم كان لابد من معرفة الكيفية التي يمكن من خلالها توجيه هذه الحيوية إلى البناء؛ ومن ثم كان لابد من قواعد اجتماعية محددة يمكن من خلالها توجيه هذه الحيوية. وبصفة عامة يمكن القول: إن هذه القواعد تبلورت مراميها من خلال أربع نقاط أشار إليها الإمام نفسه على النحو الآتي:

- **إن ما يتعلق بالدين من فتوى، وتحليل، وأمر، ونهي، لا يعمل بشيء من هذا الرأي؛ إنما مرده كتاب الله وسنة رسوله.**
- **إن الولاية لها عليكم حق السمع والطاعة في دقيق الأمور وجليلها.**
- **أن تمنعوا أو تمتنعوا ... لعقد أي أمور من الأمور الدينية والدنيوية من دون الولاية.**
- **أن تحترموا المسلمين ومن في ذمة المسلمين، في أعراضهم، وأنفسهم، وأموالهم** (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ٣٧٧).

وفي إطار تلك القواعد الأربع؛ اكتسبت الأحيزة الجغرافية الهجرية قيمتها في الجزيرة العربيّة؛ كونها أضحت تمثل وظيفة متغيرة تبعًا للغاية المرادة. وفي **إطار** تلك القواعد الأربع؛ أضحت الأحيزة الجغرافية الهجرية باعث التغيير في عقول أفراد البدو؛

كونها قوة تطوعية أخضعت سلطة التنقل. وفي **إطار** تلك القواعد الأربع؛ أضحت الأحيزة الجغرافية الهجرية أنوية التغيير في التاريخيّة الاجتماعية للجزيرة العربيّة بصفة خاصة وفي تاريخيّة الجزيرة العربيّة بصفة عامة. وفي **إطار** تلك القواعد الأربع؛ بات للأحيزة الجغرافية الهجرية جملة من التعايشات الاجتماعية الاستباقيّة على مستوى الجزيرة العربيّة، أمكن التعرف إلى بعض خصائصها من خلال النقاط الآتية.

١ – لعل ما يجب الانتباه إليه ... أنه على الرغم من انتشار الأحيزة الجغرافية الهجرية في صورة أفقية على رقعة مترامية الأطراف؛ فإن جميعها كان يسير وفق رؤية واحدة ورباط واحد. وهنا تكمن القيمة الخفية التي كفلت ذلك، وفي حقيقة الأمر لا تستطيع أي عبارات توجيهية، أو رغبة ذاتيّة أن تؤلف بين أنوية التوطين إلا إذا جاءت بعد صادرة الدين بوصفه مرجعية راسخة[١].

٢ –نجحت الأحيزة الجغرافية الهجرية بوصفها رؤية استباقيّة في تحضر البدو، ووضع الحواجز أمام تنقلاتهم من دولة إلى دولة أخرى ومن نطاق لآخر، وذلك عن طريق تفكيك الروابط القبلية والاكتفاء برابطة الدين، والأمة، والوطن. وما يجب التنوية إليه أن الاحتجاز جاء بوصفه نتيجة طوعية نهائية، بعد جملة من التعايشيات تأهل من خلالها البدو في إدراك ما يعنيه الاستقرار من مكتسبات وعوائد كان إطارها الدين، والأمة، والوطن.

٣ –أتاحت الأحيزة الجغرافية الهجرية بوجه عام إعادة صياغة العلاقات الاجتماعية وتطويرها نحو الأفضل، كما أنها أوجدت لدى البدو إحساسًا بالأمن والطمأنينة. وفي إطار ضمانة الخدمات الاجتماعية التي لم يعهدوها من قبل؛ جاءت نتيجة النضج التي أفضت إلى وجود مجتمع متماسك انتهى إلى بناء دولة. ولقد كانت تعاليم الدين بمنزلة الضامن الاجتماعيّ في حركة التغيير على مستوى سكان الهجر، فلقد كانت

---

[١] **ولعل ما يؤكد ذلك هو حتمية التحاق شيوخ قبائل الهجر بالمدرسة التعليمية بالجامع الكبير بـ"الرياض"، ومن خلاله فحسب كانوا يحصلون على دورات تدريبية في إطار العقيدة (موضى بنت منصور عبد العزيز، ١٩٩٨: ٣٨٠) .**

منهجًا مضطردًا ونظامًا متجددًا على الدوام، ولعل ذلك ما كان يفتقد إلى معرفته "ويلفريد ثيسجر" "**Welfred Thesiger**" قبل تعجبه بقوله: "إن من دواعي العجب ألا ينشأ بين سكان الهجر أي صراع بسبب اللون، والقومية، أو الطبقية، وهي تلك الأمور التي اقترنت بتاريخ الصراع في أوروبا الحديثة". (ويلفريد ثيسجر، ١٩٥٦: ٦٩-٧٤).

٤-لم يقتصر الانقسام البدويّ على القبيلة وحدها، بل كانت القبيلة تنقسم هي أيضًا على نفسها؛ ذلك الانقسام الذي لم يكن يؤدي بأي حال من الأحوال إلى الوحدة؛ ومن ثم فإذا كانت الجزيرة العربيّة قبل الهجر عبارة عن وحدات ذاتيّة قبلية وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (١٥) فإنها بالأحيزة الجغرافية الهجرية أضحت وحدات إقليمية قبائلية تخضع لضوابط يلتزم بها الفرد في إطار الكل، وذلك على نحو ما يتضح من الشكل رقم (١٦).

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على خريطة المستشرق الإنجليزي هارولد ديكسون (ويكيميديا كومنز ١٦ فبراير/٢٠١٧).

الشكل رقم (١٥): توزيع القبائل على مستوى الجزيرة العربيّة

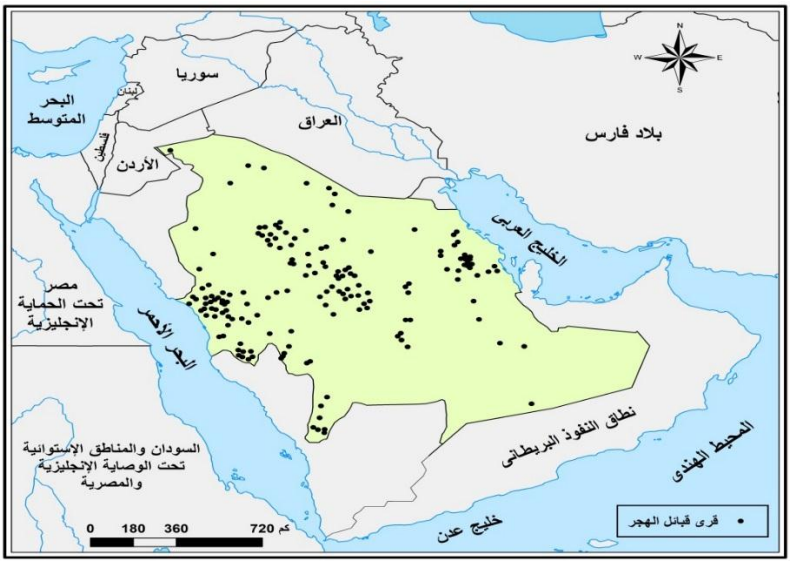

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (١٦): توزيع الأحيزة الجغرافية الهجرية

٥-كان الإمام "عبد العزيز" يدرك أن عشائر البادية منحدرة من قبائل عربيّة تنتمي إلى أصول عريقة في القدم؛ ومن ثم كانت تحتفظ بصفات العربيّ الأول من كرم، وشجاعة، ووفاء، وصدق، وعفو عند المقدرة، وعزة، وإباء، وحب للحرية؛ كان يدرك أن البدويّ لا يزال يحرص على الاقتداء بالصفات المتوارثة من الآباء والأجداد، ويحتقر من يتخلى عنها، كان يعي أن عماد اقتصادهم يتمثل في مضاربهم، وخيلهم، وإبلهم، ولا التزام يقيدهم؛ لذا كان لزامًا على رؤيته أن تتوافق مع هذا كله؛ ومن ثم كان لا بد من توجيه الأحيزة الجغرافية الهجرية لتصبح من الناحية الدينية مساجد غاصة، ومن حيث العمران قرى عامرة، ومن حيث الاستقرار معسكرات منتشرة في أنحاء البادية، وبهذا كله ستصبح أنوية اجتماعية متجانسة في طريق نضج الدولة.

٦-كانت الأحيزة الجغرافية الهجرية بمنزلة أنوية اجتماعية استباقيّة، أعادت صياغة مضمون ما تعنيه النزعة القبلية؛ اعتمادًا على رؤية دُفعت بمقتضيات التغيير الإقليميّ آنذاك؛ ومن ثم استطاعت هذه الأحيزة تأمين الجبهة الداخليّة على مستوى سلطنة "نجد"

داخل إطار سياسيّ يشهد الاضطراب؛ ولذلك وفي عبارة واضحة كانت الأحيزة الجغرافية الهجرية نوعًا من النظام الاستباقيّ في ظل عمومية الفوضى التي كانت سائدة في الجزيرة العربيّة آنذاك.

٧-كان الإمام "عبد العزيز" يدرك أن حيوية الأحيزة الجغرافية الهجرية كانت ترتبط بشكل وثيق بمفهوم الإخوان[١]. وإزاء التربية الإسلامية لسكان الهجر، فقد أخذ هؤلاء يرون في أنفسهم أنهم حملة العقيدة الصحيحة(وهذا أمرٌ يحتاج إلى تصويب)؛ ومن ثم ميزوا أنفسهم بارتداء غطاء للرأس من قماش أبيض بدلًا من العقال الأسود للعرب الآخرين ولكي يكبح الإمام شعورًا سيطر عليهم بالنسبة لغيرهم، جمع عددًا من العلماء واستصدر منهم فتوى بأنه ليس ثمة فرق بين العمامة والعقال، وبين سكان الهجر وغيرهم من البدو والحضر(موضى بنت منصور عبد العزيز، ١٩٨٨: ٣٨٠).

٨-ارتكزت الأحيزة الجغرافية الهجرية بوصفها رؤية استباقيّة على فكرة تحرير البدو، وانتزاع ولائهم لله والوطن بدلًا من الشيوخ داخل أطر مكانيّة محددة. وبهذا التحرير التوطنيّ؛ خطا الإمام خطوته الأولى في تكوين سلطنة "نجد" خلال الفترة من عام (١٩١٢) إلى عام (١٩٢٤). وفي حقيقة الأمر لم تكن عملية تحرير البدو وانتزاع ولائهم لله والوطن بدلًا من شيوخ القبائل بالأمر السهل، فلقد كانت الفكرة في ذاتها ثقافة أعلى من كل فهم معاصر، وهذا من شأنه أن يؤكد أن قوة دفاعية الدين أقوى من أي دفاعية أخرى آنذاك؛ ومن ثم كان توطين البدو من الأمور المشروطة بتغيير خصائص حياتهم في المقام الأول.

---

[١] كلمة الإخوان هي الكلمة التي كانت تطلق على سكان الهجر بداية من عام (١٩١٢)، وهي جمع كلمة أخ الشائعة الاستعمال. لكن كلمة إخوان بين هؤلاء المستقرين كانت تعني الأخوة التي وصلوا إليها من خلال انتمائهم للإسلام والدعوة السلفية، والإقامة في الهجر. فلقد فهمو أنها الأخوة التي أشارت إليها الآية الكريمة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **(١٠٢) "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"**(١٠٣) صدق الله العظيم (سورة آل عمران). وعلى ذلك فإن إخوان الهجر هم البدو الذين تخلّوا عن حياة البداوة، واستقروا في الهجر التي بُنيت خصيصًا لهم، والذين عبروا عن ذلك بربط عصابة على الرأس بدلًا من العقال.

٩ -يمكن القول: إن تأثير الأحيزة الجغرافية الهجرية الجديدة في المدن والقرى القديمة كان أقوى من تأثير المدن والقرى في الأحيزة، ولعل ذلك ما لاحظته "بل" "**BELL**" وأشارت إليه في مذكراتها (موضى بنت منصور عبد العزيز، ١٩٨٨: ٣٧٥).

١٠- ارتكزت الأحيزة الجغرافية الهجرية بوصفها رؤية استباقيّة على مجموعة من الأنظمة، وجملة من القوانين الاجتماعية التي نجحت في استيعاب نزول البدو عن خيلهم، والتهيؤ لاستقرارهم (يمكن القول: إنها كانت المجال التطبيقيّ الأنجح في تطبيق قواعد ابن خلدون عن العمران، وما يرتبط به من مطالب معاشية)، ليس هذا فحسب، بل كانت جملة من القواعد المنُظمة لعملية التغيير الذي كان يتم من خلال الانتقال من مرحلة كلية إلى أخرى جديدة، والأمر كله في ظل توازن دقيق جُمع فيه بين الأخذ بأسباب التغيير من ناحية والتمسك بتعليم السلفية الدينية من ناحية أخرى.

وبناءً على ذلك استطاعت الأحيزة الجغرافية الهجرية تغيير التاريخيّة الاجتماعية للقبائل من حكم العرف والتقاليد إلى علاقات تخضع لسطلة الدين؛ وذلك اعتمادًا على التعاليم السلفية التي كفلت إضعاف النظام القبليّ بالتدريج، وذلك بعد استقرار البدو فوق أرض الجزيرة العربيّة المترامية. وفي ذلك تشير "موضى" إلى أن هذا أمرٌ عظيم، ولا يؤتى إلا بأعظم، ذاك الذي تمثل في الدين؛ ومن ثم كان البدء في إنشاء الهجر مرتبطًا بإرسال الوعاظ إلى القبائل؛ لتعليمها أصول الإسلام، ولم يكن أجدر من ذلك سوى الاعتماد على الإيمان الذي أخضع سلطة البدو (موضى بنت منصور عبد العزيز، ١٩٨٨: ٩٧).

والخلاصة، قد تجملها عبارة واحدة، مضمونها: "تعد التغييرات الاجتماعية في الأحيزة الجغرافية الهجرية من ثوابت العبقرية الجغرافية في تاريخ "المملكة العربيّة السعوديّة" الحديث. بيد أن مثل هذه العبارات لا تعد مقصدًا للنهاية، بل هي مدخل لديمومية البداية؛ ومن ثم فهي تقود تلقائيًا إلى فرضية، مضمونها: "**إذا كانت قوة**

التغييرات الاجتماعية تتجاوز تأثير علاقة الإنسان بالأرض[١] وقوتها ، فهل يمكن القول: إن بنية الدول ستُحدد مستقبلًا في إطار اتجاهات القوة؟" وبوجه عام، فلقد أعادت الأحيزة الجغرافية الهجرية بناء العلاقات الاجتماعية وصياغتها، وكذلك تطويرها حول رؤية واحدة انتهت إلى وجود دول، وهذا أمرٌ جَليّ من الناحية التاريخيّة. وهنا موضع أحد تساؤلات الفكر التنمويّ، ومضمونه: إلى أي مدى يمكن أن تؤثر التغييرات الاجتماعية في بنية الدولة؟ وبعبارة أخرى، فإذا كانت التغييرات الاجتماعية التاريخيّة كان لها دور في وجودية الدولة، فإلى أي حد يمكن للتغييرات الاجتماعية المعاصرة أن تؤثر في بنية الدولة؟ ولسوف تكون الإجابة ... أن قوة نتائج التغييرات الاجتماعية تستطيع إعادة بنية الدولة، وعلى ما يبدو فالأمر دائمًا يحتاج إلى مصدر يتجاوز قوة الدولة من ناحية واتجاه بنيتها من ناحية أخرى، ولا شيء سوى مصدر الدين. ولعل هذا ما تنبه إليه الإمام "عبد العزيز"، وسواء أكان مصدر هذا الانتباه نزعة ذاتيّة أم تجارب تاريخيّة؛ فلقد استطاع الدين أن يحدد حركة التغييرات الاجتماعية فجاءت الدولة بناءً وبنية.

ثانيًا– الأحيزة الجغرافة الهجرية والتوزيعات المكانيّة.

ولمزيد من التأكيد، فلم ترد في أي مصادر أن الإمام "عبد العزيز بن سعود" قد قرأ عن فكرة الهجر والكيفية التي يمكن من خلالها التعامل معها، فهي ليست فكرة نتيجة تعليم ما، بل يمكن القول: إنها فكرة سيقتْ من خبرة تعايشية أكثر من استياقها من معرفة تعليمية اعتمدت على عقيدة كانت بمنزلة الداعم في آليات تنفيذ الرؤية. وفي محاولة التعرف إلى نمط اتجاهات الأحيزة الجغرافية الهجرية وتوزيعها البالغ عددها (١٧٢) هجرة على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل التي تأسست بها "المملكة العربيّة السعوديّة" في عام (١٩٣٢)؛ أُعتمد على تحليلين إحصائيين تمثلا فيما يأتي:

[١] كان المجتمع البدويّ بمنزلة قوة ظاهرة يجب معالجتها لإتاحة المجال أمام نمو جملة من الأحيزة الجغرافية المستقرة.

١ – التحليل الأول : تحليل أنماط التوزيع المكانيّ.

واعتمادًا على استخدام برنامج **Arc GIS (10,8)** تم تطبيق تحليل "الجار الأقرب" **"Average Nearest Neighbor Distance"** على جملة الأطر المكانيّة للقبائل التي تحتوي على الأحيزة الجغرافية الهجرية بعدّها مجموعة من النقاط الموضعية، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (١٧)

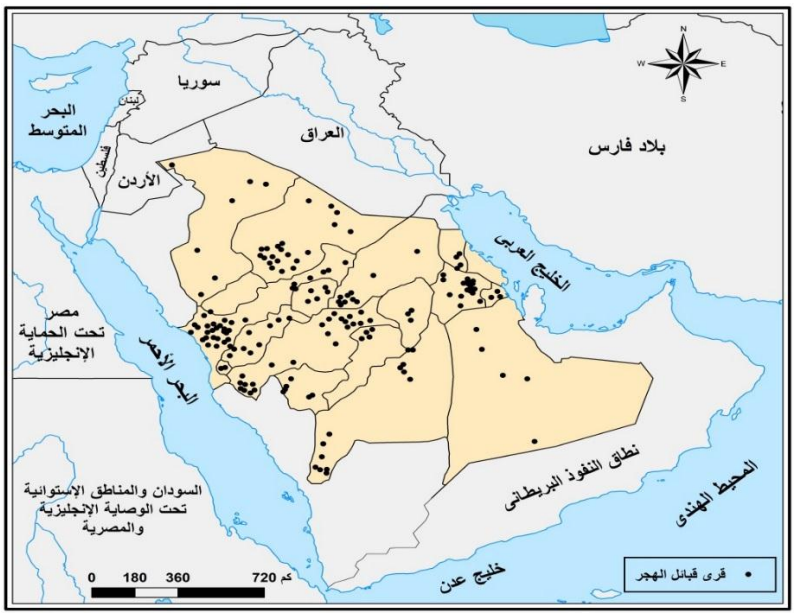

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (١٧): توزيع الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل

ويهدف هذا التحليل إلى معرفة "**صلة الجوار**" التي عليها نمط توزيع "الأحيزة الجغرافية الهجرية" بعدّها مجموعة من النقاط الموضعية على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل، وذلك من خلال المقارنة بين التوزيع الواقعيّ لجملة "الأحيزة الجغرافية الهجرية" وبين التوزيع النظريّ الذي كان من المفترض أن تكون عليه جملة "الأحيزة الجغرافية الهجرية". ويتم ذلك عن طريق حساب قيمة متوسط المسافات بين كل "هجرة" إلى أقرب "هجرة" لها بالقسمة على المسافة النظرية التي من المفترض أن تكون بين جملة

"الأحيزة الجغرافية الهجرية". وتتراوح قيمة"**صلة الجوار**" بين (صفر) و (٢,١٥). وفي إطار مخرجات تلك القيمة تتكون ثلاثة أنماط من التوزيع المكانيّ تتمثل فيما يأتي:

م	القيمة	نمط التوزيع
١	من (صفر) إلى أقل من (١)	متقارب/ متجمع
٢	(١)	عشوائيّ
٣	أكبر من (١) إلى أقل من (٢,١٥)	متباعد/مشتت

وبتطبيق هذا التحليل على جملة "الأحيزة الجغرافية الهجرية" على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل، وبعد الحصول على قيمة "**درجة الثقة**" **"z-score**" وقيمة "**القيمة الاحتمالية**" **p-value** أمكن الحصول على قيمة "**صلة الجوار**" **"Nearest Neighbor"** وذلك على نحو ما يجمله الجدول رقم (١)

الجدول رقم (١): قيمة صلة الجوار

القبيلة	Nearest Neighbor	z-score	p-value	نمط التوزيع
سبيع	0.409836	-2.765537	0.005683	المتقارب/المتجمع
السهول	0.432154	-1.881578	0.059893	المتقارب/المتجمع
العوازم	0.453861	-2.089603	0.036654	المتقارب/المتجمع
قحطان	0.485675	-3.681567	0.000232	المتقارب/المتجمع
الدواسر	0.491583	-1.945276	0.051742	المتقارب/المتجمع
الهواجر	0.670230	-1.092704	0.274524	المتقارب/المتجمع
حرب	0.713649	-3.332198	0.000862	المتقارب/المتجمع
شمر	0.822428	-1.556740	0.119532	المتقارب/المتجمع
عجمان	0.908017	-0.725543	0.468119	المتقارب/المتجمع
مطيرة الشرقيّة	0.929022	-0.429393	0.667637	المتقارب/المتجمع
آل مرة	0.953160	-0.200370	0.841192	المتقارب/المتجمع
عتيبة	0.987997	-0.110121	0.912313	المتقارب/المتجمع
هتيم	1.069470	0.297175	0.766333	متباعد/مشتت
مطيرة الغربيّة	1.282354	1.791520	0.073210	متباعد/مشتت
عنزة	1.434996	2.201734	0.027684	متباعد/مشتت
بني خالد	1.489254	1.323671	0.185612	متباعد/مشتت

ويوضحه الشكلان رقم (١٨)، و(١٩).

الشكل رقم (١٨):

الشكل رقم (١٩):

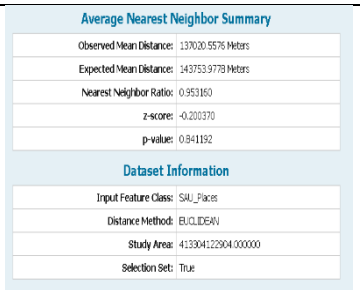

Average Nearest Neighbor Summary

Observed Mean Distance:	137020.5576 Meters
Expected Mean Distance:	143753.9778 Meters
Nearest Neighbor Ratio:	0.953160
z-score:	-0.200370
p-value:	0.841192

Dataset Information

Input Feature Class:	SAU_Places
Distance Method:	EUCLIDEAN
Study Area:	413304122904.000000
Selection Set:	True

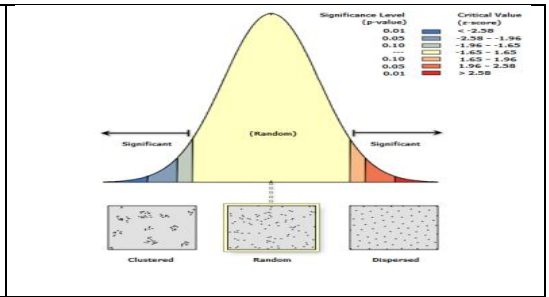

ال مرة

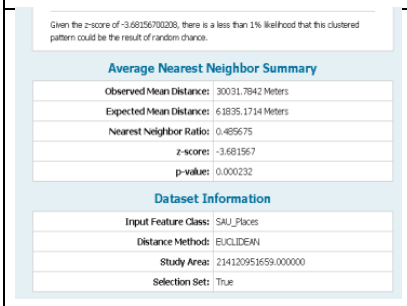

Given the z-score of -3.68156700208, there is a less than 1% likelihood that this clustered pattern could be the result of random chance.

Average Nearest Neighbor Summary

Observed Mean Distance:	30031.7842 Meters
Expected Mean Distance:	61835.1714 Meters
Nearest Neighbor Ratio:	0.485675
z-score:	-3.681567
p-value:	0.000232

Dataset Information

Input Feature Class:	SAU_Places
Distance Method:	EUCLIDEAN
Study Area:	2141209516590.000000
Selection Set:	True

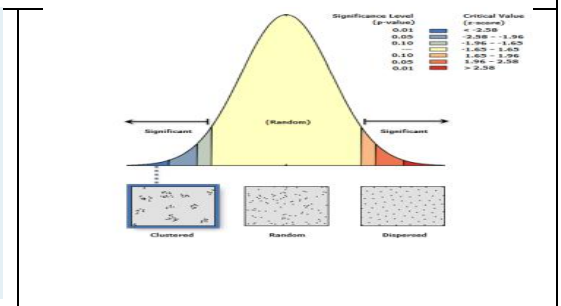

قحطان

Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 26051.2676 Meters Expected Mean Distance: 52994.6917 Meters Nearest Neighbor Ratio: 0.491583 z-score: -1.945276 p-value: 0.051742 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 44934997516.000000 Selection Set: True	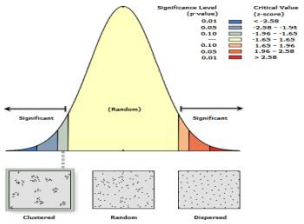
الدواسر	
Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 17605.0330 Meters Expected Mean Distance: 42956.3194 Meters Nearest Neighbor Ratio: 0.409836 z-score: -2.765537 p-value: 0.005683 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 44285888937.599998 Selection Set: True	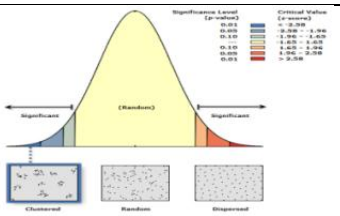
سبيع	
Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 34227.4636 Meters Expected Mean Distance: 34643.2732 Meters Nearest Neighbor Ratio: 0.987997 z-score: -0.110121 p-value: 0.912313 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 1104143867 58.000000 Selection Set: True	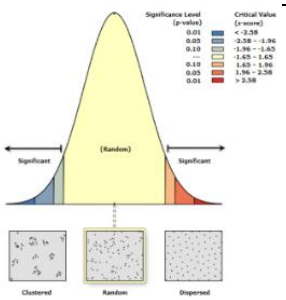
عتيبة	
Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 38674.0493 Meters Expected Mean Distance: 30158.6305 Meters Nearest Neighbor Ratio: 1.282354 z-score: 1.791520 p-value: 0.073210 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 400198916 99.099998 Selection Set: True	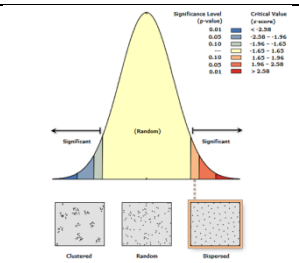
مطير الغربيّة	

Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 20574.6030 Meters Expected Mean Distance: 28830.1533 Meters Nearest Neighbor Ratio: 0.713649 z-score: -3.332198 p-value: 0.000862 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 123014305780.000000 Selection Set: True	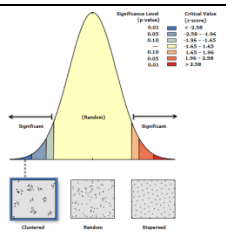
حرب	
Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 121319.1219 Meters Expected Mean Distance: 84543.1938 Meters Nearest Neighbor Ratio: 1.434996 z-score: 2.201734 p-value: 0.027684 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 200131445496.000000 Selection Set: True	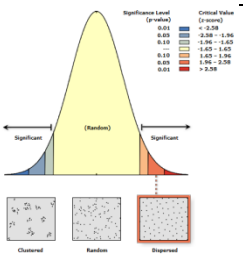
عنزة	
Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 35965.3658 Meters Expected Mean Distance: 43730.7368 Meters Nearest Neighbor Ratio: 0.822428 z-score: -1.556740 p-value: 0.119532 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 160639696588.000000 Selection Set: True	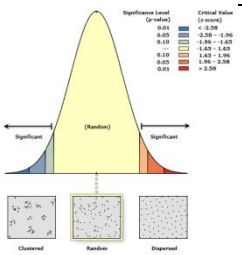
شمر	
Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 47467.2225 Meters Expected Mean Distance: 51093.7582 Meters Nearest Neighbor Ratio: 0.929022 z-score: -0.429393 p-value: 0.667637 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 104422685106.000000 Selection Set: True	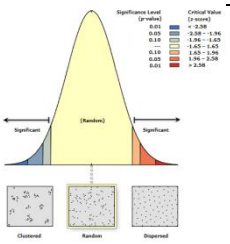
مطير الشرقيّة	

Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 34516.6296 Meters Expected Mean Distance: 32274.5219 Meters Nearest Neighbor Ratio: 1.069470 z-score: 0.297175 p-value: 0.766333 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 20832895231.099998 Selection Set: True	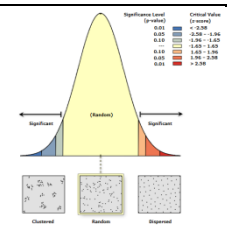
هتيم	
Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 25429.2054 Meters Expected Mean Distance: 58842.9649 Meters Nearest Neighbor Ratio: 0.432154 z-score: -1.881578 p-value: 0.059893 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 41549934275.099998 Selection Set: True	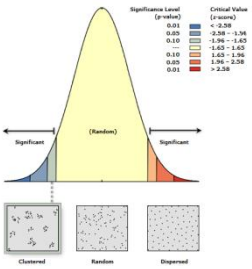
السهول	
Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 22149.2287 Meters Expected Mean Distance: 24392.9674 Meters Nearest Neighbor Ratio: 0.908017 z-score: -0.725543 p-value: 0.468119 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 40461146478.199997 Selection Set: True	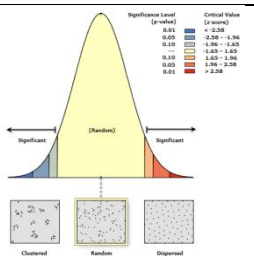
عجمان	
Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 68139.4559 Meters Expected Mean Distance: 45754.0968 Meters Nearest Neighbor Ratio: 1.489254 z-score: 1.323671 p-value: 0.185612 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 1674749899.600000 Selection Set: True	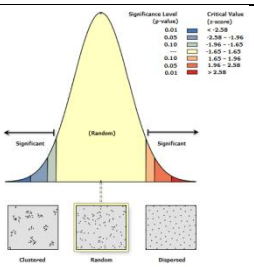
بني خالد	

Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 14985.6426 Meters Expected Mean Distance: 33018.0998 Meters Nearest Neighbor Ratio: 0.453861 z-score: -2.089603 p-value: 0.036654 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 17443118635.000000 Selection Set: True	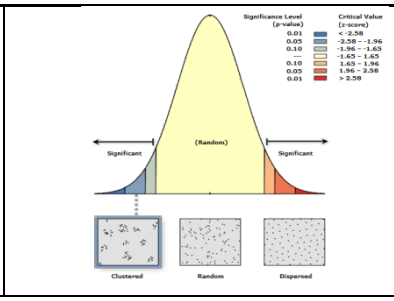
العوازم	
Average Nearest Neighbor Summary Observed Mean Distance: 25553.2024 Meters Expected Mean Distance: 38126.0176 Meters Nearest Neighbor Ratio: 0.670230 z-score: -1.092704 p-value: 0.274524 **Dataset Information** Input Feature Class: SAU_Places Distance Method: EUCLIDEAN Study Area: 17443118635.000000 Selection Set: True	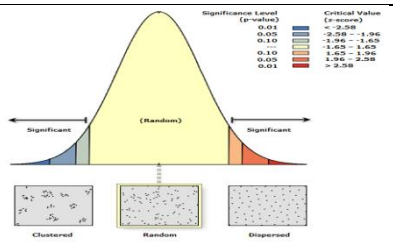
الهواجر	

ومن خلال ذلك يتضح أن نمط توزيع "الأحيزة الجغرافية الهجرية" على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل ينحصر في نمطين يوضحهما الشكل رقم (٢٠) ويتمثلان في النمطين الآتيين:

الأول: النمط (المتقارب/المجمع).

وتراوحت قيمة "**صلة الجوار**" لهذا النمط من (٠,٤٠٩٨٣٦) إلى (٠,٩٨٧٩٩) وتمثله جملة من "الأحيزة الجغرافية الهجرية" بلغ عددها (١٤٧) هجرة على مستوى الأطر المكانيّة لجملة من القبائل بلغ عددها (١٢) إطارًا تتمثل في "سبيع"، و"السهول"، و"العوازم"، و"قحطان"، و"الدواسر"، و"الهواجر"، و"حرب"، و"شمر"، و"عجمان"، و"مطير الشرقيّة"، و"آل مرة"، و"عتيبة". وفي إطار عمومية هذا النمط تتوزع "الأحيزة الجغرافية الهجرية" بطريقة متقاربة/مجمعة على مستوى أطر القبائل المكانيّة. وفي إطار عمومية التوزيع في إطار هذا النمط يمكن تقسيمه إلى نمطين فرعيين يوضحهما الشكل رقم (٢١) ويتمثلان فيما يأتي:

- **النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع المنتظم**، وتتراوح "**صلة الجوار**" فيه من (٠,٤٠٩٨٣٦) إلى (٠,٨٢٢٤٢٨) ويضم جملة من الأحيزة الجغرافية الهجرية يبلغ عددها (٩٢) هجرة، أي: ما يمثل نسبة (٥٣%) من جملة الأحيزة الجغرافية الهجرية تضم (٨) أطر مكانيّة لتوزيع القبائل وتحديدًا قبيلة "سبيع"، و"السهول"، و"العوازم"، و"قحطان"، و"الدواسر"، و"الهواجر"، و"حرب"، و"شمر" .

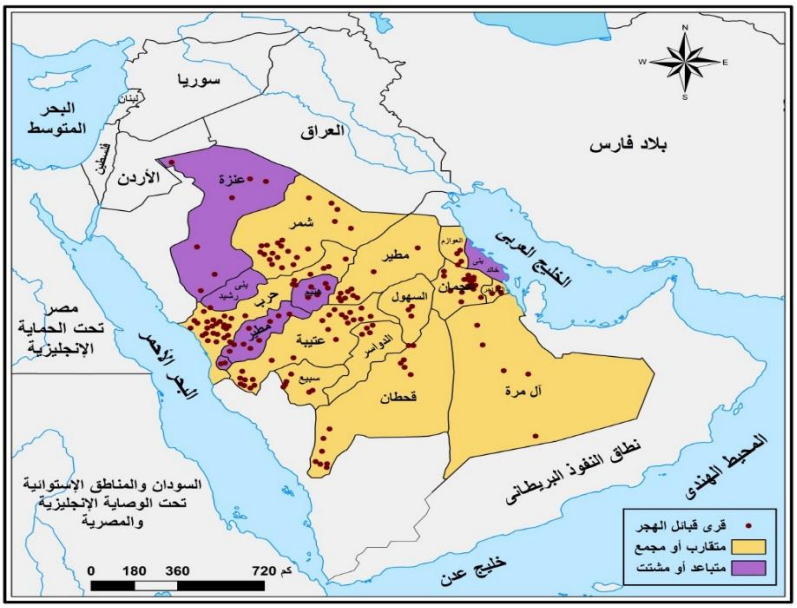

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٢٠): أنماط توزيع الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل

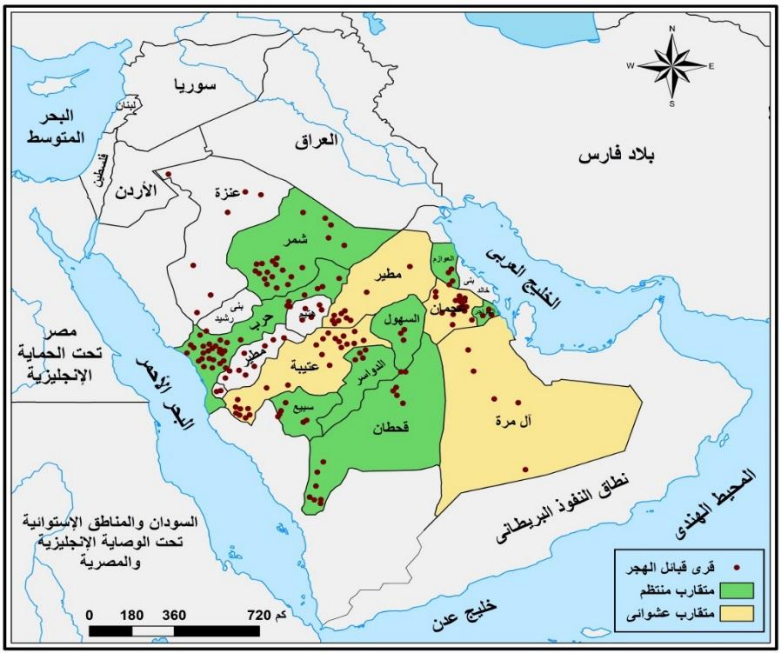

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٢١): النمطان الفرعيان في إطار النمط (المتقارب/المجمع)

- **النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع العشوائيّ**، وتتراوح "**صلة الجوار**" من (٠,٩٠٨٠١٧) إلى (٠,٩٢٩٠٢٢) ويضم جملة من الأحيزة الجغرافية الهجرية يبلغ عددها (٥٥) هجرة، أي: ما يمثل نسبة (٣٢%) من جملة الأحيزة الجغرافية الهجرية تضم (٤) أطر مكانيّة لتوزيع القبائل وتحديدًا قبيلة "عجمان"، و"مطير الشرقيّة"، و"آل مرة"، و"عتيبة".

الثاني: النمط (المتباعد/المشتت).

وتراوحت قيمة "**صلة الجوار**" لهذا النمط من (١,٠٦٩٤٧٠) إلى (١,٤٨٩٢٥٤) وتمثله جملة من "الأحيزة الجغرافية الهجرية" بلغ عددها (٢٥) هجرة، أي: ما يمثل نسبة (١٥%) من جملة "الأحيزة الجغرافية الهجرية" على مستوى الأطر المكانيّة لجملة من القبائل بلغ عددها (٤) أطر تتمثل في "هتيم"، و"مطير الغربيّة"، و"عنزة"، و"بني خالد" وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٢٢).

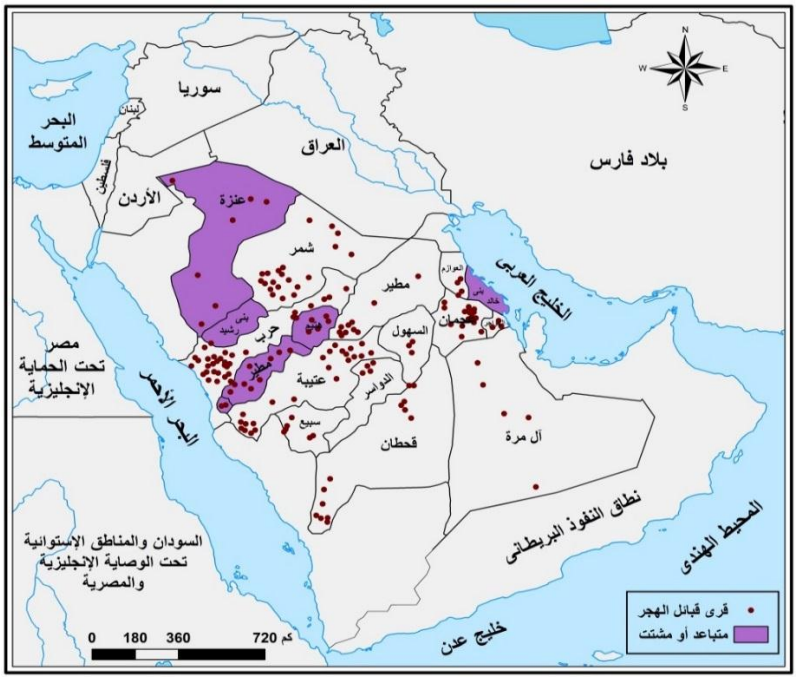

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٢٢): أنماط توزيع الأحيزة الجغرافية إطار النمط المتباعد/المشتت

والمحصلة، واعتمادًا على قيمة "صلة الجوار"، فإن عمومية أنماط توزيع "الأحيزة الجغرافية الهجرية" على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل يمكن حصرها على ما نحو ما يشتمله الجدول رقم (٢)

الجدول رقم (٢): أنماط التوزيع على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل

م	قيمة صلة الجوار	عدد الأطر المكانيّة لتوزيع القبائل	عدد الأحيزة الجغرافية	نمط التوزيع
١	من (٠,٤٠٩٨٣٦) إلى (٠,٨٢٢٤٢٨)	(٨)	(٩٢)	النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع المنتظم
٢	من (٠,٩٠٨٠١٧) إلى (٠,٩٢٩٠٢٢)	(٤)	(٥٥)	النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع العشوائيّ
٣	من (١,٠٦٩٤٧٠) إلى (١,٤٨٩٢٥٤)	(٤)	(٢٥)	النمط (المتباعد/المشتت)

المصدر: من عمل الباحث اعتمادًا على نتائج التحليل الإحصائيّ

٢ –التحليل الثاني: تحليل التوزيع حسب الاتجاه.

يعد هذا التحليل أحد الأدوات التي تهدف إلى التعرف عما إذا كان التوزيع المكانيّ لجملة من النقاط الموضعية داخل أحد الأطر المكانيّة يخضع إلى اتجاه محدد أم أنه ليس له اتجاه محدد. واعتمادًا على استخدام برنامج **Arc GIS (10,8)** ، وبعد حساب المركز المتوسط لتوزيع جملة الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الأطر المكانيّة لتوزيع القبائل، وبعد حساب الانحرافين المعياريين الشرقيّ والغربيّ لجملة الأحيزة الجغرافية الهجرية عن المركز المتوسط على مستوى الأطر المكانيّة لتوزيع القبائل، فإن نتاج ذلك مجموعة من المخرجات تتضح من خلال الجدول رقم (٣)

الجدول رقم (٣):

القبيلة	قيمة الاتجاه	الاتجاه	عوامل التوزيع
سبيع	115.107008	الجنوبيّ الشرقيّ/ الشماليّ الغربيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية البالغة ٢.٧٦٥٥٣٦٨٢٤٦٣ هناك احتمال أكثر من ١٪ بأن يكون هذا النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع المنتظم نتيجة فرصة عشوائيّة.
السهول	0.063871	الجنوبيّ/ الشماليّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية البالغة ١.٨٨١٥٧٨٣٤٢٩٨- هناك احتمال أقل من ١٠٪ أن يكون هذا هذا النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع المنتظم نتيجة الصدفة العشوائيّة.
العوازم	0.189256	الجنوبيّ الغربيّ/ الشماليّ الشرقيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية البالغة ٢.٠٨٩٦٠٢٦٦٢- هناك احتمال أقل من ٥٪ بأن يكون هذا هذا النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع المنتظم نتيجة فرصة عشوائيّة.
قحطان	35.899565	الجنوبيّ الغربيّ / الشماليّ الشرقيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية ٣.٦٨١٥٦٧٠٠٢٠٨- هناك احتمال أقل من ١٪ أن يكون هذا النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع المنتظم نتيجة فرصة عشوائيّة.
الدواسر	40.720356	الجنوبيّ الغربيّ / الشماليّ الشرقيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية ١.٩٤٥٢٧٦٢٩٦٨٢- هناك احتمال أقل من ١٠٪ أن يكون هذا النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع المنتظم نتيجة فرصة عشوائيّة.

الهواجر	53.30393	الجنوبيّ الشرقيّ/ الشماليّ الغربيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية البالغة -١.٠٩٢٧٠٤١٧٠٣٤ هذا النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع المنتظم يميل أن يكون نتيجة فرصة عشوائيّة
حرب	57.665902	الجنوبيّ الغربيّ / الشماليّ الشرقيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية البالغة -٣.٣٣٢١٩٨١٥٨٦١ هذا النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع المنتظم يميل أن يكون نتيجة فرصة عشوائيّة
شمر	50.704832	الجنوبيّ الغربيّ / الشماليّ الشرقيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية البالغة -١.٥٥٦٧٣٩٥٠٧٤٦ هذا النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع المنتظم يميل أن يكون نتيجة فرصة عشوائيّة
عجمان	128.400786	الجنوبيّ الشرقيّ/ الشماليّ الغربيّ	بالنظر إلى الدرجة المعيارية -٠.٧٢٥٥٤٢٧١٢٤٤٤ يبدو أن هذا النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع العشوائيّ نتيجة فرصة عشوائيّة
مطير الشرقيّة	51.228822	الجنوبيّ الغربيّ/ الشماليّ الشرقيّ	بالنظر إلى الدرجة المعيارية البالغة -٠.٤٢٩٣٩٣٠٢٨٩٢٨ يبدو أن هذا النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع العشوائيّ نتيجة فرصة عشوائيّة
ال مرة	153.681686	الجنوب الشرقيّ/ الشمال الغربيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية البالغة -٠.٢٠٠٣٦٩٥٥٤٧٣٦ يبدو أن هذا النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع العشوائيّ نتيجة فرصة عشوائيّة
عتيبة	53.54899	الجنوبيّ الغربيّ/ الشماليّ الشرقيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية البالغة -٠.١١٠١٢١٠٥٠٨٤ يبدو أن هذا النمط المتقارب/المجمع الذي يميل إلى التوزيع العشوائيّ نتيجة فرصة عشوائيّة
هتيم	55.418625	الجنوبيّ الغربيّ/ الشماليّ الشرقيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية البالغة ٠.٢٩٧١٧٥١٨٦٠٢٣ لا يبدو أن النمط (المتباعد/المشتت) يختلف اختلافًا كبيرًا عن العشوائيّ.
مطير الغربيّة	47.52845	الجنوبيّ الغربيّ/ الشماليّ الشرقيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية ١.٧٩١٥١٩٨٣٤٣٥ لا يبدو أن النمط (المتباعد/المشتت) يختلف اختلافًا كبيرًا عن العشوائيّ بنسبة احتمال أقل من ١٠٪
عنزة	11.769665	الجنوبيّ الغربيّ/ الشماليّ الشرقيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية ٢.٢٠١٧٣٤٢٢٣٩٦ لا يبدو أن النمط (المتباعد/المشتت) يختلف اختلافًا كبيرًا عن العشوائيّ بنسبة احتمال أقل من ٥٪
بنى خالد	130.274092	الجنوبيّ الشرقيّ/ الشماليّ الغربيّ	استنادًا إلى الدرجة المعيارية ١.٣٢٣٦٧٠٧١٠٥٩ ، لا يبدو أن النمط (المتباعد/المشتت) يختلف اختلافًا كبيرًا عن العشوائيّ.

ومجموعة من الأشكال البيضاوية التي يجملها الشكل رقم (٢٣) . وبناءً على مخرجات الجدول رقم (٣)، وقياسات المحاور الكبرى على مستوى جملة الأشكال البيضاوية التي يجملها الشكل رقم (٢٣)[١] يتبين أن التوزيع المكانيّ لجملة الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل يتخذ (ثلاثة) اتجاهات تتمثل فيما يأتي:

١ –الاتجاه الجنوبيّ الغربيّ/الشماليّ الشرقيّ.

وهو الاتجاه الغالب على توزيع الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الأطر المكانيّة لقبائل "العوازم"، و"قحطان"، و"الدواسر"، و"الهواجر"، و"حرب"، و"شمر"، و"مطير الشرقيّة"، و"مطير الغربيّة"، و"عتيبة"،

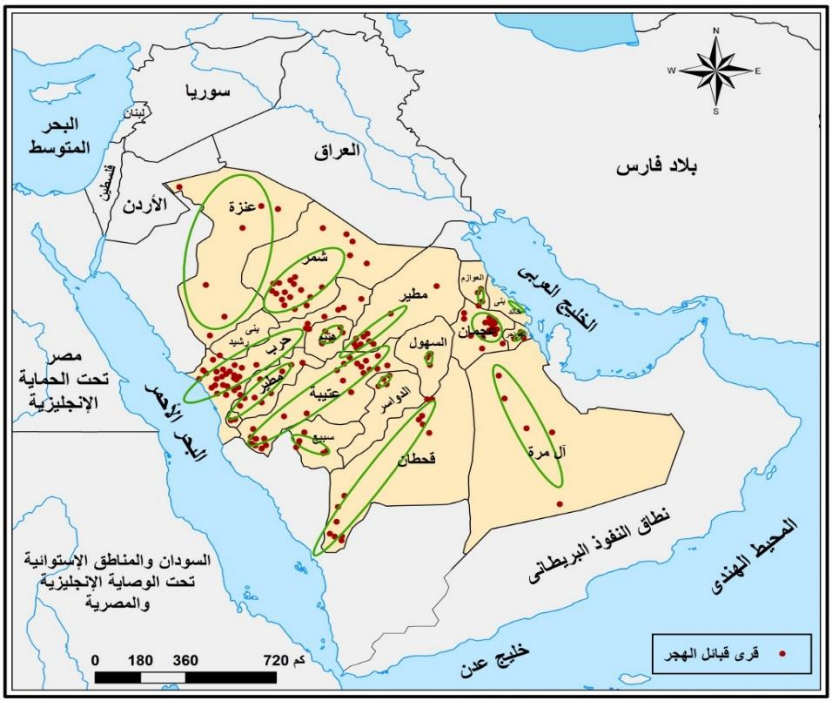

الشكل رقم (٢٣): تحليل التوزيع الاتجاهيّ للأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل

[١] **الشكل البيضاويّ يحتوي على أغلبية توزيع الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الإطار المكانيّ للقبيلة، وعلى ضوئه يتحدد إذا كان التوزيع المكانيّ للهجر يخضع لاتجاه محدد أم أنه لا يخضع لأي اتجاه.**

و"هتيم"، و"عنزة". وعلى ضوء معيارية عوامل التوزيع التي يشتملها الجدول رقم (٣) فإن عمومية اتجاه توزيع الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل السابقة لا تخضع لعوامل محددة.

٢ –الاتجاه الجنوبيّ الشرقيّ/الشماليّ الغربيّ.

وهو الاتجاه الغالب على توزيع الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الأطر المكانيّة لقبائل "سبيع"، و"عجمان"، و"آل مرة"، و"بني خالد". وعلى ضوء معيارية عوامل التوزيع التي يشتملها الجدول رقم (٣) فإن عمومية اتجاه توزيع الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل السابقة تميل إلى عوامل محددة.

٣ –الاتجاه الجنوبيّ/الشماليّ.

وهو الاتجاه الغالب على توزيع الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الإطار المكانيّ لقبيلة "السهول". وعلى ضوء معيارية عوامل التوزيع التي يشتملها الجدول رقم (٣) فإن عمومية اتجاه توزيع الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الإطار المكانيّ لقبيلة "السهول" يجنح إلى العشوائيّة أو الصدفة.

وعلى ضوء هذه الاتجاهات الثلاثة، وبمقارنة خريطة توزيع الأحواض المائية الجوفية على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة"، مضافًا إليها الخريطة الجيولوجية، والخريطة التضاريسية يتضح أن عمومية توزيع الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى الأطر المكانيّة للقبائل في شبه الجزيرة العربيّة إنما جاء في إطار من الانتقاء الذي يخضع لمدى وفرة المياه.

ثالثًا – التوزيعات المكانيّة والأنويةالتنمويّة.

لا تكمن مشكلة فكر التغيير في أسبابه الانتقاعية أو آلياته التنفيذيّة، إنما تكمن في نتاج الرؤية التي من المفترض بلوغها بالتغيير. وهنا يكمن جوهر فكر التغيير الذي من المفترض أن يسبق فكر التنمية. وتأسيسًا على ذلك يرى بعضهم أن الإمام "عبد العزيز بن سعود" حين فكر في مشروع "الهجر" كان واضحًا في ذهنه منذ

البداية أن عملية توطين البدو تكمن فيها اعتبارات متعددة، منها: إقامة مجتمع عصريّ متطور يتماشى مع توحيد أجزاء الدولة في ظل إصلاح اجتماعيّ يضمن لهذه الدولة الفتية الناشئة الاكتفاء الذاتيّ في أهم مجالات الحياة(عثمان الصالح،١٩٨٥: ١-٢). وقد يُظن بأن الحقيقة الحاضرة في رؤية هذا المشروع تمثلت في أنه لا يمكن تغيير البدو إلا بتعليمهم، وتحويلهم إلى مستقر، وعند ذلك فسيكون معاديًا لكل سلطة مستقرة في الدولة[١]. والحقيقة فجملة ما سبق من آراء وظنون أمرٌ طبيعيّ يتسق مع ما آلت إليه نتائج مشروع الأحيزة الجغرافية الهجرية (**أي: أنها آراء بعد النتيجة وليس قبلها**)، غير أنها تتضمن نوعًا من التحميل التاريخيّ، وفي حالة إخضاعها في بؤرة تقييم الحاضر فإن أمرها سيحتاج إلى مراجعات تصويبية. وذلك لأنها لا تستجلي طَويَّة الرباط السُّرِّيّ بين فكر التغيير بوصفه عملية سابقة على نشأة الأحيزة الجغرافية الهجرية، وفكر التنمية بوصفه عملية متزامنة مع نشأة الأحيزة الجغرافية الهجرية. وهنا يكمن موضع الرباط، وللرباط فلقد حرص الإمام "عبد العزيز بن سعود" على تجنب الصراعات الدائرة في فترة مقدمات الحرب العالمية (الأولى)، وحين اندلعت كان منكبًا على إنجاز مشروعه الضخم الذي كان يتمثل في توطين البدو أو ما يمكن تسميته بمشروع "**الأنوية التنمويّة**". ومن ثم لم تكن تعنيه الاتجاهات السياسيّة الخارجية، أو حتى الداخليّة (كونها لم تكن موجودة)، بل كان يعنيه استنهاض ما سيرتكز عليه في بناء سياسته الداخليّة ومن بعدها الخارجية وفق ما ستؤول إليه نتائج الدوائر كافة.

وفي حقيقة القول فهذا هو ظاهر فكر الرباط، أما جوهر بنيته والذي كان بمنزلة فكر الآليات التنفيذيّة في مشروع الأحيزة الجغرافية الهجرية فكان يتمثل فيما يمكن أن يُطلق عليه بـ "**تجزئة التنمية**" ذلك الفكر الذي ينظر إلى التنمية بعدّها

---

[١] **إن الذي سيزرع يحتاج إلى أن ينتمي إلى سلطة تنظيمية ثابتة، وفي بداية الأمر لم تكن هناك أي سلطة أرضية يمكن أن تخضع البدو؛ ومن ثم كان لا بد من سلطة فوق أرضية تنتمي للسماء التي تمثل مرمى رؤية البدو، ولقد تمثل ذلك في تعاليم الدين الذي كفل ذلك كله.**

التوزيعات المكانيّة التي سيُبنى منها الكل، وليس **التوزيعات المكانيّة التي سيتألف منها الكل** وذلك على نحو ما يتضح من الشكلين رقم (٢٤)، و(٢٥).

وفي إطار ذلك، يرى "ديكسون" "**Dickson**" من خلال مذكراته التي جاءت تحت عنوان "**Notes ON The Akhwan Movement**" أن رؤية الإمام أخذت بعد النجاح في "الأرطاوية"

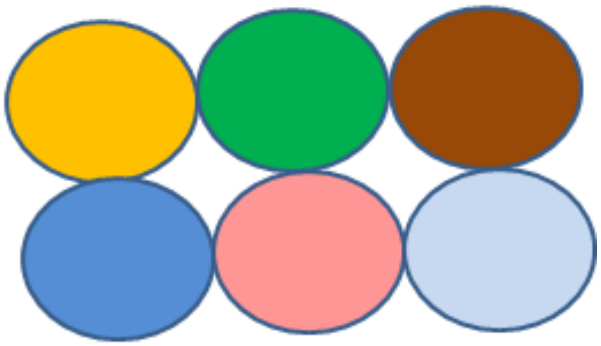

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٢٤) : التوزيعات المكانية التى سيُبنى منها الكل

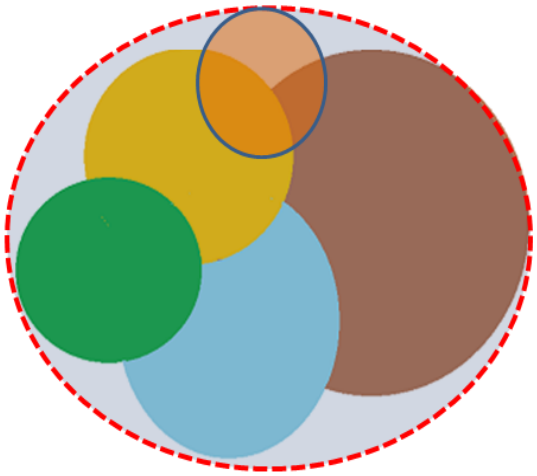

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٢٥): التوزيعات المكانية التى سيتألف منها الكل

تنتقل من مرحلة إلى أخرى، وكان يتم ذلك بصورة تتسم بالذكاء الشديد، ولقد أظهر الإمام مقدارًا من العبقرية في السير بمشروعه دون أن يستفز البدو أو يستجلب أي رد فعل في هذه المرحلة (موضى بنت منصور عبد العزيز، ١٩٨٨: ١١٧). ولعل ما يجب إدراكه بعدّه أحد بواعث الفكر التنمويّ، أن عملية التوزيع المكانيّ لإقرار القبائل في الهجر كانت له العديد من النتائج الاقتصادية التي أدت إلى الحفاظ على (وبدقة حماية)، مجموعة من النتائج الأخرى في إطار من ديناميكية التداعي؛ ومن ثم كان فكرًا تنمويًا متكاملًا تضمن توزيعات مكانيّة لمجموعة من الأحيزة الجغرافية الهجرية فوق رقعة من الأرض تفتقد ذلك. ليس هذا فحسب، بل كان فكرًا تنمويًا متصاعدًا لم يعتدِ على الهوية الوجودية، بل إنه تجاوز الفواصل المكانيّة. وفي **إطار** هذا الفكر يرى "بلنج" "**Beling**" في دراساته التي جاءت تحت عنوان "**King Fasial and the Modernization Of Saudi Arabia**" أن الأحيزة الهجرية التي قامت في صحراء الجزيرة العربيّة كانت بمنزلة إنجاز أدى إلى نهضة، وما التحديث الذي تم بمعرفة خلفاء الملك "عبد العزيز بن سعود " بعد ذلك إلا امتداد لهذه النهضة التي قامت في الهجر (**Beling,1979:91-97**). بل يذهب "فينلون" "**Fenelon**" إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث يرى أن أي تحديث للنمو الاقتصاديّ بعد ذلك جاء تقليدًا لهذا الجهد الناجح للملك "عبد العزيز بن سعود" في التنمية والتحديث عن طريق الاهتمام بالزراعة وتعمير الصحراء وتسكين البدو (**Fenelon,1973:44**).

وفي **إطار** التوزيع المكانيّ لجملة الأحيزة الجغرافية الهجرية كان مشروع تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" للانتقال بالجزء الأكبر في "شبه الجزيرة العربيّة" من طور الرعي والارتحال إلى طور الزراعة والتشبث بالأرض.

وفي **إطار** فكر **تجزئة التنمية**، بات للتوزيع المكانيّ لجملة الأحيزة الجغرافية الهجرية جغرافيات من التعايشيات الاستباقيّة التنمويّة على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة" يمكن التعرف إلى بعض خصائصها من خلال النقاط الآتية.

١ –كانت توزيعات "الأحيزة الجغرافية الهجرية" بمنزلة مرافق إنتاج في المقام الأول؛ ومن ثم كانت بواعث للتنمية الذاتيّة بما كانت تكفله من مدارس مهنية للتدريب، وفي إطار ذلك كانت الأحيزة الجغرافية الهجرية أنوية الإنتاجية الذاتيّة في إطار لم يشهد ذلك من قبل إلا في مناطق محددة. وفي ظل هذا كله أُعيدت هيكلة النمط الاقتصاديّ الذي كان سائدًا في سلطنة "نجد وملحقاتها"؛ وهو أمرٌ جاء متلازمًا للتغييرات الاجتماعية في ظل هيمنتها المتنامية. وفي عبارة تقييمية يمكن القول: إن جغرافيات التوزيعات المكانيّة للهجر تكونت بذاتيّة أمكنتها الداخليّة، وسرعان ما نمت بجغرافيات علاقاتها الخارجية.

٢ –يرى "روجرز" "**Rogers**" و"سيفينج" "**Svenning**" أن الغيبية الاقتصادية وما تنطوي عليه من الإمكانات على التنبؤ بمستقبل التحولات الكبرى تمثّل خطورة **(Rogers and Svennig,1969:37-39)**. نعم وهذا هو القول الحق، بيد أن مشروع الأحيزة الجغرافية الجديدة لم يكن نوعًا من الغيبية بقدر ما كان نوعًا من الاستباقيّة في إطار المعرفة المضمونة، التي اعتمدت على فكر "**التجزئة التنمويّة**" أو ما يمكن تسميته بـ **الأقلمة التنمويّة**"[٢]. وفي إطار ذلك لم تكن توزيعات الهجر المكانيّة بمنزلة جملة من الأحيزة الاقتصادية المنعزلة عن بعضها بعضًا، بل كانت تشكل نسقًا انتظم فيه كل منها بوصفه جزءًا من كل، كأنهم أعضاء في كتلة حركية واحدة.

---

[١] **إلى جانب الضمانات الاجتماعية كافة سالفة الذكر، كانت لأهل الهجر ضمانات اقتصادية تمثلت في أعطيات بوصفها معونة من ناحية وتعبيرًا عن استجابتهم لدواعي الجهاد حين يُدعى لذلك من ناحية أخرى. ولقد انحصرت تلك الأعطيات في أربعة أنواع، هي: الشرهة: التي كان يعطيها الإمام من خزينته الخاصة، والقاعدة: وهي قدر من المال في كل سنة لكل فرد من أفراد الهجر، والبروة: وهي مبلغ يتسلمه من يطلبه بتحويله إلى بيت المال أو عامل الزكاة، والمعونة: وهي أعطية لا تتقيد بموعد أو نظام محدد. (موضى بنت منصور عبد العزيز، ١٩٨٨: ١١٧)**

٣-فى ظل الانتقاء الاختياريّ لأماكن الهجر أضحت الزراعة الحرفة الأساسية فيها ومن بعدها الرعي؛ ومن ثم كانت تحيط بالأجزاء المخصصة للزراعة مناطق للرعي، وبناءً على ذلك قامت في الهجر العديد من الصناعات البسيطة كان من أهمها صناعة منتجات الألبان، والبسط، والسجاد، والملابس الصوفية، والجلدية. وفي خطوة استباقيّة ترتب على على ذلك قيام تجارة بينية بين الهجر وبين المراكز الحضارية القريبة منها.

٤-وعلى عكس ما ظنه "حمدان" فيما يتعلق بتناقص قيمة الأطر المكانيّة بوصفها قيمة نفوذية بالخروج منها؛ كونها مصدر العلاقات (جمال حمدان،١٩٧٨: ٣٦٨)، فلقد شكلت توزيعات الأحيزة الجغرافية الهجرية المتنوعة فيما بينها مجموعة من العلاقات الاقتصادية المتصلة غير المنقطعة، والمتحركة غير الثابتة، عكست في جملتها خصائص مجموعة الأودية الحوضية التي تنتمي إليها مواضعها؛ ومن ثم فلقد استطاعت غزل عمران انتهى بنسج دولة.

٥-كفل التوزيع المكانيّ للأحيزة الجغرافية الهجرية تغيير القبائل من نمط الانعزالية الاقتصادية المتحركة التي كانت تشبع حاجاتها؛ اعتمادًا على الموارد الطبيعية التي تسيطر عليها إلى نمط الانفتاحية الاقتصادية المستوطنة التي تشبع حاجاتها؛ اعتمادًا على موارد إنتاجية زراعية وحيوانية قابلة للاستثمار؛ ومن ثم استندت الهجر إلى جملة من الآليات التنفيذيّة في إطار تطبيق الفكر التنمويّ.

٦-كانت القبائل خلال أشهر الترحال تبدل الأرض التي تنصب عليها خيامها؛ ومن ثم كان يوجد بدو الارتحال الواسع، وبدو الارتحال المحدود، وبدو الارتحال الموسميّ[٢]، وغالبًا ما كان يؤدي هذا التبديل إلى احتكاك القبائل، وبناءً على ذلك كانت البداوة نوعًا من عدم الاستقرار الذي لا يمكن إخضاع اقتصادياته للتغيير؛ لذا لم يكن شيئًا بعد ذلك سوى الفوضى. وبناءً على ذلك ينظر إلى التوزيع المكانيّ للأحيزة الجغرافية الهجرية على أنه نوع استُولدت به بنية اقتصادية جديدة من عمومية بنية نظام فوضويّ سائد كان يقوم على الارتحال.

---

[١] ومن ثم كان الرعي هو الصورة الحديثة والمعاصرة التي استمرت فيها البداوة أكثر من استمرارها في أي وظيفة أخرى، وفي إطار ذلك ينظر إليه "عمر الفاروق" بعدّه وسيلة النمو الاقتصاديّ لدى البدو (عمر الفاروق،١٩٨١: ٢٢-٢٥).

٧-يمكن القول: إن مشروع الأحيزة الجغرافية الهجرية لم يكن ينتمي إلى الجذم (الطبقة الأولى من العرب)، أو الجماهير (الطبقة الثانية)، أو الشعوب (أو القبائل، أو العمائر، أو البطون، أو الأفخاد، أو حتى العشائر والفصائل)؛ بل كان ينتمي إلى رؤية تنمويّة موحدة تمكنت من تجاوز حواجز كل ما سبق. تمكنت من التدخل للتغيير من التعايش الرعويّ إلى التعايش الزراعيّ، ومن حياة التجول والترحال إلى الارتباط بالأرض؛ ولم يكن ذلك أمرًا خضع لقرار إداريّ بل كان أمرًا تفاوضيًا خضع في جزء منه للجدوى الاقتصادية والعوائد الانتفاعية، أي: أنه أمرٌ خضع للإقناع من جهة والاقتناع من جهة أخرى.

٨-كانت بنية التوزيع المكانيّ للأحيزة الجغرافية الهجرية بمنزلة أنوية جاذبة، ترددت عليها بقية القبائل التي كانت بيوتهم لا تزال على ظهور إبلهم، ولقد وجدت هذه القبائل في هذه البنية كل ما يعين على الارتباط بها؛ ومن ثم تخلت ظهور إبلهم واستندت إلى التشبث بالأرض.

٩-كان التوزيع المكانيّ للأحيزة الجغرافية الهجرية الوسيلة التنفيذيّة التي أرست قواعد نشأة الدولة السعوديّة، وتؤكد تاريخيّتها حقيقة تنمويّة مضمونها أن العون الخارجيّ لا يصنع التقدم إنما يساعد عليه. فهي لم تكن في جوهرها مجموعة من قرى الاستصلاح الزراعيّ الجديد، بل كانت بمنزلة أنوية تجريبية تدور في فلك تأسيس نظام في إطار وطن مترابط.

١٠-يمكن القول: إنه كان يوجد إدراك استباقيّ فيما يتعلق بالتمييز بين المشروعات القصدية بوصفها عملية تحضرية، وبين عوائد الانتفاع بوصفها نتيجة مرحلية، وبين التنمية بوصفها عملية نهائية شمولية، فليس كل مشروع قصديّ من الضروريّ أن يؤدي إلى التنمية، غير أنه غالبًا ما يؤدي إلى العوائد الانتفاعية، وما يُؤخذ على هذا الفكر الذي لا يميز بين هذا وذاك أن المشروعات القصدية التي تفضي إلى العوائد الانتفاعية (وقد تفضي إلى التنمية في مرحلة ما)، ما هي إلا عوائد ذاتيّة لا يشملها العموم (كما هو الحال في واقع التنمية)؛ كونها تقتصر على هدف ذاتيّ في إطار مكانيّ محدد خلال زمن معين. ومن ثم مرت الأحيزة الجغرافية الهجرية بمراحل من النضج تحولت فيها من كونها مشروعات قصدية، إلى عوائد انتفاعية بوصفها نتيجة مرحلية، ومنها إلى التنمية بوصفها مرحلة شمولية.

والمحصلة، لا نظام اقتصاديّ في حياة كائن مرتحل، وقد يبدو ذلك نوعًا من الإسراف في عمومية الحكم، بيد أنه كان الحقيقة الواقعية في "شبه الجزيرة العربيّة" حتى بداية القرن العشرين. وفي إطار ذلك هل كان مشروع الأحيزة الجغرافية الهجرية نوعًا من التوزيع الإصلاحيّ القائم على التوطين أم نوعًا من التوطين قام على التوزيع الإصلاحيّ؟. وفي الإجابة عن ذلك تكمن مواضع ما يمكن تسميتها بالجغرافيات الاستيلادية، فالتوزيع الإصلاحيّ أولًا لم يكن سوى غاية، وكان لا بد لها من آليات تنفيذ تمثلت في التوطين، وبتلك الآليات تحققت الغاية التي أدت إلى الإصلاح، وبالمزيد من الإصلاح كان المزيد من الآليات.

وفي إطار ذلك يمكن القول: إن عملية التوزيع المكانيّ للهجر كانت نوعًا من الاستحداث التنمويّ المخطط لجملة من الأحيزة أمكن من خلالها إعادة تأهيل البدو من الانتشار الأفقيّ إلى التثبيت الأرضيّ ومنه إلى التشبث الجغرافيّ الذي انتهى إلى بنية الدولة. وفي إطار ذلك يمكن القول: إن جملة الأحيزة الجغرافية الهجرية كانت بمنزلة نوع من الاستعداد التعايشيّ القصديّ أنيط به إدراك التغيير من أجل بلوغ التغيير. وبهذا كله وللمرة الأولى في تاريخ "ديار العرب" الحديث استطاع الإمام "عبد العزيز بن سعود" أن يُخرج البدو من هيمنة "**الديرة**" بعدّها الوعاء الاجتماعيّ والاقتصاديّ الحاوي لقبيلة معينة، إلى هيمنة "**الهجرة**" بعدّها الوعاء الحاوي الذي يتصف بتعدد أفراده من دون الاقتصار على قبيلة محددة[1]. وبهذا كله توطن البدو، وبتوطنهم استطاع الإمام "عبد العزيز بن سعود" التخلص من القوى المناوئة له بين القبائل من جهة وتوجيه البدو للمساهمة في تقوية قدراته العسكرية من جهة أخرى. ولأنه كان يعلم أن البدو لا تسهل قيادتهم؛ لفرط شعورهم بالعزة وعدم اعترافهم بأي سلطان إلا إذا اتبعوا واعظًا (حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٥: ٩) فلقد امتزجت عمرانيّة "**الهجرة**" بالدين؛ حتى أضحى من الصعب التمييز بينهما

[1] **غالبًا ما تؤدي النتائج إلى الاقتناع بضرورة قبول التغييرات؛ ومن ثم فالتنمية دائمًا دومًا تحتاج إلى إثبات يُبرهن على وجوديتها.**

المحور الخامس:

الأحيزة الجغرافية الهجرية
والأبعاد التوظيفيّة

يرى "جون حبيب" أن عبقرية الملك "عبد العزيز بن سعود" لا تتمثل في مقدرته على جمع البدو تحت لوائه عن طريق الإجماع أو القهر، أو حتى انتصاراته في كل من "الحجاز" و"عسير"؛ إنما تتمثل في إنشائه لحركة "الإخوان النجديين"[١]. تلك الحركة التي تكونت عن طريق إحياء الإسلام بين البدو بوصفها خطوة أولى، ثم تلتها عملية الاستقرار في مجتمعات زراعية (شبه عسكرية)، بوصفها خطوة ثانية؛ ومن ثم فلقد جاء بحل فريد للمشكلات السياسيّة التي ظل البدو يضعونها طوال قرون عدة بوصفها عقبة أمام من يحكم "شبه الجزيرة العربيّة" (جون حبيب،١٩٩٨: ٣٢). هذا رأيه، وبعيدًا عن تلك الأمور التي ترتبط بمدى صواب ذلك (كما سيأتي خلال هذا المحور)، تكونت جملة من الجغرافيات الاستباقيّة أسفرت عن أخرى من الجغرافيات الدينية التي يمكن التعرف إلى بعض من خصائصها على ضوء العناصر الثلاثة الآتية:

أولًا– الأحيزة الجغرافية الهجرية بين التوظيف العمرانيّ والتوظيف الدينيّ.

أدرك الإمام "عبد العزيز بن سعود" أن القوة العسكرية التي أخضع بها "نجد"، لم تعد تناسب رؤاه التوسعية التي خطط لتنفيذها في أجزاء متعددة على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة". وعلى الرغم من إخلاص سكان الحضر وولائهم له؛ فإنهم لم يكونوا على استعداد لترك حقولهم، وواحاتهم، ومحلاتهم من أجل القتال في "الحجاز" أو في

---

[١] يقول "محمد الصحابي" أحد الحكام السابقين للطائف بعد أن سيطر عليها "الإخوان النجديون" في العقد الثالث من القرن العشرين: **"إذا أردنا تعريفًا لحركة الإخوان النجديين فنقول إذًا: الإخوان النجديون هم أولئك البدو الذين يمارسون شعائر الإسلام الأصوليّ طبقًا للمذهب الحنبليّ الذي تشربه محمد بن عبد الوهاب؛ ذلك المذهب الذي نسيه أجدادهم، وأسلافهم أو حادوا عنه. الإخوان النجديون هم أولئك الرجال الذين تخلفوا عن طريق إقناع الدعاة الدينيين لهم وبفضل المساعدة المادية التي قدمها لهم ابن سعود ليعيشوا في الهجر التي أنشأها لهم. الإخوان هم أولئك الذين هاجروا البداوة إلى الإسلام، وهم أيضًا أولئك الذين كشفوا علانية عن قطع صلتهم بالماضي بأن لفوا عمامة حول غطرهم بدلًا من الحبل الأسود".** (جون حبيب،١٩٩٨: ٤٩).

أي مناطق أخرى بعيدة. ولما كان الإمام بحاجة إلى قوة عسكرية تتمتع بخفة البدويّ وولائه، وشجاعة سكان الحضر، وإخلاصهم واستقرارهم وثباتهم، ولما كان البدو هم العنصر الوحيد المتاح له؛ فإنه كان لزامًا عليه إعادة بنائهم مرة أخرى. ولم تكن هناك أصلح من فكرة الهجر؛ لضمان إتمام الأمر؛ ومن ثم كانت "الأحيزة الجغرافية الهجرية" نوعًا من الخروج من نسيج "نجد" القبليّ إلى الاستقرار والتوظيف العمرانيّ. وفي إطار هذا التوظيف، استطاع الإمام "عبد العزيز بن سعود" تغيير البدو بشكل جوهريّ (ففي خلال سنوات قلائل أمكن تحويلهم إلى قوة خفيفة تستطيع أن تجوب شبه الجزيرة العربيّة)، كما جعلهم قوة مستقرة يمكن وضعها في أي مكان إذا أراد هو لها ذلك، في ظل جزيرة كانت تموج بالتقسيمات الداخليّة والنزاعات البينية وذلك على نحو ما يوضحه الشكل رقم (٢٦)، فعل ذلك من دون جعجعة إقليمية أو جلبة دعائية (جون حبيب،١٩٩٨: ٤٨)

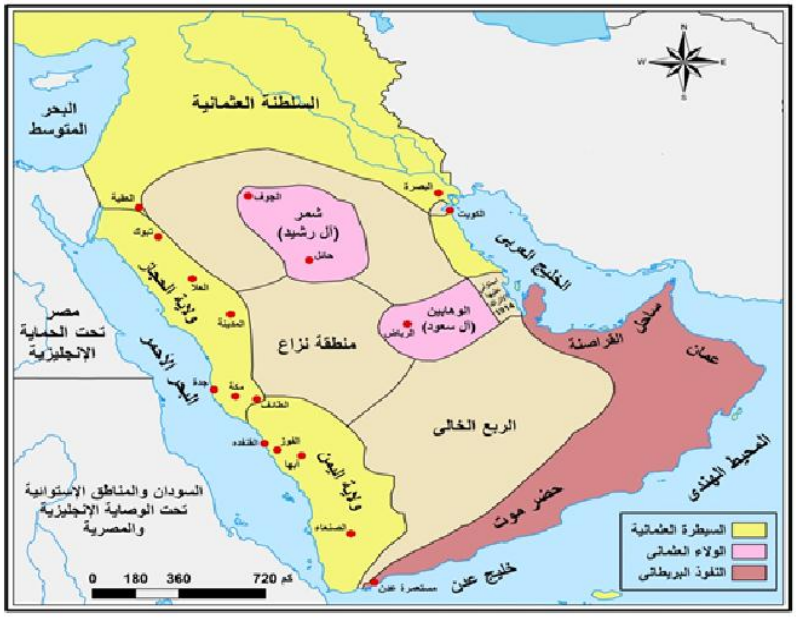

المصدر: الشكل اعتمادًا على مجموعة من الدراسات التى تتعلق بتطور نشأة الدولة السعودية.

الشكل رقم (٢٦): التقسيمات الداخليّة والنزاعات البينية في الجزيرة العربيّة في عام (١٩١٤م)

وفى حقيقة الأمر لا يرتبط مفهوم "الهجر" بتعريف الإخوان النجديين؛ إذ إن مجرد التفقه في الإسلام لم يكن يؤهل صاحبه لأن يكون واحدًا من الإخوان النجديين؛ فقد كان يتعين على المؤمن أن يهجر حياة البدواة، ويبيع ماشيته ثم يهاجر إلى إحدى الهجر بوصفها مستقرًا. وأسوةً بهجرة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" من "مكة" إلى "المدينة"، والتي كانت بمنزلة فجر العصر الإسلاميّ؛ جاءت هجرة البدويّ رمزًا إلى انفصاله عن بداوته الماضية انفصالًا لا رجعة فيه، وفي ذلك يقول "الريحانيّ": "**الهُجَرْ هي صيغة الجمع من الهجرة التي يقول المعجم: إنها تعني التخلي عن العيش بين الكفرة والانتقال للعيش في أرض الإسلام**" (أمين الريحانيّ،١٩٢٧: ٢٦١). وفي ذلك يقول "وهبة":"**في السنوات الأخيرة أصبحت علمًا على سكان البادية الذين تركوا السكنى في الخيام واستقروا في أماكن معينة، وبنوا لسكانهم بيوتًا من الطين سُميت هجرة؛ إشارة إلى أنهم هجروا الحياة القديمة المكروهة إلى حياة أخرى محبوبة**" (حافظ وهبة، ١٩٥٦: ٢٨٥). وعندما يتعلق الأمر بالسياسيّة فإن "عبد الله" ابن الملك "حسين" ملك "الحجاز" في رسالته إلى السلطان "عبد العزيز بن سعود" في عام (١٩١٨) يقول: **إن كنت تنوي الخير للمسلمين كما زعمت فاردد الذين أمرتهم ببيع مواشيهم، وبنيت لهم الدور (أي: الهُجَر) وأخل أنت مكانك الذي وصلت إليه، وانحر (أي: عد إلى) دِيرَتك (المكان الذي تسكنه وتنتمي إليه)، ولك عليّ ألا أمس أحدًا من أهل "نجد" بسوء. إني مرسل إليك كتابي هذا مع أحد نجاجيبك وهو "القسماني" وأبقيت الآخر ليأتيك بخطاب صاحب الشوكة والدي والسلام. القائد العام للجيوش الشرقيّة الهاشمية** (أمين الريحانيّ،١٩٢٧: ٢٤٩). ولأنه أدرك ما آلت إليه "الهجر" من تنظيمات اجتماعية، واقتصادية، وسياسيّة. ولأنه كان يدرك ما كان يمكن أن تؤول إليه هذه التنظيمات بما كانت تستند إليه، وتخلص إليه من مرجعية دينية؛ فلقد جاء رد "عبد العزيز بن سعود" سلطان "نجد" على هذا الخطاب في كلمات لم تتجاوز (٢٨) كلمة هي: "**لا نسلم بذرة من حقوقنا، ولكننا لا نقول في أعدائنا ما يقولون فينا، ولا**

نطلب غير ما كان لآبائنا وأجدادنا قبلنا، ليعلم أصحابنا الإنجليز وليعلم الشريف وأولاده" (أمين الريحانيّ،١٩٢٧: ٢٥٢).

وفي إطار ذلك فإن كلمات السلطان "عبد العزيز بن سعود" تعبر عن جوهر رؤيته التي كان يطمح إلى تحقيقها، وعلى ضوء تلك الرؤية حرص السلطان على توظيف الهجر في إطار من التوازن التعايشيّ المشروط بحاكمية الدين؛ ليضمن من خلاله عدم تجاوزها لحدود السلطة أو الخروج عنها. ولعل هذا ما لم يضلع به كثير من الباحثين لأسباب عديدة، منها: سرعة توارد الأحداث آنذاك وما كان ينجم عنه ذلك من نتائج. ولعل من أبرز هولاء " سمولي" "**Smalley**" الذي كان يرى من خلاله دراسته البحثية التي خلص إليها في عام (١٩٣٢) تحت اسم "**The Wahhabis and Ibn Saud**" ما يأتي: "**كان ابن سعود يتجنب هذا الموضوع (أي: الحديث عن هذا التوظيف)؛ نظرًا لأن إنشاء حركة الإخوان (من خلال الهجر)، كان يرتكز في الأصل على مطامحه السياسيّة العسكرية في بقية شبه الجزيرة. ونظرًا لصدق هذه المطامح (من وجهة نظره)، فقد كان ابن سعود يود إخفاءها عن أعين الإنجليز أطول فترة ممكنة بسبب دعمهم ومساندتهم للملك حسين. وقد خدم إخفاء حركة الإخوان (في الهجر) ومقدرتهم العسكرية أهداف ابن سعود خدمة جليلة. فمع بدايات نشأة هذه الحركة ونموها لم يكن يزعم أن له أي شكل من أشكال السيطرة عليها، وعندما أصبحت علاقته بالإخوان أمرًا مؤكدًا لا يمكن إنكاره، أصبح يلمح بهجوم الإخوان على أنه قوة يمكن عن طريقها تحقيق هدف محدد**".(smalley,46,1932).

وبناءً على ما سبق فإن دراسة "سمولي" "**Smally**" في عام (١٩٣٢) – ذلك العام الذي شهد قيام نُسبت اسما إلى من قام بتوحيد الجزء الأكبر من الجزيرة العربيّة فخلصت إلى "المملكة العربيّة السعوديّة"– جاءت في مرحلة النتيجة وليس في مرحلة بناء النتيجة، وشتان الفرق بين المرحلتين. فالأولى: يُعزَى إليها الأسباب التي

ستؤدي إلى فعل النتيجة، في حين أن الثانية: يُعزَى إليها تقييم فعل النتيجة. وعندما يتعلق الأمر بالعديد من الأحداث التاريخيّة في "شبه الجزيرة العربيّة" خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين فإنه لا رباط بين المرحلتين، أي: أنه لا رباط بين الفعل والنتيجة من ناحية، وبين التقييم والنتيجة من ناحية أخرى. ولو أن "سمولي" قد تقدم بمقاله هذا خلال العقد الثاني من القرن العشرين أو حتى الثالث (أي: قبل قيام دولة المملكة العربيّة السعوديّة في عام (١٩٣٢)، لأمكن الاعتقاد بصحة ما ذهب إليه من دون الحاجة إلى المراجعة التاريخيّة. وأيًا كان الأمر، فلقد أعادت "الأحيزة الجغرافية الهجرية" صياغة قيم المحلات العمرانيّة في منطقة "نجد" وملحقاتها بكل ما يحمله معنى القيم هنا من دلالات روحية، أو إنسانية، أو حتى توظيفيّة؛ الأمر الذي كان من نتائجه وجود جملة من المحلات العمرانيّة صُبغت بإطار من المرجعية الدينية. وفي حقية الأمر فإن للباحثين في هذه النقطة آراء مختلفة، فمنهم من كان يرى أن استخدام المرجعية الدينية كان بهدف السيطرة على البدو، ومنهم من كان يرى أن استخدام المرجعية الدينية كان نوعًا من محاولة شرعية يمكن من خلالها استكمال رؤية الإمام "عبد العزيز بن سعود" الاستباقيّة، أما "جون حبيب" فلقد كان له رأي آخر تمثل فيما يأتي: "**يستطيع الدارس أن يقف على شكل حركة الإخوان النجديين بعد العام (١٩١٢)، بعد أن استعاد ابن سعود نجد، التي تركها له أسلافه. يستطيع أن يفهم ذلك على ضوء الخطط التي وضعها لمنطقة الحجاز. أما الحقيقة التي مضمونها أن الإخوان النجديين كانوا في واقع الأمر بمنزلة السيف الذي استعمله ابن سعود في غزو الجزيرة؛ فإنه لا يمكن التغاضي عنها بعدّها نتيجة طبيعية أو حتى بعدّها نتيجة عارضة، لهدف آخر من أهداف إنشاء حركة الإخوان النجديين سواء أكانت هذه الأهداف اجتماعية أم كانت اقتصادية**" (جون حبيب،١٩٩٨: ٥٠-٥١). والقول في ذلك: إن السيف يذهب جفاء، وليس أدل على ذلك من تمرد فئة كبيرة من "الإخوان النجديين" أنفسهم في العديد من "الهجر" على مستوى "شبه الجزيرة

العربيّة". وعلى الرغم من نتائج هذا التمرد فإن ذلك لم يحل دون استكمال رؤية الإمام "عبد العزيز بن سعود" التي لم تكن لتكتمل إلا بتوحيد الجزء الأكبر من "شبه الجزيرة العربيّة".

ثانيًا – الأحيزة الجغرافية الهجرية بين التوظيف الاجتماعيّ والتوظيف الدينيّ.

هل مطلب التغييرات الاجتماعية له مستوى معين من حد النمو الأدنى، أو مستوى معين من حد النمو الأعلى بوصفه مقصدًا تمكينيًا لبلوغ الغاية، أم أنه أمرٌ يُسعى إليه بقدر الجهد المبذول في سبيله؟ **وهل** بعدم بلوغ مستوى الحد الأدنى، أو في حالة تجاوز الحد الأعلى يمكن أن يتحقق مطلب التغيرات الاجتماعية، أم أن ذلك سيُعد نوعًا من عدم النضوج وسيُورث المشكلات؟. تلك كانت معضلة "الأحيزة الجغرافية الهجرية"، وبأكثر دقة، معضلة الإمام "عبد العزيز بن سعود". فلقد اتخذت التغييرات الاجتماعية سبيلها، واكتسبت قوة التأثير الذي كان يعني آنذاك تداعي المزيد. وفي ظل تجربة كان ينقصها الإدراك الجزئيّ بمعرفة هذا التداعي ومزيده؛ ورث الإمام العديد من المشكلات الاجتماعية المُدَثرة بثياب الدين، وفي ذلك يقول "أمين الريحانيّ" في سرد تاريخيّ كان من الأهمية عرضه مفصلًا على نحو ما يأتي: "**على أن هذه الهجر في بداية أمرها أَورثت ابن سعود مشكلًا آخر، وهو أن البدو بعد أن باعوا حمالهم وصاروا إخوانا يتعصبون بالعصابة البيضاء التي تميزهم عن الناس، أقاموا في الهجر لا يعملون شيئًا في أيام السلم غير الصلاة. غدت بيوتهم مناسك، وقد نزلوها ابتغاء وجه الله. هجروا البادية حقيقةً إلى الله والتوحيد فأصبحوا عالة على صاحب البلاد. ولكن المصلح الكبير لا يعدم طريقة تنقذ إصلاحه من الخطر. فشحذ ذهنه واستعان على تلك الحالة بالعلماء، فجاء العلماء بالتاريخ، وبأخبار السلف، فسلحوا بها المطاوعة، فراح هؤلاء يحاربون بها البطالة والكسل. راحوا يعلمون المتحضرين أن الزراعة والتجارة والصناعة لا تنافي الدين، وأن المؤمن الغنيّ خير من المؤمن الفقير. وهذا "أبو بكر"، كان يملك (ثمانية) آلاف رأس من الإبل والخيل،**

فهل تزدرون، أيها الإخوان ما كان يرغب فيه "أبو بكر"؟ وهل تشكّون في أن الله – سبحانه وتعالى– يفتح لكم، إذا أنتم زرعتم وتاجرتم، أبواب الثروة والجاه؟ لقد أفلح المطاوعة في تحبيب العمل والمال إلى الإخوان، فشرعوا يزرعون الأرض حول الهجر ويتاجرون. وقد نشأت بعض هذه القرى سريعًا فصارات تباري جاراتها القديمة بالزراعة والتجارة. على أن الزراعة والتجارة لم تضعف في أبناء هذه الهجر من الإخوان روح القتال. بل علمتهم فوق شجاعتهم شجاعة جديدة لا تعرف الخوف، ولا تهاب الموت. وما الشجاعة هذه غير بنت الإيمان الجديد الحي القوى. فإن إخوان "مطير" في "الأرطاوية" مثلًا وإخوان "حرب" في "دُخنة"، وإخوان "عتيبة" في "الغطغط"، لأشد جيوش "ابن سعود" بأسًا، وأبسلهم نضالًا، وأسبقهم إلى الاستشهاد. كيف لا وقد قلدوا في تحضيرهم سيفين: سيف الدين، وسيف الثبات. إنهم اليوم لغيرهم بالأمس فلا يشردون ولا يتراجعون، وقلما ينهزمون. إنهم يفضلون حبًا بالاستشهاد والجنة، وحبًا بالمحافظة على ما يملكون. صاروا يخافون النار، ويخشون عاقبة الفرار. ولكنهم في ما ظهر من بسالتهم، وبطشهم، وهول استشهادهم، أورثوا "عبد العزيز" مشكلًا آخر كاد يفسد مشروعه الإصلاحيّ العظيم. فقد طغى الإخوان وتجبروا فضج الناس. راح الإخوان يحاربون من لم يتحضر من البدو فيكفرون، وينهبون، ويقتلون. كذلك كان يسطو كل متعصب بالعصابة البيضاء على سواه من العرب. وقد انتشرت من جراء ذلك الفوضى في البلاد، وكاد ينقطع حبل الأمن والسلام، فعقد الإمام في سنة (١٣٣٧هـ) مؤتمرًا في الرياض للنظر في هذه الأمور، حضره كبار الرؤساء والعلماء وقرروا بعد البحث ما يأتي:

- الكفر لا يطلق على بادية المسلمين الثابتين على دينهم.
- لا تفاوت بين لابس العقال ولابس العمامة إذا كان معتقدهما واحدًا.
- لا حقَّ للمهاجرين أن يعتوا على الناس الذين لم يهاجروا كأن يضربوهم، أو يهددوهم، أو يلزموهم الهجرة.

- **لا حق لأحد أن يهجر أحدًا بدويًا كان أو حضريًا بغير أمر واضح، وكفر صريح، ومن دون إذن من وليّ الأمر أو الحاكم الشرعيّ.**
- **لا فرق بين الحضر الأولين والمهاجرين الأخيرين**".

(أمين الريحانيّ،١٩٢٧: ٢٦٢-٢٦٥).

وفي حقيقة الأمر، لقد تفوق "أمين الريحانيّ" على كل من سبقوه أو لحقوه في تشخيص هذه المشكلات في إطار من ثنائية السبب والعلة. وفي حقيقة الأمر فإن تفوق "الريحانيّ" يتجاوز هذا الأمر؛ فعدم مغالاته، وإدراكه لواقعية هذه المشكلات من ناحية، وكذلك عدم محاولته إلباسها أردية بألوان مختلفة تتناسب مع معطيات الأحداث من ناحية أخرى؛ جعلاه ممن تفردوا بالتجرد عند صياغة ما كان عليه الحدث التاريخيّ من واقعية تعايشية. ذلك التجرد الذي لم يتحل به الكثيرون من الباحثين فأصبحوا لا يرون في مشروع الهُجَر إلا هذه المشكلات، ولو أنهم أدركوا ما كانت تعنيه الهُجَر بوصفها منظومة تنمويّة قلما تتحقق نجاحاتها، لأدى ذلك إلى المزيد.

ثالثًا – الأحيزة الجغرافية الهجرية بين العزلة المكانيّة والتوظيف الدينيّ.

أيهما أدى إلى الآخر **هل** الجغرافيات الدينية التي صُبغت بها "الأحيزة الجغرافية الهجرية" أدت إلى العزلة المكانيّة؟ أم **هل** العزلة المكانيّة أدت إلى صياغة "الأحيزة الجغرافية الهجرية" بالجغرافيات الدينية؟ إن أي محاولة للإجابة عن السؤالين السالفين إنما ستعني أمرًا واحدًا هو الخطأ، لا لشيء إلا لأن جوهر السؤالين خطأ. وعن ذلك يُسأل الفكر التنمويّ الذي كان يمثل جوهر نشأة "الأحيزة الجغرافية الهجرية" ذاك الذي اعتمد في المقام الأول على فكر **تجزئة التنمية**؛ ذلك الفكر الذي كان ينظر إلى التنمية بعدّها أجزاء مكانيّة سُيبنى منها الكل، وليس الأجزاء المكانيّة التي سيتألف منها الكل. غير أن هذا الأمر لا يمكن الاكتفاء بتوضيحه من خلال ما كان يكفله فكر **تجزئة التنمية** من رباط؛ وذلك لأن فكر عزلة الهجر كان أمرًا واقعًا لدى فكر العديد من الباحثين الذين وجدوا فيه ضالتهم للربط بين عزلتها من ناحية وبين الدين من

ناحية أخرى. فكل من "جون فيبلي"، و"ديكسون"، و"هيملتون"، وغيرهم، كانت لهم جملة من الآراء (المباشرة وغير المباشرة)، التي ربطت بين العزلتين. والقول بشأنها: إنها آراء غلبت عليها ذاتيّتهم الفكرية قبل رؤاهم التعايشية، ولعل ذلك ما يجمله "جون حبيب" في قوله: " **كانت الحياة اليومية في الهجر شبيهه بذلك النوع من الحياة التي تحياها أي جمعية من الجمعيّات الدينية المتشددة. وكانت هذه الحياة تقوم على الصلاة والتأمل عندما لا تكون قائمة الغزو؛ حياة لم تكن تنقطع إلا بالانفعال أو الاضطراب اللذين كانا ينتجان عن وصول مراسل يحمل أنباء من الرياض. أو عندما كان علم الحرب يُرفع في ميدان البلدة بين الحين والآخر، على سبيل الإشارة إلى تعبئة المقاتلين استعدادًا للحرب. وقد خلت الحياة من الموسيقى، والرقص، والرياضة. بل إن ألعاب الأطفال لم يكن مسموحًا بها. وكانت الزوجة بمنزلة المتعة الوحيدة في حياة كل واحد من هؤلاء الإخوان. فقد كان الإخوان يتزوجون في سن مبكرة ويعددون الزواج. كان غياب أنواع اللهو الأخرى يثير القلق والاضطراب في تشدد الناس الدينيّ، فقد كان الدين شغلهم الشاغل، فبقدر تركيز اهتمامهم على الإسلام، وبقدر فهمهم له، كانوا ينظرون إلى الدنيا وسكانها من منظور واحد فقط هو الأبيض أو الأسود. وكل من يعارضهم في ذلك يكون مخطئًا تمامًا؛ ومن ثم يستحق أن يصبوا عليه جام غضبهم. أما هؤلاء الذين كانوا يتعبدون فهم قد كانوا إخوانا لهم. وقد تولدت تلك البساطة التي تشبه بساطة الأطفال؛ نتيجة خبرتهم المحدودة وتعليمهم المحدود. وإذا حكمنا على الإخوان من منظور عزلتهم في الهجر، وانعزالهم عن تيار التطور الأوروبيّ، بل حتى من منظور انعزالهم عن العالم الإسلاميّ الأكبر الذين كانوا جزءًا فيه، نجد أنه من الصعب علينا أن ننتظر منهم أن يتصرفوا على نحو غير الذي كانوا يتصرفون عليه. وخلاصة القول هي أن الإخوان كانوا ضحايا العزلة المكانيّة**" (جون حبيب، ١٩٩٨: ٥٨).

تلك كانت رؤاهم في إطار من الاختزال، بدأت بالتشدد بغياب أنواع اللهو، وانتهت إلى ضحايا العزلة الجغرافية. ولو أنهم تعايشوا في "شبه الجزيرة العربيّة" حق التعايش ومن دون حجاب، لأدركوا أن العزلة سواء أكانت اجتماعية، أم كانت اقتصادية، أم كانت مكانيّة، أم كانت غير ذلك من أنواع متعددة، إنما هي أمرٌ طبيعيّ في "شبه الجزيرة العربيّة" حتى إنها تمثل الواقع التعايشيّ الغالب عليها. وليس أدل على ضعف تعايشهم هذا من "جون حبيب" ذاته، فلقد أشار في ذات الصفحة التي أشار فيها إلى جملة رؤى من سبقوه بشأن العزلة وكذلك رؤيته الشخصية إلى ما يأتي: "**إن الأثرياء من المسلمين هم أفضل بكثير من المسلمين الفقراء عند الله. حينئذٍ فقط استأنفت الهجر الإيقاع والنشاط الذي يعد من السمات الأساسية في أي شكل من أشكال الاستقرار المنظم. وأصبح هناك تجار، وزراع، ورعاة، ومدرسون دينيون، يشارك كل منهم في رفاهية المجتمع، وباتت الدكاكين التي كانت متقشفة بأي معيار من المعايير، توفي الاحتياجات الأساسية للبدو غير المتحضرين: المواعين، والأواني، واللبن، والتمر، والأرز، والسكر، والملح. وكانت شخصية ابن سعود الأبوية تتبوأ بشكل بارز المستقر بكامله؛ إذ كان يدعم إخوانه ويقويهم، ومستعدًا لتقديم المساعدات المادية التي يطلبونها مهما كانت نوعها**" (جون حبيب،١٩٩٨: ١١٢) الأمر الذي يتضح من خلاله أن ثمة عدم إدراك كان يمثل الصفة الغالبة لدى من اقترب من دراسة "شبه الجزيرة العربيّة" ولم يدرك إنسانيتها الذاتيّة ووحدتها المكانيّة أولًا.

رابعًا – الأحيزة الجغرافية الهجرية بين اتجاهات المذهب الواحد والتوظيف الديني.

١ –رؤية "كيرنان" "Kiernan" (فض الاشتباك).

في عبارة صغيرة واضحة؛ فلقد أتى "كيرنان" "**Kiernan**"، بما لم يسبقه أحد من الباحثين، وبما لم يفطن إليه أحد من المؤرخين، وبما لم يأتِ على بال أحد من المفكرين. وفي إطار اتجاهات المذهب الواحد والتوظيف الدينيّ يقول: "**إن تنوع الأفكار**

الخطأ عن الإخوان النجديين وتباينها، ووحدتها، والمبالغة فيها لا يدعم سوى بساطة واقع هذه الحركة، وذلك إذا ما قارنا جانب البساطة هذا بالجانب الأسطوريّ والخرافيّ لهذه الحركة. فالإخوان لم يكونوا أعضاءً في المذهب الإسلاميّ الجديد ولا أتباعًا للمدرسة الجديدة. فقد كانوا ينظرون إلى أنفسهم (وهذا ما ينبغي أن يكون معروفًا عنهم على ضوء معتقداتهم وممارستهم الحقيقة)، بوصفهم أتباعًا للمذهب الحنبليّ على ضوء تنقية محمد بن عبد الوهاب لهذا المذهب وتفسيره له. كما لم يدخلوا أيضًا تحريمات أو إباحات جديدة. بالرغم من أن المعايير المحددة للسلوك العام والخاص التي التزموا بها وفرضوها، والتي من قبيل الفتوى المختصة بالتدخين هي أصلًا من عندهم. والفارق في التقوى بين الوهابية وحركة الإخوان يتمثل في الدرجة وحسب، فحركة الإخوان تطالب بمعايير دينية أكثر صرامة من التي تنادي بها الوهابية، كما تنادي بأفكار الذات أكثر من الوهابية" (Kiernan,1937: 280-283). وبناءً على ذلك فلقد ميز "كيرنان" بعبارات ذات فواصل دقيقة يغشاها من لم يدرك ما آلت إليه التغيرات الاجتماعية آنذاك، فلقد ميز "كيرنان" بين اتجاهات فكرية أربعة تدور حول مذهب واحد على النحو الآتي:

- **أعضاء المذهب الإسلاميّ الجديد.**
- **أتباع المدرسة الجديدة.**
- **الإخوان.**
- **الوهابيون.**

وبأكثر تكثيفًا لقد أوضح الفرق بين مذهبين لدين واحد على النحو الآتي:

- **أعضاء المدرسة الإسلامية الجديدة.**
- **الإخوان الوهابيون.**

وبأكثر تفصيلًا، فلقد أكد توضيحًا أن ثمة اتجاهين قد خرجا من عباءة التغيرات الاجتماعية، والمدرسة الوهابية، الأول: المدرسة الإسلامية الجديدة، والثاني: الإخوان الوهابيون. وبصورة عمرانيّة، فلقد ميز –برؤية ضمنية– بين اتجاهين، **الأول:**

إخوان الهجر الوهابيون الذين ينتمون إلى الفكر التنمويّ القصديّ الذي أضحى واقعًا في الأحيزة الجغرافية الهجرية الجديدة، **والثاني:** إخوان الهجر الوهابيون الذين ينتمون تعايشيًا إلى الأحيزة الجغرافية الهجرية الجديدة. وببساطة شديدة، فلقد تمكن من توضيح الأسباب والمعطيات التي أدت إلى ما يأتي:

- **نشأة المجتمعات الإخوانية والاختلافات بينها.**
- **بواعث المشكلات بين الإخوان.**
- **خروج الإخوان إلى الساحة الدولية والمؤتمرات.**

وفي الحقيقة فإن الفواصل الدقيقة التي تنبه إليها "كيرنان" من دون غيره يمكن أن تُسهم فيما يأتي[١]:

- **تمكين الباحثين من فهم الدور التاريخيّ الذي قام به الإمام "عبد العزيز" في سبيل تحقيق رؤيته من ناحية، وطبيعة القوى التي اعتمد عليها في إتمام مهام ذلك من ناحية أخرى، من دون مغالاة أو إلباس حدث بآخر أو حدث على آخر، وذلك بعد أن تبارت المدارس الفكرية في تفسير هذا الأمر من دون سند تاريخيّ.**
- **تفسير الاضطراب المعرفيّ الذي كان يسود بين رجالات بريطانيا في "شبه الجزيرة العربيّة" وغيرها من الإقاليم، وذلك فيما يختص بمعرفة هوية الإخوان.**
- **تفسير مرجعية نجاح تجربة الأحيزة الجغرافية الهجرية.**

وفيما يتعلق بالنقطة **(الأولى)** فهي لا تحتاج إلى برهنة تحليلة، ويمكن تلخيص فحواها في أن الإمام "عبد العزيز" استند في تحقيق رؤيته إلى جملة من الأنوية التنمويّة التي اتسقت في منظومة متكاملة من ناحية وتشاركية من ناحية أخرى، توصف آلياتها بخلوها من أي تاريخيّة يمكن أن تعيق إتمام التغيير والكل في إطار

---

[١] **الحقيقة أن هذه الفواصل الدقيقة تنبه إلى عمومية مدخلاتها البروفيسور "نالينو" "Nallino" الإيطاليّ عندما نشر خريطته الصادرة عن وزارة المستعمرات الإيطالية في عام (١٩١٨) تحت عنوان "Arabia Distribuzion approssimativa dei Riti o Scuole Giuridche E Delle Sette Religiose Musulmane" ولعل ذلك يتضح من خلال الاطلاع على هذه الخريطة على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٢٧).**

يحكمه الدين. وكان له ذلك؛ ومن ثم انتهت رؤيته إلى بناء دولة كانت أهم مشروطيتها وجود أنوية متسقة في منظومة متكاملة تشاركية في إطار يحكمه الشرع. أما النقطة **(الثانية)**، فهي –بحق– تمثل الإرث المغلوط الذي حملته "شبه الجزيرة العربيّة" منذ العقد (الأول) من القرن العشرين؛ ذلك الإرث الذي بتقادمه اكتسب مناعة جعلته بمنأى عن أي محاولة تصويب إلا بنهضة؛ ذلك الإرث الذي يتمثل في رؤى من كتبوا عن آليات التغيير في "شبه الجزيرة العربيّة" في الفترة من عام (١٩١٢) إلى عام (١٩٣٢) من دون التمييز بين الفواصل الدقيقة الرقيقة التي تنبه إليها "كيرنان" بشأن ما كان يموج به المجتمع آنذاك من اتجاهات فكرية مختلفة في إطار المذهب الواحد؛ حتى إنهم جعلوها مجتمعة في حقيبة حسابية واحدة.

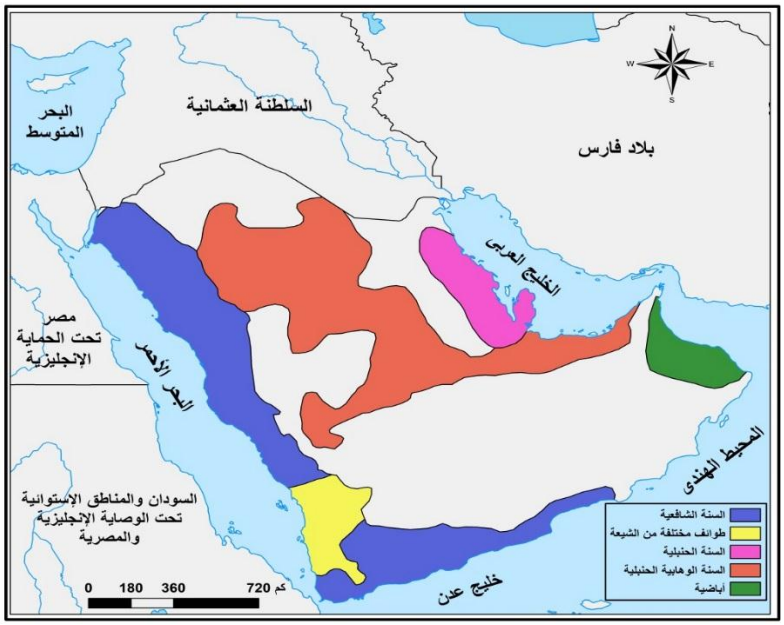

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على الخريطة الصادرة عن وزارة المستعمرات الإيطالية في عام (١٩١٨) تحت عنوان **"Arabia Distribuzion approssimativa dei Riti o Scuole Giuridche E Delle Sette Religiose Musulmane"**

الشكل رقم (٢٧): توزيع المذاهب الدينية في شبه الجزيرة العربيّة في عام (١٩١٨)

فكان نتاج ذلك الإرث المغلوط الذي تم إدراك بعض من خصاصه في أجزاء سالفة، ويمكن إدراك بعضه أيضًا في النحو الآتي.

٢ –رؤية "رينجالند وينجات" (المندوب السامي البريطانيّ في مصر)،

(سيطرة التشكك)

أرسل "رينجالند وينجات" إلى "أرثر ميلر" في شهر أكتوبر من عام (١٩١٨) يقول:"سوف تلاحظ أن تشكك الملك حسين (ملك الحجاز)، في مذهب الإخوان واضح تمامًا؛ ومن رأيي أن هذا التشكيك وليس استياءه من التعامل مع زعيم عربيّ آخر على قدم المساواة، هو الأساس في اختلاف الملك حسين مع ابن سعود. وليس لديّ معلومات كافية عن قوة الإخوان وأهدافهم؛ حتى أتمكن من تقدير مدى تخوف الملك حسين من نفوذ الإخوان حق قدره. ولقد تعلمت من تجربتي في السودان مدى الخطر الذي يشكله تنظيم سريّ يعمل تحت عباءة الدين بين سكان غير متحضرين. ففي وقت الشدة يلجأ مثل هذا المسلم إلى الدين مثلما يلجأ بعض أفراد الدول النصرانية إلى المشروب الروحيّ، ويكون ذلك المسلم أيضًا أكثر تعرضًا لالتقاط الشرارة الأولى من شرر التشدد الذي يتحول إلى حريق إذا ما أذكاه زعيم غير حصيف أو مُضلل يستحيل السيطرة عليه، بأي حال من الأحوال" (جون حبيب،١٩٩٨: ٦٢).

٣ –رؤية العقيد "هاميلتون" في شهر ديسمبر من عام (١٩١٨).

(الحجر المذهبيّ)

وفيها يقول: "يبدو أن الجميع يعارضون ذهابنا إلى الأرطاوية، التي يقال: إنها المركز الرئيس للتطهرية المحمدية، فهم لا يرحبون بالأجنبيّ وحسب، وإنما يضعون الغرباء عنها جميعًا في الحجر مددًا قد تطول أو تقصر إلى أن يتأكدوا من مذاهبهم" (جون حبيب،١٩٩٨: ٦٢).

٤ –رؤية النقيب "جارلند" في شهر يونية من عام (١٩١٩).

(الهداية القسرية)

وفيها يقول: "تشبه معتقدات المذهب الذي يتبعه الإخوان معتقدات الوهابية بدرجة كبيرة جدًا، على الرغم من أن أتباعها يعدون أكثر تشددًا بلا أدنى شك. وعلى كل حال، فإن غير المسلمين

يعترضون على الأساليب الوحشية التي يلجأ الإخوان إليها لتنفيذ الهداية القسرية ومعاقبة المخطئين، أكثر من اعتراضهم على مبادئ المذهب نفسه. وليس هناك من شك في أن البدو أنفسهم كان يتم ترويعهم بطريقة منظمة خلال عملية الهداية القسرية، وأن ممارسة الهداية القسرية ومعاقبة المخطئين كانا يصلان إلى الموت. ويُقال: إن الإخوان في الحروب لم يكونوا يحتفظون بأسرى الحرب، وإنما كانوا يذبحون كل أولئك الذين يقعون في أيديهم (جون حبيب،١٩٩٨: ٨٣).

تلك كانت مدخلات أحد مكونات الإرث المغلوط الذي فرضته جملة من الآراء السابقة، ولعل من الأمور التي تدعو للتفكير هو ذلك الاضطراب الفكريّ الذي كان السمة الغالبة لدى كثير ممن لم يستطيعوا إدراك ملامح التغيير الذي حاول الإمام "عبد العزيز بن سعود" القيام به. ولعل ذلك يتضح بجلاء من خلال تلك البرقية التي جاءت تحت ملحوظة: سريّ، من وزير الداخليّة لشؤون "الهند" إلى المفوض المدنيّ في "بغداد"، فعلى الرغم من عدم الاتفاق البين بين "الإمام عبد العزيز بن سعود"، وبين الأتراك خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين والذي لا يحتاج إلى جهد تاريخيّ ثبتيّ؛ فإن البرقية جاء فيها ما يأتي: هناك اقتراح، مضمونه: أن حركة الإخوان بين أتباع "ابن سعود" في وسط "شبه الجزيرة العربيّة" إنما أنشأها الأتراك لخدمة أغراضهم الخاصة. فهل ترى أن وجهة النظر هذه لها ما يسوغها؟- (جون حبيب،١٩٩٨: ٦٣) فغشيت به طبيعة المكون المجتمعيّ الذي نجح في صياغة تجربته التي لم تشهد مثلها تاريخيّة "شبه الجزيرة العربيّة خلال الحقبة التاريخيّة الوسطى أو الحديثة؛ ذلك الغشاء الذي لم يميز بين إخوان الهجر الوهابيين الذين ينتمون إلى الفكر التنمويّ القصديّ الذي أضحى واقعًا في الأحيزة الجغرافية الهجرية الجديدة، والذي ارتكز عليه فكر الإمام "عبد العزيز بن سعود" من ناحية، وبين إخوان الهجر الوهابيين الذين ينتمون تعايشيًا إلى الأحيزة الجغرافية الهجرية الجديدة أيضًا بحكم التغيير من ناحية أخرى. ولعل هذا ما أدركه "ديكسون" قبل "كيرنان" غير أنه لم يستطع أن يضعه في إطار دقيق؛ كونه لم تكن تتكون لديه رؤية واضحه؛ فانتهى إلى

قوله: "**إن كل ذلك كانت تجري المبالغة فيه بحذق وعناية؛ خدمة لأهداف سياسيّة في ذلك الوقت. كنت أكن للإخوان دومًا إعجابًا حاقدًا، ويحتمل أن يكون السبب في ذلك هو أن هناك سحرًا عجيبًا يحيط بهؤلاء الرجال الصادقين، المؤمنين بالله حقًا، الذين يخرجون على هدى أنوارهم لتنظيف الدين من المفاسد. وأنا أعترف هنا بأني ما أن تعرفت إلى أحد هؤلاء الإخوان؛ حتى اكتشفت أن الفرق بينهم وبين الأنواع الطيبة الأخرى من العرب البدو في الأماكن الأخرى يسير جدًا وإذا ما أردنا أن ندرس هؤلاء الناس دراسة حقيقية نجد أن الإخوان كانوا مغرمين متيمين بنسائهم، وأطفالهم، وإبلهم، وخيولهم مثل العرب البدو الآخرين، في حين أن سيداتهم الجميلات كانت لهن نفس السمات التي تسر الخاطر والتي تشيع بين شقيقاتهن في أنحاء الجزيرة العربيّة**" (جون حبيب،١٩٩٨: ٨٣) .

والمحصلة، يكاد يذهب الجمع الذي عكف على دراسة تجربة الإمام "عبد العزيز" في توحيده للجزء الأكبر من "شبه الجزيرة العربيّة" إلى أن الولاء للتعاليم الوهابية والالتزام بتطبيقها في أحيزته الجغرافية الجديدة التي عُرفت بالهجر هي سر قوته التي مضى به إلى المستقبل الاستباقيّ. ومعهم الحق، بيد أنه الحق الذي يفسر الجزء دون الكل. ولعل ذلك يرتبط بصورة وثيقة بما أشار إليه "جون حبيب" في فصله الثاني من دراسته التي جاءت تحت عنوان"الإخوان السعوديّون في عقدين"، حيث شرح ذلك في قوله: "**يجب أن نعلم أن الاتّباع الصارم للتعاليم الوهابية قد اعتراه شيء من الفتور في بعض أنحاء نجد، وإلى حد ما بين سكان الحضر ولكن بدرجة كبيرة بين البدو. وقد ارتد البدو الذين كانوا يعبرون الفيافي الجرداء إلى الممارسات الخرافية، والتعاويذ، والتمائم التي ظن المُصلح الوهابيّ الأول أنها أصبحت في طي النسيان إلى أبد الأبدين**" (جون حبيب،١٩٩٨: ٣٨). وكما هو معروف فإن جلائل الأعمال هي نتاج كليّ تتكامل فيه الأجزاء، وللتكامل فإنه يُضاف إلى تلك التعاليم فكر التنمية الذي قام على تجزئة الفعل من ناحية والانتشار المكانيّ من ناحية أخرى؛ بهدف بسط الهيمنة في إطار من القبول المتزامن مع عوائد النتيجة؛ وذلك درءًا لعدم تسرب الشك في جدوى الأحيزة الجغرافية الهجرية ومدى أهميتها لدى البدو، وبذلك تلازم التطبيق التعايشيّ للتعاليم الدينية مع التطبيق العمليّ للأفعال التنمويّة.

المحور السادس:

الأحيزة الجغرافية الهجرية
ومدخلات تأسيس المملكة العربيّة السعوديّة

وقعت الحرب العالمية الأولى بين الدول العظمى وملحقاتها خلال العقد الثاني من القرن العشرين، وكان من نتائجها العديد من الاتفاقيات والتداعيات التي تأثرت بها المنطقة العربيّة بعامة. وفي خضم هذا كله، بل قبل حدوثه بسنتين تأسست الهجرة (الأولى) التي عُرفت بـ "الأرطاوية" في عام (١٩١٢) ومن بعدها انتشر العديد منها. ويكمن هنا أحد الأسئلة المهمة، ومضمونه: هل انتشرت "الهجر" في ظل انشغال الآخر بالحرب أم أن الهجر كانت لديها من الإمكانات الذاتيّة والمدخلات البنائية مما ساعدها على الانتشار؟ وفيما يأتي محاولة الإجابة عن ذلك.

أولًا– الأحيزة الجغرافية الهجرية والمدخلات الخلاقة في شبه الجزيرة العربيّة

وفى الخضَمّ هذا قُسمت بلاد الشام وفق رؤى ارتبطت في المقام الأول باتجاهات نتائج الحرب. وفي هذا الخضَمّ كان الإمام "عبد العزيز بن سعود" في حالة التزام حياديّ، وبناء داخليّ، عاكفًا على مشروعه الخاص الذي سيستقبل به نتائج الاتفاقيات والتداعيات. وفي عبارة واضحة، وقبل أن تتغير رؤى "هارى سانت جون فيلبي" ضابط الاستخبارات البريطانيّة الذي قدم إلى الرياض في عام (١٩١٧)، والمعروف لدى العرب بـ "جون فيلبي" "**John Phillby**" أو حتى بالشيخ "عبد الله فيلبي" أشار إلى ما يأتي: "**إن "ابن سعود" لا ينبغي أن يُحسب من بين حلفائنا. فهو محايد من الناحية الفعلية، ومن الناحية القانونية أيضًا. وفي حكمته التي لا يسبر غورها متجاهل لحالة الحرب المحيطة ببلاده من كل جانب. ولما فقد الإيطاليون سيادتهم على أراضيهم عبر البحر الأحمر، طلب الإمام "ابن سعود" من دبلوماسييهم وغيرهم من مقيميهم في "جدة" مغادرة البلاد تحت الحماية إلى إيطاليا. لكنه من جهة أخرى حافظ على صلاته الدبلوماسية بحكومة "فيشي"، كما سمح لممثل الحكومة في"فرنسا" الحرة بزيارة الحجاج السوريين. ومن دون أن يخسر مثقال ذرة من صداقته الطويلة مع بريطانيّ، فإن**

"ابن سعود" يقود سفينته بمهارة بين صخور محيط الدبلوماسية. حيث إن هدفه الوحيد هو حماية مصالح الإسلام والعرب. ولم ينكر أحد أن البلاد التي يحكمها نعمت لجيل كامل ببركة السلم، بقدر لا نظير له في تاريخ شعبه، وبندر أن يضاهى في أي مكان آخر في العالم المضطرب في زماننا. فبالسلم نعمت بلاده بالتقدم والرفاهية. فالحج السنويّ إلى "مكة" وكما يشهد بذلك عشرات الآلاف من الحجاج، أصبح أكثر أمنًا ويسرًا عن ذي قبل. وبمساعدة المعدات، والآلات الصناعية الأجنبية أجبرت الصحاري العربيّة على تسليم كنوزها المخفية (الزيت، والذهب بصفة رئيسة)، بإجراءات تضمن تسخير فوائد هذه الاستثمارات لزيادة الرفاهية العربيّة في المقام الأول" (جون فيلبي،٢٠٠١ : ١٥-١٧) ومن ثم فالعبرة هنا لم تكن بما تحكمه بل كانت بكيفية إدارة ما تحكمه. والحقيقة أن نتيجة الحرب "العالمية الأولى" لم تكن تعني الإمام "عبد العزيز بن سعود" بقدر ما كانت تعنيه الكيفية التي يمكن من خلالها التعامل مع القوة المنتصرة أيًا كانت مقاصدها؛ ولاسيما بعد أن أضحى نطاق شماليّ "شبه الجزيرة العربيّة" غير صالح لانتشار القبائل أو حتى القبيلة الواحدة؛ ومن ثم فلقد أوجبت الأوضاع الجديدة والأحوال المرتقبة البدء في الحد من الانتشار الأفقيّ للقبائل ومحاولة النهوض بها؛ لمواجهة كل ما سيستجد. وفي تلك الفترة الحرجة من تاريخيّة الدول العظمى عامة، و"شبه الجزيرة العربيّة" خاصة؛ لم يكن بد من أن يتدثر الإمام بذاتيّة أحيزته الجغرافية الهجرية أمام جملة التغييرات الإقليمية والنتائج الداخليّة التي باتت واقعًا مفروضًا إبان فترة الحرب (العالمية الأولى) وما بعدها. وبتلك الخصوصية وبهذا التدثر تكونت "الأحيزة الجغرافية الهجرية"، وتكونت المنَعَة التي حالت دون التقسيم، بل أُعيدت صياغة موازين القوى على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة. ولعل هذا ما كشفته وثائق المندوبين البريطانيّين في "شبه الجزيرة العربيّة؛ إذ تحدثت عن ازدياد نفوذ الأحيزة في المستقبل، حيث أوضحت عن إمكانيّة تأثير هذه الأنوية في كفاءة المناطق في "شبه الجزيرة العربيّة"[(١)]. وبصدد ميزان القوى،

---

(١) من الجدير بالذكر أن بريطانيا عدّت نفسها المسؤول الأول عن النجاح في تفادي هذا الأمر (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ٣٧٤).

فلقد أكسبت الأحيزة الجغرافية الهجرية الإمام "عبد العزيز" زعامة كانت سببًا في إعادة بناء اتجاهات القوى في شبه الجزيرة العربيّة. ولعل ذلك ما يمكن الوقوف عليه من خلال الحديث الذي دار بين "فيكري" "**Vickery**"، المعتمد السياسيّ البريطانيّ[٢] في "جدة" مع الأمير "عبد الله بن الحسين (أحد أمراء "الحجاز")، فلقد سأله المعتمد عما إذا كان من المعتقد أن مملكة عربيّة شيء ممكن؟ فأجابه الأمير (في إطار ظنه أنه كان يقصد مملكة الحجاز)، بالإيجاب شريطة التأييد البريطانيّ. ولما رده المعتمد بأن فرض هذا الأمر من الصعوبة بمكان، لم تكن إجابة الأمير سوى أنه فرض لمدة سنة أو سنتين، وحينئذٍ مستقبل كل العرب في هذه المملكة عن طيب خاطر وابتهاج، وذلك أمر سهل إذا اتخذت بريطانيا إجراءات قوية ضد كل من يعارض ذلك. بيد أن "فيكري" الذي كان يدرك ما ستعنيه الأحيزة الجغرافية الهجرية من قوة وخطورة، وما ستكتسبه هذه الأحيزة من جغرافيات سياسيّة سينتهي صالحها للإمام "عبد العزيز بن سعود" كان رده الأخير أن موقفًا بالغ الصعوبة سوف ينشأ لو أن "بريطانيا" أقدمت على تنفيذ اقتراحات الأمير "عبد الله بن الحسين". ومن ثم كان للنمو التصاعديّ لهيمنة "الأحيزة الجغرافية الهجرية" على الإطار العام الذي تشكلت فيه سلطنة "نجد" وملحقاتها دور في ترشيد الدور السياسيّ البريطانيّ في "شبه الجزيرة العربيّة"، وهذا بالفعل الذي كان يراه "شكسبير" "**Shchesper**" وصاغه في أحد تقاريره تحت عنوان "**ترشيد السياسة البريطانيّة داخل الجزيرة العربيّة**"، وذلك بعد اقتناعه بأن ثمة ديموغرافيات جديدة باتت تشهدها "شبه الجزيرة العربيّة" عامة وسلطنة نجد فيها خاصة. وبناءً على ذلك مكنت "الأحيزة الجغرافية الهجرية" الإمام "عبد العزيز بن سعود" من أن يُبلور حركة إسلامية

[٢] من الجدير بالذكر أن سياسة بريطانيا في العالم العربيّ كانت من صنع جهتين، الأولى: كانت تتمثل في حكومة الهند البريطانية، والتي أوْكَلَ لها إدارة جميع الشؤون المتعلقة بمنطقة شرقيّ الجزيرة العربية، والخليج العربيّ، والعراق، ويمكن القول:إن "شكسبير" الذي كان مُعينًا في وظيفة ضابط سياسيّ لواجب خاص، كان مسؤولًا أمام لندن عن إدارته هذا الجزء، وذلك كما يتضح من الشكل رقم (٢٨)، أما الحالة الثانية: فكانت مُوْكَلَة بإدارة المنطقة الغربية من الجزيرة العربية، وبلاد الشام وجميع البلدان العربية في شمالى أفريقيا والسودان، وذلك من خلل ما كا يُعرف بالمكتب العربى الذي شكله "مكماهون" وأسند إدارته إلى "كلايتون".

عربيّة تتسق تمامًا مع معطيات رؤيته، حيث اختلفت كل الاختلافات عن الحركة العربيّة

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٢٨): إدارة النفوذ البريطانيّ

في "البصرة" وما حولها؛ تلك الحركة التي حاولت "بريطانيا" استقطابها ضد الدولة "العثمانية"، كما أنها اختلفت عن الحركة العربيّة في شماليّ "شبه الجزيرة العربيّة" حيث حاولت "فرنسا" مساندتها معتمدة على المسيحين، وهي أيضًا تختلف كل الاختلاف عن الجمعيّات العربيّة المتناثرة والمتأثرة بالاحتكاك الفكريّ آنذاك (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ٧٥). وفي **إطار ذلك**، كانت "الأحيزة الجغرافية الهجرية" بمنزلة أنوية يُستعاد من خلالها تعاليم الإسلام الصحيحة؛ ومن ثم اكتسبت تلك الأحيزة العديد من الجغرافيات الاستباقيّة الدفاعية التوسعية التي لم تكن لترتضي إلا بالسيطرة على بلاد الحجاز[١]. وبصدد تلك النقطة تحديدًا يمكن القول: إن الدافعية كانت بمنزلة ضامن

[١] **نتيجة منع النجديين من الحج، أُشيع في ظل الجغرافيات الدينية المتنامية في الهجر ضرورة السيطرة على بلاد الحجاز. ولقد أدركت بريطانيا آنذاك كل هذه الأمور؛ حتى إن جملة من الوثائق تكشف عن تلهف حكومتها إلى أن ترى طريق الحج مفتوحًا من "نجد" إلى "مكة المكرمة" (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ٣٧٢).**

البقاء الحيويّ للحفاظ على تدفق الجغرافيات في الهجر عامة. وهنا تكمن معرفة بواعث الآليات التي كان من نتائجها تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" فوق مساحة من الأرض، لم يكن ليتسنى لأي قوة إقليمية أو عالمية آنذاك السيطرة عليها.

ثانيًا– الأحيزة الجغرافية الهجرية ومدخلات الجغرافيات السياسيّة في شبه الجزيرة العربيّة.

من الأمور التي يجب الانتباه إليها، أن مصطح الدولة السعوديّة (الأولى) التي قامت خلال الفترة من عام **(١١٥٩هـ)/(١٧٤٦م)** إلى عام **(١٢٣٤هـ)/(١٨١٨م)**، ومصطلح الدولة السعوديّة (الثانية) التي قامت خلال الفترة من عام **(١٢٤١هـ)/(١٨٢٥م)** إلى **عام (١٣٠٩هـ)/(١٨٩١م)** تم استخدامه على العموم خلال العقد السابع من القرن العشرين؛ وتحديدًا في عام (١٩٦٧م) من خلال أحد الكتب التاريخيّة التي جاءت تحت عنوان "تاريخ البلاد العربيّة السعوديّة"[١]. وفي إطار ذلك يمكن القول: إن الملك "عبد العزيز بن سعود" **ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها في عام (١٩٢٦م)، وملك الحجاز ونجد وملحقاتها في عام (١٩٢٧م)،** هو صاحب مصطلح "**المملكة العربيّة السعوديّة في عام (١٩٣٢م). وفي** عبارة تقييمية تكاد تختزل الخصائص التاريخيّة للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر، السابقين عليه، وفي عبارة تقييمية تكاد تختزل تاريخيّة النصف الأول من القرن العشرين الذي تعايشه، يمكن القول: إن الإمام "عبد العزيز بن سعود" أدرك الحقيقة[١] التي لم تتكشف للأقدمين في محاولاتهم لبناء الدولة السعوديّة. وتتمثل هذه الحقيقة في المدخلات الآتية:

---

[١] قام بتأليف هذا الكتاب "منير العجلانيّ" وتم نشره في طبعته (الأولى) في عام (١٩٦٧م)، ولتيسير تتبع الفترات التاريخية؛ تم الاعتماد على ما جاء به من مصطلحات تاريخية ترتبط بفترة نشأة الدولة السعودية (الأولى)، و(الثانية).

[١] يعد مصدر معرفة هذه الحقيقة المنهج الاستدلاليّ الذي من خلاله تم استيقاء هذه الحقيقة؛ اعتمادًا على مجموعة من المعطيات التي قام بها الملك "عبد العزيز بن سعود" خلال فترة التأسيس.

- ✓ بالفعل تمثل منطقة "نجد" قلب شبه الجزيرة العربيّة" بيد أن توحيدها سواء أكان ذلك بضم "ضرماء"، و"شقراء" في المرحلة (الأولى) في عام (١١٦٧هـ) أو بالتصدي لقوات "الأحساء" في المرحلة (الثانية) في عام (١١٧٢هـ) أو بدخول "الرياض" سلمًا في المرحلة (الثالثة) في عام (١١٨٧هـ)، أو بالحرب مع الجزء الجنوبيّ من منطقة "نجد" في المرحلة (الرابعة) في عام (١١٨٨هـ)، أو بتوحيد شماليّ "نجد" وضم "القصيم" بوصفها مرحلة (خامسة) في عام (١١٨٩هـ)؛ بيد أن توحيد منطقة نجد ككل لم تضمن بقاء الدولة السعوديّة (الأولى) بوصفها وحدة سياسيّة قامت خلال الفترة من عام **(١١٥٩هـ)/(١٧٤٦م)** إلى عام **(١٢٣٤هـ)/(١٨١٨م)**.
- ✓ بالفعل توحدت "نجد" وضُمت إليها منطقة "الأحساء" في عام (١١٩٨هـ)، ومنطقة جنوب غربيّ شبه الجزيرة العربيّة في عام (١٢١٢هـ)، ومنطقة "الحجاز" في عام (١٢١٨هـ)؛ بيد أن هذا التوحيد ومن بعد الضم لم يضمن بقاء الدولة السعوديّة (الأولى) بوصفها وحدة سياسيّة قامت خلال الفترة من عام **(١١٥٩هـ)/(١٧٤٦م)** إلى عام **(١٢٣٤هـ)/(١٨١٨م)**.
- ✓ لم يحل اتفاق "الدرعية" ومبايعتها في عام (١١٥٧هـ)/(١٧٤٤م) دون استمرارية الدولة السعوديّة (الأولى) بوصفها وحدة سياسيّة على الرغم من أن أحد بنود المبايعة كانت مرجعيته دينية في المقام الأول.
- ✓ بالفعل أصبحت المنطقة المعروفة بدولة "قطر" (حاليًا) جزءًا من الدولة السعوديّة (الأولى) في عام (١٢٠٨هـ)، وخضعت لها الجزيرة التي تُعرف اليوم بدولة البحرين" في عام (١٢١٥هـ)، واستطاعت كذلك مواجهة المنطقة التي تُعرف اليوم بدولة "الكويت" في عام (١٢١٩هـ)، كما أنها دخلت مع "عمان" في معاهدات؛ وعلى الرغم من ذلك فإن هذا كله لم يضمن بقاء

الدولة السعوديّة (الأولى) بوصفها وحدة سياسيّة قامت خلال الفترة من عام **(١١٥٩هـ)/(١٧٤٦م)** إلى عام **(١٢٣٤هـ)/(١٨١٨م)**.

- ✓ بالفعل استنهضت الدولة السعوديّة "الثانية" وتوحدت "نجد" مرة أخرى، وأضحت "البريمي" في "عمان" مركزًا للقوة السعوديّة في الجزء الجنوبيّ الشرقيّ، واعترفت "قطر"، و"البحرين" (حاليًا) بتبعيتهما للدولة السعوديّة الجديدة في عام (١٢٥٩هـ)، كما حرصت الدولة المستنهضة على الدخول في علاقات طيبة مع الدولة العثمانية، كما أنها أدركت واقعية الدور البريطانيّ في منطقة "الخليج العربيّ"، غير أن ذلك لم يحل دون زوال الدولة السعوديّة (الثانية) بوصفها وحدة سياسيّة قامت خلال الفترة من عام **(١٢٤١هـ)/(١٨٢٥م)** إلى **عام (١٣٠٩هـ)/(١٨٩١م)**.

وبناءً على مدخلات الحقيقة السابقة، أدرك الإمام "عبد العزيز بن سعود" بداية من عام (١٩١٢م)، أن الأحيزة الجغرافية الهجرية يجب أن تكون جملة من الجغرافيات السياسيّة الاستباقيّة على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة".

وبناءً على ذلك كان لا بد من فكر مختلف تمامًا عما قام به الأقدمون ويكون به من الفاعلين لاستنهاض رؤيته. ولقد بزغ هذا الفكر في ثلاث مدخلات، هي:

- **محاولة بناء أنوية تنمويّة دافعة يُضمن من خلالها توطين البدو في أطر أحيزة جغرافية هجرية فاعلة؛ ومن ثم تغييرهم من حالة الانتشار الأفقيّ إلى حالة التركز الجغرافيّ.**
- **إعادة توجيه الأحيزة الجغرافية الهجرية إلى بناء الدولة الجديدة من خلال قنوات تمريرية سعيًا إلى التغيير من حالة الواقع السياسيّ الفوضويّ على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة"إلى حالة التوجية السياسيّ الغرضيّ.**

- **العمل على تحقيق ذلك من خلال سلسلة من التحفيزات التي تتسق مع معطيات البناء والبقاء في أطر الأحيزة الجغرافية الهجرية الجديدة.**

وبتلك الثلاثية، اتصفت الأحيزة الجغرافية الهجرية بمجموعة من الخصائص يمكن التعرف إلى بعضها على ضوء ما يأتي:

١-استطاعت الأحيزة الجغرافية الهجرية تحقيق إطار من الجغرافيات السياسيّة الصغرى أفضت جميعها إلى توحيد "نجد" تحت إطار سلطنة واحدة شملت جملة من الملحقات. وما كانت تلك الجغرافيات الصغرى سوى المقدمة التي دفعت إلى المزيد من الجغرافيات السياسيّة التي انتهت جميعها إلى إطار "المملكة العربيّة السعوديّة". وعلى أساس ذلك هذا فالجغرافيات السياسيّة التي تكونت منها المملكة ما هي إلا جملة من الجغرافيات السياسيّة المرُكبة في إطار بنائيّ مشروط. ولعل ذلك أحد أبرز الأسباب التي أدت إلى استنساخ رؤى من الجغرافيات السياسيّة أفضت إلى مجموعة من الأفكار المهجنة جاءت جميعها في إطار مشروع جاء تحت عنوان "الشرق الأوسط الجديد".

٢-كانت عملية تكوين "الأحيزة الجغرافية الهجرية" وانتشار توزيعاتها في بناء أفقيّ على مستوى سلطنة "نجد" جزءًا لا يتجزأ من بناء الدولة؛ ومن ثم جاءت هذه الأحيزة المستنهضة بدءًا من عام (١٩١٢) لتؤكد من الناحية التطبيقية فحوى الفكر الذي جاء به "هالفورد ماكندر" في محاضرته التي ألقاها في الجمعيّة الجغرافية الملكية في عام (١٩٠٤) تحت عنوان "الحضور الجغرافيّ للتاريخ" حيث أوضح مدى إمكانيّة سيطرة منطقة القلب على الأطراف **(Suban Kumar, 2015:7)**.

٣-لم تصغ الهجر تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" فحسب، بل صاغت المكون العام لطبيعة العلاقات الخارجية للجزيرة العربيّة من بداية القرن العشرين حتى الآن.

٤-فرضت الأحيزة الجغرافية الهجرية واقعيتها التطبيقية؛ بوصفها رؤية بنائية على رؤية بريطانيا المستقبلية التي تتعلق بمستقبل الجزيرة العربيّة **(كانت بريطانيا تنظر إلى**

الأحيزة الجغرافية الهجرية بعدّها أنوية أصولية أكسبت الإمام زعامة المسلمين، وفي ذلك ما يعيق توجهاتها في الجزيرة العربيّة)، فبعد أن تأكد لها النجاح الذي تحقق في الأحيزة الجديدة وما ارتبط بذلك من توطين وتوجيه؛ لم يعد لديها شك بأن زعامة الإمام "عبد العزيز بن سعود" حقيقة واقعية، ويجب ألا تقتصر على سلطنة "نجد" وحسب، بل يجب أن تتجاوز هذا كله؛ ومن ثم يمكن بلورة رؤية بريطانيا في سعيها إلى إيجاد نظام في إطار عمومية الاضطراب في "شبه الجزيرة العربيّة" إبانَ فترة مقدمات الحرب العالمية الأولى وخلالها.

٥-ولعل من الأهمية إيضاح أن رؤى الفكر التنمويّ الذي صاغ الرباط المتكامل المتماسك بين الأحيزة الجغرافية الهجرية كان إحدى الركائز الأساسية في تكوين الإطار السياسيّ لدولة السعوديّة في تاريخها الحديث، بل إحدى الركائز الأساسية التي اكتسبت منها الدولة القيمة السياسيّة.

٦-كان الحياد خلال الحرب العالمية الأولى[١] والاستقواء بالأحيزة الجغرافية الهجرية من الأسباب الرئيسة في نجاح تأسيس الدولة السعوديّة.

٧-لم يكن أحد ليتصور أن فكرة الهجر ستكون هي العامل الحاسم في تغيير موازين القوى سواء أكان ذلك على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة" أم كان حتى على مستوى الأطر الإقليمية. وفي حقيقة الأمر لا يمكن فصل نتائج الأحيزة الجغرافية الهجرية عن نتائج الحرب العالمية الأولى فكلاهما تلاقى في عملية بناء اتجاه سياسة الإمام الداخليّة على مستوى "سلطنة نجد" وتحديدها، ومن بعدها سياسته الخارجية على مستوى الجزيرة العربيّة.

---

[١] **من المعروف تاريخيًا أن "ابن رشيد" وما كان يمثله من نفوذ في وسط الجزيرة العربية، وذلك على نحو ما يوضحه الشكل رقم (...)، قد انحاز إلى الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، في حين انحاز كل من الشريف حسين (ملك الحجاز)، والإدريسيّ (الإمام في اليمن)، وأمير الكويت إلى بريطانيا، أما نجد فلقد تفردت بالحياد الذي اكتسب مكانته من خلال الأحيزة الجغرافية الهجرية (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ٨٩).**

٨-وفي عبارة دقيقة جامعة؛ فالأحيزة الجغرافية الهجرية كانت الفكرة التطبيقية التي تأسست بها "المملكة العربيّة السعوديّة"، وبالفعل كانت كذلك، ولعل هذا ما جاء بإحدى المذكرات المتبادلة بين المفوض المدنيّ البريطانيّ في "الهفهوف" إلى المفوض المدنيّ بـ "بغداد"حيث أشارت إلى مدى اعتزاز الإمام "عبد العزيز بن سعود" بحركة التوطين وتثبيت القبائل؛ كونه يعلق عليها آماله بعد الله عليها. وتمضي المذكرة فيُشار من خلالها إلى أن الإمام كان يعتقد أن حركة التوطين حين بدأت قد أخذت بعون الله تحرك قلوب البدو، كما تشير إلى اعتقاده بأن هذا العمل قائم على عنصرين أساسيين: الأول عبادة الله وحماية الوطن، والثاني الأُخُوَّة بين كل المسلمين المخلصين، كما إنه مُصر على استقرار قبائل البدو الرحل في أماكن يحددها هو؛ لأن هذا هو الطريق الوحيد للسيطرة على البدو. وتشير -أيضًا- إلى اعتقاده الراسخ بأن البدو بعد توطينهم سوف يجعلون نفوذه أقوى من نفوذ أي حاكم مسلم، سواء أكان روحيًّا أو دنيويًّا. ولعل من اللافت للانتباه والمثير للنقاش أن جملة قوة هذا الفكر إنما جاءت قبل ظهور البترول (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ٥٩).

٩-أدرك الإمام "عبد العزيز بن سعود" نتيجة الحرب (العالمية الأولى) قبل أن تتضح، فلقد كانت مقدماتها وسنوات الحرب ونهايتها ونتائجها مليئة بنذر انهيار الدولة العثمانية، وليس أدل على ذلك من هذا الاتفاق الذي عقد بين الدولة العثمانية وبريطانيا، والمعروف باتفاقية (١٩١٣)، وفيه تحددت مناطق النفوذ البريطانيّ في الخليج العربيّ، وجنوب شرق "شبه الجزيرة العربيّة" والذي كان يدل بجلاء على أن الدولة العثمانية قد استسلمت لبريطانيا في هذا الاتفاق؛ ومن ثم كانت الأحيزة الجغرافية الهجرية في إطار هذا كله سبيل التصدي لعائق صعوبة تأسيس الوطن الذي كان عماده سلطنة نجد وملحقاتها. ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن حكومة الهند البريطانيّة كانت أكثر الجهات فزعًا، فلقد رأت أن التوطين سوف يؤدي إلى انضواء القبائل تحت لواء الإمام "عبد العزيز بن سعود"؛ الأمر الذي يعني أن ضم "الحجاز"

مسألة واردة ولا شك في الإقدام عليها. وهذا بدوره سوف يؤدي إلى إضعاف موقف بريطانيا عامة في العالم الإسلاميّ؛ ومن ثم كانت ترى أنه من الخطورة بمكان تشجيع التوطين في تلك الأحيزة. وبالفعل فلقد تغيرت موازين القوى في "شبه الجزيرة العربيّة"، ولعل هذا لم يكن رأي بريطانيا وحسب؛ بل كان رأي ابن سعود ذاته (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ٥٤).

١٠-كانت جغرافيات الأحيزة الهجرية قوة الدفع التي استند إليها الإمام "عبد العزيز" للخروج من مجال نفوذ سلطنة "نجد" المحليّ إلى مجال نفوذ شبه الجزيرة العربيّة" الإقليميّ، أي: أنها كانت بمنزلة خطوات تمريرية من المحلية الذاتيّة إلى الإقليمية الانفتاحية. وفي ذلك يقول "جون حبيب": " **أصبح من الواضح لابن سعود أن القوة العسكرية التي سيطر بها على نجد لم تعد تناسب العمليات العسكرية التي أعدها وخطط لتنفيذها في أجزاء بعيدة من الجزيرة العربيّة. وعلى الرغم من إخلاص سكان الحضر (يقصد بذلك السكان المستقرين في المدن، والقرى، والواحات في بعض مناطق نجد التي كانت خاضعة للإمام)، وولائهم لابن سعود، فإنهم لم يكونوا على استعداد لترك حقولهم، وواحاتهم، ومحلاتهم من أجل القتال؛ ومن ثم كان ابن سعود بحاجة إلى قوة عسكرية تتمتع بخفة حركة البدو وشجاعة الحضر وإخلاصهم واستقرارهم وثباتهم. وحلًا لهذا الأمر استفاد ابن سعود من خياله وجرأته، بأن غيّر البدو تغييرًا جوهريًا خلال سنوات قلائل ليحولهم إلى قوة خفيفة الحركة تستطيع أن تجوب الجزيرة العربيّة بطولها وعرضها، كما جعل من البدو قوة مستقرة يمكن وضعها في مكان بعينه إذا ما أراد هو لها ذلك (الأحيزة الجغرافية الهجرية). فعل ابن سعود ذلك من دون جعجعة أو جلبة، إلى أن ظهرت هذه القوة على المسرح العربيّ لأول مرة جاهزة ومتشوقة للقتال تحت اسم الإخوان**[٢] (جون حبيب،١٩٩٨: ٤٨).

---

[٢] **يختلف أمر هولاء الإخوان تمامًا عن حركة الإخوان المسلمين في "جمهورية مصر العربية"، ولمزيد من التأكيد فمصطلح الإخوان هنا هو صيغة الجمع للكلمة العربية أخ التي معناها شقيق، ولفظ أخ يشيع جدًا استخدامه بين العرب، فهم يطلقونه على الغريب الذي لا يعرفون اسمه ولكن عربيّ، أو على الصديق الحميم. وصيغة الجمع من هذه الكلمة تطلق أيضًا على الذرية التي تنحدر من أب واحد أو على الشخص الذي يكون من القبيلة نفسها، أو الدين نفسه، أو حتى المهنة نفسها (جون حبيب،١٩٩٨: ٤٨). ومعنى هذا المصطلح على ضوء استعمال الإخوان النجديين له، يعني الأُخُوَّة التي اكتشفها هولاء الإخوان من خلال الدين المشترك الذي يدينون به، وفي القرابة التي سبقت الروابط الأسرية والقبلية.**

١١ –لم تكن لبريطانيا حتى العقد الثاني من القرن العشرين سياسات واضحة بالدور المنوطة به تجاه وسط "شبه الجزيرة العربيّة" لأسباب عديدة، أبرزها: أن "الجزيرة العربيّة" جزء من مكون قوى أخرى هي الدولة العثمانية؛ لذا فأي تدخل إنما كان سيعني إثارة حفيظتها؛ ولذلك يتصف دورها بالتأرجح، ولعل أهم ما يتصف به هذا التأرجح أن صفته كانت تتغيير لا عبر السنين بل عبر الشهور خلال السنة الواحدة، ولعل ذلك يتضح من خلال حديثين متتاليين يتعلق الأول بتلك البرقية التي أرسلها "هوايت هول" من "لندن" في التاسع من يوليو عام (١٩١٣) إلى اللواء "بيرس كوكس" الممثل السياسيّ في البحرين آنذاك، موضحًا ضرورة الابتعاد عن التدخل المباشر وغير المباشر في "نجد" على أن تكون اتصالات الضابط السياسيّ بابن سعود في أضيق الحدود (جون حبيب،١٩٩٨: ٤١). أما الحدث الثاني فيرتبط ببرقية أخرى من نائب الملك لشؤون الهند إلى وزارة الخارجية في العشرين من ديسمبر من العام نفسه (أي: بعد مرور أربعة شهور تقريبًا)، موضحًا في جزء منها ضرورة التوسع في استكشاف وسط الجزيرة العربيّة؛ كون ذلك أمرًا مفيدًا من وجهة النظر العسكرية، والسياسيّة، والجغرافية (جون حبيب/١٩٨٨: ٤٢). وفي ظل هذا التأرجح البين كانت فرصة النمو التصاعديّ للأحيزة الجغرافية الهجرية بعدّها أنوية دينية، ستقود إلى الأنوية الاجتماعية، ومنها إلى الأنوية التنمويّة في ظل تغيرات ذاتيّة لتنتهي إلى أنوية تحمل بين أركانها بواعث من الجغرافيات السياسيّة.

١٢ –نعم ... وتأكيدًا للنقطة سالفة الذكر، فلقد كانت "الأحيزة الجغرافية الهجرية" خطوة الجغرافيا السياسيّة الاستباقيّة في تاريخ "شبه الجزيرة العربيّة" الحديث. وفي لمحة تاريخيّة؛ يتبين أن شبه الجزيرة العربيّة بعد عصر الخلفاء الراشدين، وانتقال العاصمة الإسلامية من المدينة المنورة إلى "دمشق"، ثم إلى "بغداد" كانت جزءًا لا يتجزأ من دولة إسلامية كبرى، ومع أنه كان لها هذه الصفة، ومع أنها مهبط الوحي، ومنبع الإسلام، فلقد كانت طرفًا من أطراف هذه الدولة الكبرى، ولا شك في أن وضع الطرف

في دولة كبرى ليس كوضع المركز فيها. وفي حقيقة الأمر ليس هذا هو المقصد؛ بل المقصد أن بقاء "شبه الجزيرة العربيّة" بوصفها جزءًا في دولة كبرى لا يفصلها عنها حدود سياسيّة من شأنه أنه أعطى القبائل على المدى الزمنيّ الطويل الأسباب والعوامل التي جعلها تضرب في أنحاء "شبه الجزيرة العربيّة" من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، بل أن تتجاوز مناطقها إلى المناطق المتاخمة لها شمالًا أو جنوبًا، بل يضاف إلى ذلك انتشار القبيلة الواحدة على نطاق واسع من الأرض، وبذلك فلقد أعطت للبداوة الفرصة ليطول عمرها وأن تتأصل عادت أهلها وطبائعهم وطرق تعايشهم في إطار من الحماية السياسيّة الطبيعية[١].

١٣-يرى "جون حبيب" أن الإمام "عبد العزيز بن سعود" نجح في إعادة قولبة البدو وتشكليهم من جديد على نحو لم يكن له مثيل من قبل؛ حتى يستعملهم بوصفهم رأس حربة في حملته لتوحيد "شبه الجزيرة العربيّة" ولاسيما بعد أن اعترف الباب العالي اعترافًا رسميًا بكونه حاكم "نجد" و"الأحساء" في عام (١٩١٣) مقابل اعترافه بسلطة الباب العالي على الجزيرة العربيّة (جون حبيب،١٩٩٨: ٤٣). وبناءً على ذلك؛ وكما يُفهم مما سبق، فإن مشروع التوطين وقولبة البدو من خلال الأحيزة الهجرية المستنهضة لم يكن إلا دورًا ذا طبيعة محدودة في إطار رؤية ذاتيّة ممدودة. والحقيقة فإن هذا الظن قد أخذ موضعًا اعتقاديًا في مرحلة ما من مراحل إعداد هذه الدراسة، بيد أنه لم يستمر لأسباب عديدة منها أن "الأحيزة الجغرافية الهجرية" لم تكن عملية عرضية وقتية بقدر ما كانت عملية حياتية بنائية، نجم عنها واقع انتهى إلى استنهاض دولة. وليس هذا فحسب بل إن الواقعية الاجتماعية لبعض هذه الأحيزة تشير في فترة ما إلى وجود بعض الخلافات بينها وبين الغاية المستهدفة من وراء نشأتها **(ولاستدعاء قيمة التاريخ يمكن الوقوف على القسمين الثاني والثالث من دراسة "جون حبيب"**

---

[١] **بمعنى أن الأبعاد التاريخية والطبيعية، حافظت على الخصائص البدوية من أي تدخل خارجيّ كان يمكن أن يعيق استمرارها أو على الأقل تحديثها؛ ومن ثم فالأحيزة الجغرافية الهجرية كانت بمنزلة بواعث التغيير القصديّ لجملة القلائل التي عاشت قرونًا متتابعة من دون انفصال في إطار مكانيّ متصل.**

التي جاءت تحت عنوان " الإخوان السعوديّون في عقدين"، وهما اللذان يتعلقان بهوية هذه الخلافات ومحاولة توصيفها التوصيف الدقيق)؛ ومن ثم لم تكن تخضع في كليتها إلى رؤية الإمام "عبد العزيز بن سعود" بل كثيرًا ما خرجت عليها.

ثالثًا– الأحيزة الجغرافية الهجرية وإعادة بناء اتجاهات القوى في شبه الجزيرة العربيّة.

في إطار ما كانت تموج به "شبه الجزيرة العربيّة" من نتاج عدم الاستقرار والتوازن خلال الفترة من عام (١٩٠٢) إلى عام (١٩٣٢) يمكن القول: إن عملية بلوغ الاستقرار ومن بعده التوازن كان يصعب حسمها بأي مستوى من أطراف القوى التي كانت تتمثل آنذاك في الوجود البريطانيّ، والعثمانيّ من ناحية، والإمام "عبد العزيز بن سعود"، والشريف "حسين" من ناحية أخرى. وهنا تكمن إحدى مدخلات القيمة في محاولة الإجابة عن كيف استطاع الإمام "عبد العزيز بن سعود" أن يحسم عدم الاستقرار ويستبق نتائج الفوضى السياسيّة المبكرة في "شبه الجزيرة العربيّة" من ناحية، والفوضى التي كان يُعاد تخليقها في بلاد الشام من ناحية أخرى؟

والحقيقة أن الحسم هنا تطلب مدخلات جديدة تتناسب مع معطيات خصائص "شبه الجزيرة العربيّة" الطبيعية ومن بعدها الاجتماعية والاقتصادية. وفي عبارة مباشرة يمكن القول: إن هذه المدخلات كانت تدور حول ما يمكن تسميته بـ "**رؤية التوطين الفعال**"؛ تلك الرؤية التي أرادها الإمام "عبد العزيز بن سعود" أن تحل محل القبيلة في كفالتها الاجتماعية والاقتصادية لجميع أفراد البدو؛ ومن ثم لم تكن "الأحيزة الجغرافية الهجرية" إلا جملة من "الأنوية التنمويّة"[١] لتمرير خطواته التنفيذيّة لبلوغ رؤيته السياسيّة في إطارها الشموليّ.

---

[١] **لم يُثبت من الناحية التاريخية أن الفكر التنمويّ للإمام "عبد العزيز" كان متأثرًا بتغييرات أو بتحولات مماثلة في أي بلد آخر، بل هو فكر العارف بالإنسان فوق المكان، العارف بالبدو فوق الأرض الفسحة، العارف بأن العون الخارجيّ لا يصنع التقدم إنما يمكن أن يساعد عليه.**

ومن الجدير بالذكر، أن بلوغ هذا الأمر الذي توج بتأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" في عام (١٩٣٢) لم يكن يتسنى إلا في ظل نظام دقيق من البناء التتابعيّ والدفاع التراكميّ المكفول بالتوزيعات المكانيّة للأحيزة الجغرافية الهجرية التي تكونت في الفترة من عام (١٩١٢) إلى بلوغ التأسيس في عام (١٩٣٢). وفي إطار ذلك يمكن التعرف إلى خصائص هذا النظام من خلال (أربعة) بناءات تتمثل على ضوء ما يأتي:

البناء الأول : (قبيلة القلب الوليد).

يضم هذا البناء (٣) أحيزة جغرافية هجرية هي "المشاش"، و"الرويضة"، و"البدع" وجميعها كانت تقع في إطار قبيلة واحدة هي "السهول، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٢٩) ويمثل هذا البناء منزلة "**القلب**" في عملية بلوغ رؤية الإمام "عبد العزيز بين سعود".

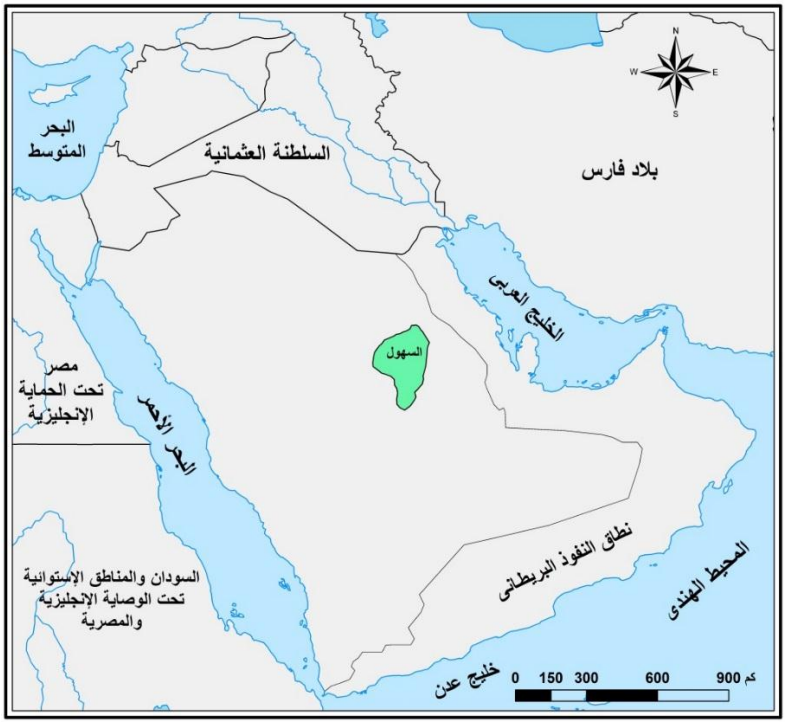

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٢٩): البناء الأول (قبيلة القلب الوليد)

البناء الثاني (قبائل خط الدفاع الأول).

يضم هذا البناء (٩٠) هجرة تنتمي إلى (٧) قبائل رئيسة، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٣٠).

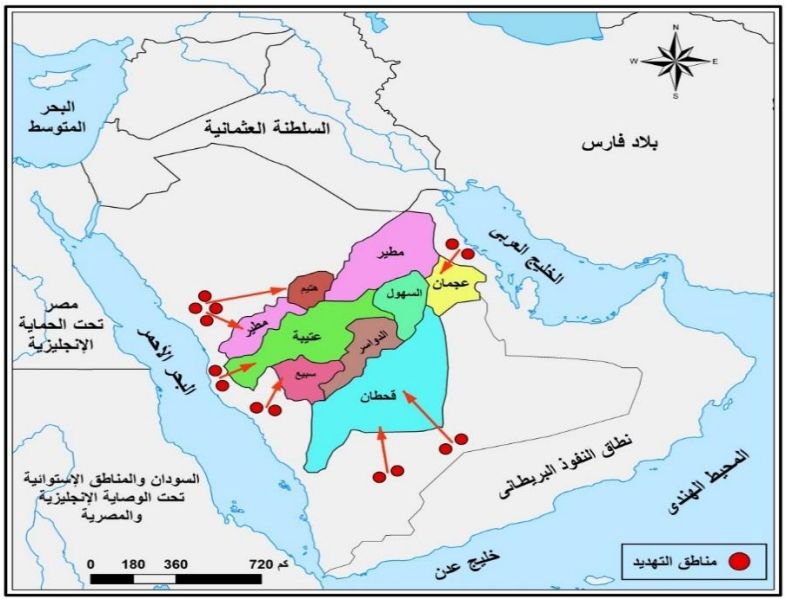

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٣٠): البناء الثاني (قبائل خط الدفاع الأول)

ويمكن القول: إن هذا البناء كان يمثل خط الدفاع الأول عن بناء (القلب الوليد) في قبيلة "السهول التي كانت تنطوي على (٣) أحيزة هجرية. وبصدد توزيعات الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى قبائل هذا البناء فكانت تتمثل على نحو ما يأتي:

قبيلة (عتيبة) وتضم (٢٣) هجرة تتمثل فيما يأتي: "الحفيرة"، و"ساجر"، و"شبيرمة"، و"الصوح"، و"الروضة"، و"عسيلة"، و"القرارة"، و"أبو جلال"، و"الداهنة"، و"الرويضة"، و"عرجاء"، و"الغطغط"، و"حميّان"، و"الحيْد"، و"سنام"، و"عروى"، و"القرين"، و"اللبيب"، و"كبشان"، و"مصدة"، و"نفيى"، و"الحيار"، و"المكلات". **وهذه الهجر كانت منوطة بالدفاع ضد أي قوى تتحرك من الجزء الأوسط من بلاد "الحجاز".**

- ✓ **قبيلة (مطير)** وتضم (٢١) هجرة تتمثل فيما يأتي: "الأثلة"، و"الأرطاوية"، "الثامرية"، و"دابان"، و"الفروثي"، و"الشفلحية"، و"العمار"، و"الأرطاوى، و"أم حزم"، و"الحسو"، و"ضرية"، و"الجعلة"، و"السفلى"، و"مليح"، و"العليا"، و"اللصاقة"، و"مسكة"، و"مبايض"، و"المطيوى"، و"وضاخ"، و"بوضا". **وهذه الهجر كانت منوطة بالدفاع ضد أي قوى تتحرك من الجزء الأوسط من بلاد "الحجاز".**
- ✓ **قبيلة (عجمان)** وتضم (١٧) هجرة تتمثل فيما يأتي: "عريعرة"، و"أم ربيعة"، و"حنيذ"، و"الدليما"، و"الصحاف"، و"الصرار"، و"البره"، و"الرغين"، و"العوينة"، و"غنوة"، و"القرادى"، و"قطنانة"، و"الهليسية"، و"الونّان"، و"الكهفة"، و"نجا"، و"العينة". **وهذه الهجر كانت منوطة بالدفاع ضد أي قوى تتحرك من الجزء الأوسط من "الخليج العربيّ" شرقيّ "شبه الجزيرة العربيّة".**
- ✓ **قبيلة (قحطان)** وتضم (١٤) هجرة تتمثل فيما يأتي: "الجفير"، و"الرّيْن"، و"صبحا"، و"طيبسم"، و"الحصاة السفلى"، و"الرّيْن السفلى"، و"الحصاة العليا"، و"الرّيْن العليا"، و"المنصيف"، و"الهياتم"، و"لَبَن"، و"البدع"، و"الرويضة"، و"المشاش". **وهذه الهجر كانت منوطة بالدفاع ضد أي قوى تتحرك من الجزء الجنوبيّ من "شبه الجزيرة العربيّة".**
- ✓ **قبيلة (سبيع)** وتضم (٦) هجرات تتمثل فيما يأتي: "الضبيعة"، و"الحسي"، و"الرويضة"، و"المشاش"، و"البدع"، و"الخضر". **وهذه الهجر كانت منوطة بالدفاع ضد أي قوى تتحرك من "عسير" جنوبيّ بلاد "الحجاز".**
- ✓ **قبيلة (هتيم)** وتضم (٥) هجرات تتمثل فيما يأتي: "خريفط"، و"الروض"، و"العمايز"، و"المرير"، و"النبوان". **وهذه الهجر كانت منوطة بمساندة قبيلتي "عتيبة"، و"مطير"، ضد أي قوى تتحرك من بلاد "الحجاز".**

✓ **قبيلة (الدواسر)** وتضم (٤) هجرات وتتمثل فيما يأتي: "الوسيطي"، و"مشيرفة"، و"الحمر"، و"الحزم". وهذه الهجر كانت منوطة بمساندة قبيلة "قحطان" أم أي قوى تتحرك من الجزء الجنوبيّ من "شبه الجزيرة العربيّة".

البناء الثالث: (قبائل خط الدفاع الاستباقيّ).

يضم هذا البناء (٦١) هجرة تنتمي إلى (٣) قبائل رئيسة، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٣١). ويمكن القول: إن هذا البناء يمثل **(خط الدفاع الاستباقيّ)** أو مدخل **(الإنذار المبكر)** للحماية والدفاع عن كل من خط **(الدفاع الأول)** حيث البناء الثاني، وكذلك **(القلب الوليد)**

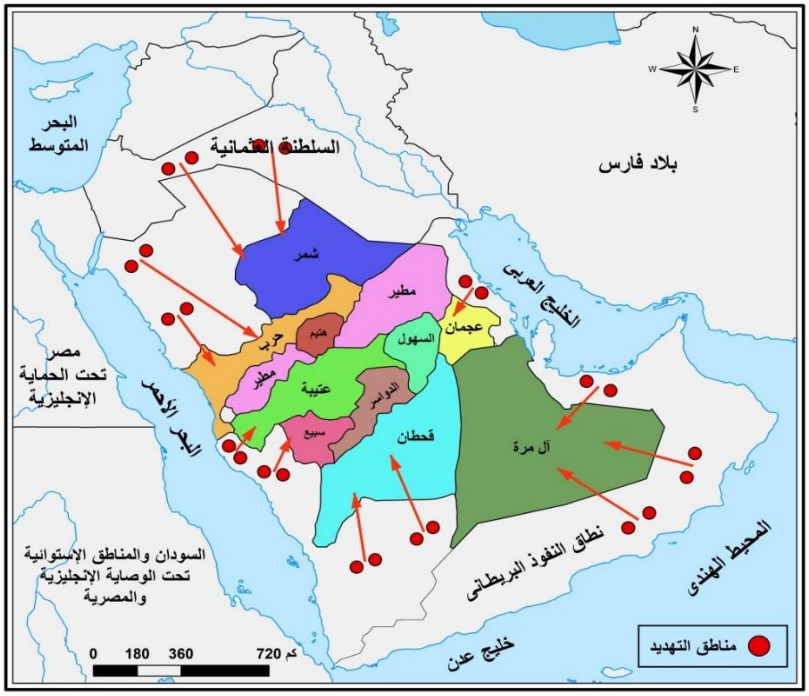

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٣١): البناء الثالث (قبائل خط الدفاع الاستباقيّ

حيث البناء الأول. وبصدد توزيعات الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى قبائل هذا البناء فتتمثل على نحو ما يأتي:

- ✓ **قبيلة (حرب)** وتضم (٣٧) هجرة تتمثل فيما يأتي: "البرود"، و"القرارة، وعقلة الصقور"، و"البصيرى"، و"الخشيبى"، و"الداث"، و"حليفة العليا"، و"الساقية"، و"الشبيكية"، و"الصمعورية"، و"غسل"، و"الفوارة"، و"البعايث"، و"الجراذوية"، و"حليفة السفلى"، و"حنيظل"، و"الدلعية"، و"قبة"، و"القرين"، و"البدع"، و"البقعيا"، و"أبو مغير"، و"ثادق"، و"خصيّبة"، و"دخنة"، و"الذيبية"، و"الفيضة"، و"النحيتية"، و"الكهفة"، و"فَطَن"، و"المحلانى"، و"النمرية"، و"العقاسة"، و"ضيدة"، و"كحيلة"، و"الفيضة". **وهذه الهجر كانت منوطة بالدفاع ضد أي قوى تتحرك من الجزء الأوسط من بلاد "الحجاز" أو حتى الجزء الشماليّ منها، وكانت كلتاهما تحت هيمنة الشريف "حسين". وكذلك عمومية بلاد الشام التي كانت تحت الحماية والوصايا البريطانيّة.**
- ✓ **قبيلة (شمر)** وتضم (٢١) هجرة تتمثل فيما يأتي: "الفيضة"، و"التيّم"، و"جبة"، و"الأجفر"، و"الشعيبي"، و"الشقيق"، و"الصنينا"، و"العظيم"، و"أم القلبان"، و"الحفير"، و"الصفرا"، و"الصهوة" و"العقلة" و"المصَعّ"، و"الوقبا" و"النُّعَي"، و"القصير"، و"المكجول"، و"الفصيم"، و"هجرة" و"الظفير". **وهذه الهجر كانت منوطة بالدفاع ضد أي قوى تتحرك من "العراق" بصفة خاصة وبلاد الشام بصفة عامة، اللتين كانتا تحت الحماية والوصايا البريطانيّة.**
- ✓ **قبيلة (آل مرة)** وتضم (٥) هجرات تتمثل فيما يأتي: "أبيرق"، و"البدوع"، و"السكك"، و"تباك"، و"يبرين". **وهذه الهجر كانت منوطة بالدفاع ضد أي قوى تتحرك من الجزء الجنوبيّ من الخليج العربيّ بصفة خاصة ومن جنوب شرقيّ شبه الجزيرة العربيّة بصفة عامة.**

البناء الرابع: (قبائل خط الدفاع المتقدم).

يضم هذا البناء (١٦) هجرة تنتمي إلى (٤) قبائل رئيسة، وذلك على نحو ما يتضح من خلال الشكل رقم (٣٢)

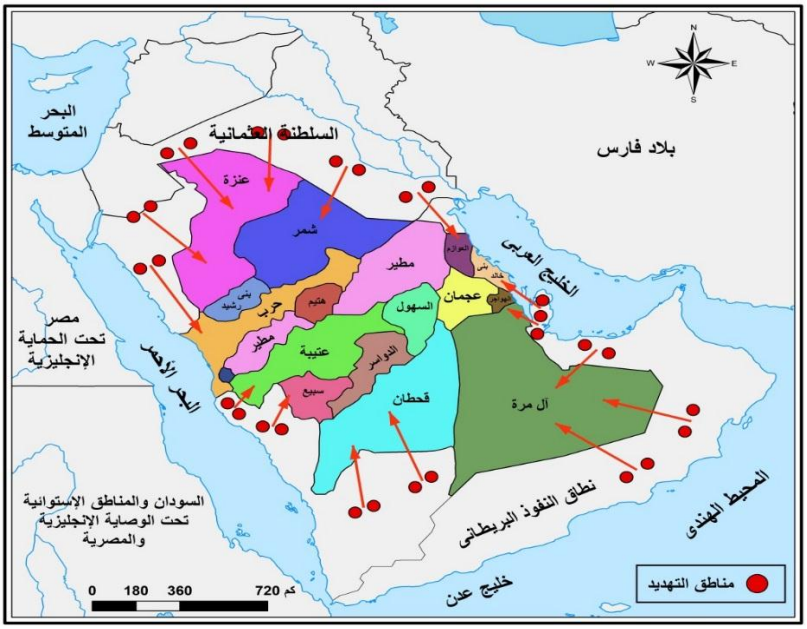

المصدر: الشكل من عمل الباحث اعتمادًا على مخرجات نتائج استدلالية.

الشكل رقم (٣٢): البناء الرابع (قبائل خط الدفاع المتقدم)

ويمكن القول: إن هذا البناء يمثل **(خط الاستشعار المتقدم)** والإنذار المبكر للدفاع عن **(خط الدفاع الاستباقيّ)** ولاسيما لدى قبيلة "عنزة". وبصدد توزيعات الأحيزة الجغرافية الهجرية على مستوى قبائل هذا البناء فتتمثل على نحو ما يأتي:

- ✓ **قبيلة (عنزة)** وتضم (٧) هجرات تتمثل فيما يأتي: "بيضا نثيل"، و"البلاّزية"، و"الفيضة"، و"الشّملى"، و"خيبر"، و"الشعيبية الأولى"، و"الشعيبية الثانية". وهذه الهجر كانت منوطة بالاستشعار المبكر للتغييرات التي تحدث في بلاد "الشام" التي كانت تحت الحماية والوصايا البريطانيّة، وكذلك التي تحدث في الجزء الشماليّ من بلاد "الحجاز" التي كانت تخضع للشريف "حسين".
- ✓ **قبيلة (العوازم)** وتضم (٤) هجرات تتمثل فيما يأتي: "الحسيى"، و"الحنّاة"، و"عنيق"، و"شاح". ولقد كانت منوطة بالاستشعار المبكر للتغييرات التي تحدث في الجزء الجنوبيّ من بلاد "العراق" التي كانت تحت الحماية والوصايا البريطانيّة.

- ✓ **قبيلة (الهواجر)** وتضم (٤) هجرات تتمثل فيما يأتي: "صلاصل"، و"عين دار"، و"يكرب"، و"قودة". ولقد كانت منوطة بالاستشعار المبكر للتغييرات التي تحدث في الجزء الأوسط من غربيّ منطقة "الخليج العربيّ".
- ✓ **قبيلة (بني خالد)** وتضم (هجرتين) يتمثلان فيما يأتي: "الدفى"، و"جلمودة" ولقد كانت منوطة بالاستشعار المبكر للتغييرات التي تحدث في الجزء الأوسط من غربيّ منطقة "الخليج العربيّ".

وبناءً على ذلك، وبتلك البنى (الأربعة)، وبمجموعة من القبائل، وبدافعية الأحيزة الجغرافية الهجرية، تكونت مجموعة من المدخلات أفضت إلى ما يأتي:

١ –**تمكن السلطان** "**عبد العزيز بن سعود**" من خلال البنى (الأربعة) من تأسيس مجموعة من القرى انتشرت أفقيًا على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة" في بنية من الترابط لديها من الإمكانات ما يؤهلها للتصدي لتحركات أي قوى في اتجاه قلب "نجد" الذي قام بتوحيدها، وبذلك ضمن لقاعدته ديمومية الاستقرار، وما كان عليه إلا أن يضيف إليها المزيد من الأطراف في هيئة بنائية انتهت إلى تأسيس المملكة في عام (١٩٣٢). واعتمادًا على هيراريكية تلك البنى كان من الممكن فقدان الأطراف أو استردادها مرة أخرى، بيد أنه كان دائمًا يحافظ على قاعدته، بعدّها الركن الركين في خطوات رؤيته التنفيذيّة.

٢ –**ضمن السلطان**"**عبد العزيز بن سعود**" من خلال البنى (الأربعة) التوطين الذي استدعى به التأمين، ضمن الاستقرار مشفوعًا بالولاء. وبهذين الأمرين ضمن ما هو أبعد من ذلك، ويتمثل في أن هذه البنى (الأربعة) كان يسهل تعبئتها عسكريًا؛ للتصدي أمام أي تحركات تستهدف قاعدته في وسط "نجد".

٣ –**ضمن السلطان** "**عبد العزيز بن سعود**" من خلال البنى (الأربعة) نوعًا من الكفالة بين الأحيزة الجغرافية الهجرية وبعضها بعضًا من الناحية الاقتصادية مدفوعة بذلك

بالولاء إلى رؤية الإمام "عبد العزيز بن سعود" وبالانتماء إلى قبيلة ما زالت توثر من الناحية الاجتماعية والثقافية في بنية البدو السلوكية.

٤-**وبتوزيع البنى (الأربعة)** تكونت مجموعة من القواعد العسكرية كانت تتصف بسهولة الحركة، وسرعة الانتشار، والتعبئة الحاضرة من دون الاحتياج إلى تحضيرات مسبقة. وبصدد هذه النقطة تحديدًا، وبصدد الوظيفة العسكرية للأحيزة الجغرافية الهجرية التي كانت تشتملها البنى (الأربعة) يقول "صالح": كان يوجد نظام عسكريّ مختص بالهجر قسمت بموجبه كل هجرة إلى ثلاث فئات، هي:

- ✓ **الفئة الأولى:** تكون جاهزة دائمًا وعلى أهبة الاستعداد باستمرار؛ لتلبية أمر الجهاد الذي يصدره الملك "عبد العزيز بن سعود". وكان أفراد هذه الفئة مزودين بالأسلحة والعتاد، كما أنهم كانوا يتقاضون مبالغ عالية مقابل وظيفتهم.
- ✓ **الفئة الثانية:** يُدعى أصحابها للجهاد حالما يعلن الملك "عبد العزيز بن سعود" عن الجهاد، وكان كل فرد من هذه الفئة مكلفًا بإحضار مجاهد آخر من رفاقه يردفه معه على ناقته أو حَمله، وكان أفراد هذه الفئة مزودين بالأسلحة والعتاد، وكانوا كذلك يتقاضون مبالغ مالية مقابل وظيفتهم.
- ✓ **الفئة الثالثة:** تلبي دعوة الجهاد عندما يُعلن العلماء بناءً على اقتراح الملك "عبد العزيز بن سعود" النفير العام (حسن عبد القادر صالح، ١٩٨٥: ٢١-٢٢).

٥-**وبهذه البنى (الأربعة)** استطاع السلطان "عبد العزيز بن سعود" أن تحل رؤيته التنمويّة محل القبيلة من دون إضعاف لروابطها أو التقليل من شأنها[١] معتمدًا في ذلك على سببية دينية كانت بمنزلة الظلال التي غلفت جملة الأحيزة الجغرافية الهجرية في سبيل واحد ينتهي إلى صالح التأسيس الجديد؛ ومن ثم فلا غرابة من أن ينظر "باكوب"

---

[١] **يرى أحد الباحثين أن الإمام (عبد العزيز بن سعود" استطاع أن يُضعف الروابط القبلية، ويُنمي العلاقات التي تقوم على تصور مشترك؛ انطلاقًا من العقيدة الإسلامية (كمال حمادي الخاروف، ٢٠١٤: ١٥٠). والحقيقة أن ثمة فرقًا بين إضعاف الروابط القبلية وبين توجيه الروابط القبلية نحو غاية معينة، ولعل هذا ما نجح فيه الإمام "عبد العزيز بن سعود" من دون أن يضعف روابط القبيلة التي كان يستمد منها حيوية رؤيته التنموية.**

إلى الهجر بعدّها مجموعة من الوحدات العسكرية في سبيل تحقيق ذلك (كمال حمادي الخاروف، ٢٠١٥: ١٧٣).

٦- **وبهذه البنى (الأربعة)** استطاع الإمام "عبدالعزيز بن سعود" أن يستعيض عن الجيش النظاميّ بنظام آخر تنتشر فيه جملة الأحيزة الجغرافية الهجرية في ظل توزيعات مكانيّة دقيقة منتقاة بدافعية وجود الماء ومن بعدها التربة وجميعها في إطار من الاعتصام بحبل من الدين، وبذلك تمكن النظام الانتشاريّ الذي استعاض به الإمام عن الجيش النظاميّ من السيطرة على مكامن المياه كافة على مستوى الأحواض المائية الرئيسة التي توجد في وسط "شبه الجزيرة العربيّة" وغربيّها؛ الأمر الذي يعني أنه تمكن من تأسيس رؤيته الجديدة؛ ولذلك فليس بمستغرب من أن يتفوق النظام الانتشاريّ التابع للإمام "عبد العزيز بن سعود" على الجيشين النظامين التابعين للشريف "حسين" في بلاد "الحجاز" والدولة العثمانية في شرقيّ "شبه الجزيرة العربيّة" وشماليّها.

٧-**وبسبب البنى (الأربعة)** وفي عبارة تقوم على الاستدلال التحليليّ وللوقوف على مدى صحة الفرضيات الفرعية رقم (١)، و(٢) فالقول: إنه إذا تأخر السلطان "عبد العزيز بن سعود" في الإعلان عن تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" في عام (١٩٣٢) لمدة عقد واحد فقط لشملت "المملكة العربيّة السعوديّة" العديد من المناطق الأخرى في إطار الفراغ السياسيّ الذي أحدثه ضعف الدولة العثمانية وسقوطها بعد ذلك؛ ومن ثم يمكن القول بشأن هذه النقطة تحديدًا: إن الاعتراف بتأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" في عام (١٩٣٢) كان أحد الأسباب التي حالت دون تمدد ملك "الحجاز" و"نجد" وملحقاتها في منطقة الفراغ السياسيّ على مستوى عمومية "شبه الجزيرة العربيّة". والحقيقة أن هذا الاستدلال يتسق تمامًا مع ما أشار إليه "لاسي" نقلًا عن "فليبي" قوله: **لو استطاع ابن سعود وحلفاؤه أن يقودوا سفينة الوهابية ببراعة، ويتفادوا صخور السياسيّة، لربما استطاعوا أن يعيدوا الإمبراطورية العربيّة ويملأوا الفراغ الذي أحدثه سقوط العثمانيين، إلى قوله: إن ابن سعود يدرك أن بريطانيا هي العقبة الكؤود في وجه أي محاولة لإعادة روح الجهاد عبر الحدود** (كمال حمادي الخاروف، ٢٠١٤: ١٦٥). وفيما يتعلق بهذه النقطة تحديدًا وللوقوف على مدى صحة الفرضية الرئيسة في الدراسة يمكن القول: إن عمومية

التوزان الإقليميّ على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة" كانت تعكس حالة من التوزان الفوضي لصالح القوى غير العربيّة التي كانت بدورها تهيمن على الإطار العام لـ شبه الجزيرة العربيّة" خاصة والإطار العام للعالم العربيّ عامة.

٨-**وبهذه البنى (الأربعة)** تأسست "المملكة العربيّة السعوديّة" من جوف الأحيزة الجغرافية الهجرية، وأضحت وسطًا مكانيًا معلومًا داخل إطار سياسيّ مفعول. كما أضحى لها وجودية تنمويّة تنتمي إلى الجغرافيات التاريخيّة المعاصرة؛ اعتمادًا على تأصيل تنمويّ ينتمي لتاريخيّة حديثة. وبصدد ذلك يقول الجغرافيّ "بلنج" "**Belng**":"**إن التحديث الذي تم على أيدي خلفاء الملك عبد العزيز بعد ذلك ما هو إلا امتداد للنهضة التي قامت في الهجر**" **(Beling,1979:91-97)**.

والمحصلة، وبهدف يصبو إليه، ونتيجة إدراك يزداد وضوحًا يومًا بعد يوم؛ أضحى الحيز الجغرافيّ صنيعة المجتمع في المكان، كما أصبح نموذجه القصديّ الذي يعيشه ويتعايشه. وفي إطار ذلك استطاعت الأحيزة الجغرافية الهجرية دعم آليات التغيير في تاريخيّة "شبه الجزيرة العربيّة" السياسيّة، فلقد كان واضحًا مدى قدرتها على توطين القبائل وتثبيت ولائها لأصول الإسلام وسلطنة "نجد" وتوابعها، كما كان واضحًا أنها استطاعت إيقاف محاولات القوى المجاورة لاستغلال هذه القبائل واستقطابها أو استخدامها ضد الدولة السعوديّة الفتية[١] (موضى بنت منصور عبد العزيز،١٩٨٨: ٦٤). وبناءً على ذلك، فالأمر كله كان عبارة عن جملة من الأحيزة التي أعانت الإمام في السيطرة على "نجد" ومن بعدها الجزء الأكبر في "شبه الجزيرة العربيّة"، وكذلك خوض أي مفاوضات خارجية؛ ومن ثم يمكن القول: إن جملة "الأحيزة الجغرافية الهجرية" كانت بمنزلة عبقرية استباقيّة أمكن من خلالها تأسيس دولة "المملكة العربيّة السعوديّة"، كما تمثل جملة من الآليات التنفيذيّة التي تغير من خلالها الوسط الطبيعيّ من أمكنة انتفاعية وقتية إلى أحيزة جغرافية تعايشية، نعم فلقد كانت الهجر عبقرية الجغرافيا السياسيّة في تاريخ "شبه الجزيرة العربيّة" الحديث.

---

[١] **وفي محاولة لسبر غور هذا المشروع، يمكن القول:إن الأحيزة الجغرافية الهجرية هي حجر الزاوية في إجبار القوى المحيطة العربية والإقليمية على التخلي عن مناوراتها مع القبائل أو استخدام تحركاتها في الصحراء؛ لإحداث القلاقل والاضطرابات، وإعاقة ما كانت تصبو إليه.**

خاتمة الدراسة:

مارس الإمام "عبد العزيز بن سعود" التغيير والبناء من خلال الهجر، ولم يكن ذلك عن طريق مجموعة من التراكمات المخططة أو التحسين الدائب؛ إنما من خلال جملة من النجاحات والإخفاقات. ومهما يكن من أمر فلقد نشأت "المملكة العربيّة السعوديّة" وتكونت عمومية المجتمع السعوديّ في عام (١٩٣٢)، في ظل أصولية ثقافية، غلبت عليها البداوة.

ولقد أدرك الإمام "عبد العزيز بن سعود" أنه لا يمكن بناء وحدة سياسيّة دائمة تقوم على البداوة والولاءات القبلية بقدر ما يجب أن تقوم على الولاءات المكانيّة والأحيزة الجغرافية التعايشية التي تنتهي منفعتها لتكوين الوطن؛ ومن ثم كانت الأحيزة الجغرافية التعايشية تجربة الوطن (الأولى) التي تأسست حولها "المملكة العربيّة السعوديّة" فيما بعد (يعد تأكيد هذا الأمر جزءًا لا يتجزأ من محاولة فهم هوية الفكر التنمويّ الذي يجب الأخذ به، كما يعد ركيزة الهوية في ظل فترة تتصف بالتغيرات المتصارعة)؛ ومن ثم لم تكن جزءًا من قبيلة تدور حولها الأشعار والمآثر، بل كانت الكل الذي احتوى القبائل، وكان رباطها الصلوات الخمس (**Meulen,2000:53-63**).

ولقد مكنت الأحيزة الجغرافية الهجرية الإمام "عبد العزيز" من السيطرة على "نجد"، فأدركت بريطانيا ومن بعدها حكومة الهند أن القوة الحقيقية المنتظرة في الجزيرة العربيّة هي قوة "عبد العزيز بن سعود" وما لبث هذا الإدراك أن تحول إلى واقع بضمه لإقليم الأحساء. وبهذا الضم أيقنت بريطانيا وتحديدًا حكوماتها في الهند أن ميزان القوى الحقيقيّ في "شبه الجزيرة العربيّة" رَجَح لصالح الإمام "عبد العزيز بن سعود" الذي لم تعد تنافسه أي قوة أخرى في "شبه الجزيرة العربيّة" حتى الدولة العثمانية. ومن ثم كان لزامًا من وجود تغيير جذريّ في سياسة بريطانيا نحو إقليم وسط "شبه الجزيرة العربيّة"، ومن هنا بدأت رحلات المسؤولين البريطانيّين إلى "نجد" وسعيهم إلى لقاء الإمام "عبد

العزيز بن سعود" (كيلى، ٢٠٠٤: ط٢- ١٢٨) وبهذا الضم أضحى لسلطنة "نجد" منفذ بحريّ على الخليج العربيّ، وبذلك لم تعد حبيسة.

والحق ... فلقد منحت الأحيزة الجغرافية الهجرية سلطنة "نجد" الشرعية الوجودية وحدود الهيمنة المكانيّة؛ ولأن العون الخارجيّ لا يصنع التقدم، إنما قد يساعد عليه؛ فلقد استشعرت بريطانيا خلال هذه الفترة برغبة الإمام "عبد العزيز بن سعود" في حل مشكلات "شبه الجزيرة العربيّة" من دون تدخل بريطانيّ، وهذا ليس كل شيء، بل كانت على يقين من أن الإمام سيضغط على الشريف "حسين" (ملك الحجاز)؛ بسبب القوة العسكرية التي أوشكت أن تنبثق في الهجر. وكانت كل الدلائل تشير إلى تقدم مستمر في هذا المجال؛ حتى إن المعتمدين السياسيّين البريطانيّين في "البحرين"، و"العراق" كانوا يميلون إلى الرأي القائل: إن "الأحيزة الجغرافية الهجرية" سوف تحقق للإمام "عبد العزيز بن سعود" وجودية راسخة في "شبه الجزيرة العربيّة" (موضى بنت منصور عبد العزيز، ١٩٨٨: ٦٢).

ولعل ما يجب الانتباه إليه أن الأحيزة الجغرافية الهجرية المتنامية استطاعت أن تُكسب سلطنة "نجد" نوعًا من الجغرافيات السياسيّة الجديدة، فأضحت بذلك واقعًا وجوديًا سعت إليه القوى الإقليمية آنذاك. ولم تكن بريطانيا عن هذا ببعيد، فلقد أدركت أن ثمة ميلادًا جديدًا في ميزان القوى بات يشهده وسط "شبه الجزيرة العربيّة" بعد أن كان ميزانها مُرجحًا تجاه "الحجاز" غربًا؛ ومن ثم كان لزامًا عليها إعادة تقييم أمر كان يُظن أنه يكتسب قيمته بشراكة عثمانية أو حتى شراكة حجازية. وكان لزامًا عليها إدراك أن واقعية وسط "شبه الجزيزة العربيّة" بات ينتهج سبيلًا آخر يختلف تمامًا عن الذي كان عليه تاريخيّته، وكان لزامًا عليها فهم تلك الجغرافيات الاستباقيّة التي توالدت فخلصت إلى جملة من الأحيزة الهجرية أضحت له جغرافياته السياسيّة.

نتائج الدراسة:

١ –لم تكن الرؤية التنمويّة التي حققتها الأحيزة الجغرافية الجديدة نوعًا من الغيبية بقدر ما كانت نوعًا من الاستباقيّة في إطار المعرفة المضمونة، التي اعتمدت على فكر "**التجزئة التنمويّة**" أو ما يمكن تسميته بـ **الأقلمة التنمويّة**". وفي إطار ذلك لم تكن توزيعات الهجر المكانيّة بمنزلة جملة من الأحيزة الاقتصادية المنعزلة عن بعضها بعضًا، بل كانت تشكل نسقًا انتظم فيه كل منها، بوصفه جزءًا من كل، كأنهم أعضاء في كتلة حركية واحدة في إطار فكر ينظر إلى التنمية بعدّها **التوزيعات المكانيّة التي** سيُبنى منها الكل، وليس **التوزيعات المكانيّة التي سيتألف منها الكل؟**

٢ – كان للنمو التصاعديّ لهيمنة "الأحيزة الجغرافية الهجرية" على الإطار العام الذي تشكلت فيه سلطنة "نجد" وملحقاتها دور في ترشيد الدور السياسيّ البريطانيّ في "شبه الجزيرة العربيّة"، وهذا بالفعل الذي كان يراه "شكسبير" "**Shchesper**" وصاغه في أحد تقاريره تحت عنوان "**ترشيد السياسة البريطانيّة داخل الجزيرة العربيّة**"، وذلك بعد اقتناعه بأن ثمة ديموغرافيات جديدة باتت تشهدها "شبه الجزيرة العربيّة" عامة وسلطنة نجد فيها خاصة.

٣ –نجحت "الأحيزة الجغرافية الهجرية" في تكوين منظومتها الاستباقيّة على مستوى "شبه الجزيرة العربيّة"، وخلال فترة نمو قوامها عقدان – وتحديدًا من عام (١٩١٢) حتى عام (١٩٣٢)– تكونت دعائم استنهاض دولة في الجزء الأكبر منها. وبصدد هذا الاستنهاض، فلعل أهم ما كان يتصف به هو إدراك الواقع من ناحية، والالتزام بالتعاليم الدينية الصحيحة من ناحية أخرى ومن دون مغالاة في كليهما. ولقد كان الأمر أشبه ما يكون بتنقية البدو من أتربة حركاتاهم الأفقية التي كانت تموج بها "شبه الجزيرة العربيّة" من دون توقف، ومنهم من هدأت سريرته فأصبح عائدًا إلى تعاليم دين نظم حياته من قبل، ومنهم من كان لا يزال مُحملًا بالأتربة، فأمسى متشككًا في غده غير آمل فيه. وبهذا وذاك تكونت جملة من الجغرافيات المختلفة في إطار من الزمن

الواحد، ولا تكمن الإشكالية في ذلك؛ بل تكمن في أن تنامي الفجوة بين هذه الجغرافيات سيعني تنامي الخلاف والاختلاف في إطار من الزمن الواحد.

٤ –كانت ذاتيّة "الأحيزة الجغرافية الهجرية" أسبق تأثيرًا وأعظم فعلًا من الدوافع التأثيرية للقوى غير العربيّة التي كانت بدورها تهيمن من الناحية السياسيّة على الإطار العام لشبه الجزيرة العربيّة، حيث اكتسب من خلالها الإمام "عبد العزيز بن سعود" العديد من الخطوات الاستباقيّة التي ميزته عن القوى كافة آنذاك. وسواء أتمثلت تلك الخطوات في هيمنته على "نجد" ومن بعدها "الحجاز" في هيئة مباشرة أم تمثلت في امتلاكه مزايا تفاوضية في هيئة غير مباشرة؛ فلقد نجح الإمام "عبد العزيز بن سعود" في انتزاع الجزء الأكبر من "شبه الجزيرة العربيّة" من إطار الفوضى الخلاقة التي كانت عليها إلى إطار تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" في عام (١٩٣٢). وبناءً على ذلك يمكن القول: إن صناعة التغيير ونجاح التنمية يعتمد بنسبة تتراوح من (٦٥%) إلى (٧٥%) على خصائص ذاتيّة، كما أنه يعتمد بنسبة تتراوح من (٣٥%) إلى (٢٥%) على خصائص خارجية.

٥ – تعد عملية التحفيز أحد الآليات الاستباقيّة في توحيد "نجد" ومن بعدها تأسيس "المملكة العربيّة السعوديّة" وهذا ما يمكن التعرف إلى بعض مدخلاته من خلال ما النقاط الآتية:

- ✓ استطاع الإمام "عبد العزيز بن سعود" أن يقنع رؤساء القبائل البدويّة بالحضور إلى "الرياض" من أجل الدراسة في مسجدها الكبير على يد مجموعة من علماء الدين هناك خصصهم لذلك لحثهم على ترك حياة البداوة والترحال إلى حياة العمل في الزراعة والاستقرار حول موارد المياه. وفي إطار ذلك منح الإمام رؤساء القبائل الكثير من الهدايا والمنح والعطايا، وأصدر أوامره بإعطاء شيوخ القبائل بيوتًا في مدينة "الرياض".

- ✓ توزيع الأراضي المجاورة للهجر على المقيمين في الهجر، وبذلك يحصل البدويّ الذي سيستقر في الهجر على مزايا الهجر من ناحية ومزايا امتلاك الأرض من ناحية أخرى.
- ✓ إمداد المستقرين بالهجر بآلات حفر الآبار كافة من دون مقابل.
- ✓ إمداد المستقرين بالهجر بتعاليم الزراعة والنباتات والأسمدة كافة من دون مقابل.
- ✓ إمداد المستقرين بالهجر بالمعلمين.

(عبد الفتاح حسن أبو علية، ١٩٧٥: ١١٦-١١٧).

والحقيقة أن قيمة ذلك بالنسبة للحاضر لا تكمن في المعرفة فحسب، إنما تكمن كذلك في إيضاح أحد المدخلات الرئيسة في الفكر التنمويّ الذي استبق تأسيس المملكة، وبناءً على ذلك فإن التخلي عن هذه الآلية في الوقت الحاليّ من شأنه أن يؤدي إلى الاضطراب في الأخذ بآليات التنمية التي تشهدها المملكة حاليًا. وفي إطار ذلك يمكن القول: إن عملية إحلال هذه الآلية يمكن أن تتم عندما تصل نسبة غير المقيمين في المملكة إلى (١٥%) بصفة عامة.

٦-لم يكن الاستقرار في "الأحيزة الجغرافية الهجرية" يعني الانقطاع عن الصحراء أو عن أفراد القبيلة الذين فضلوا البادية والترحال عن الهجر والاستقرار. والحقيقة أن هذا الأمر أكسب "الأحيزة الجغرافية الهجرية" مزية لم يُلتفت إليها، وتتمثل في وجود روابط من الولاء المستتر بين سكان الهجر من ناحية ، وسكان البوادي من ناحية أخرى. وهذا أمرٌ أسهم بطريقة غير مباشرة أكثر من كونها مباشرة في سهولة حركة "إخوان الهجر" عند تنفيذ عملياتهم العسكرية في ظل ضمن عدم تعدي أفراد القبائل غير المستقرة عليهم؛ ومن ثم فكما مكنت روابط الولاء من تأمين "الأحيزة الجغرافية الهجرية" في وقت السلم؛ فلقد أَمنت أفرادها عند قيامهم بعملياتهم العسكرية في المناطق التي تقع خارج أطر أحيزتهم الجغرافية الهجرية.

٧-من الأمور التي تستدعي الانتباه والتفسير أن جملة "الأحيزة الجغرافية الهجرية" التي بلغ عددها (١٧٢) هجرة في عام (١٩٣٢) والتي تعد في جملتها خطوة التحضر

(الأولى) في تاريخ "شبه الجزيرة العربيّة"لم يرتق منها أي هجرة إلى مستوى مدينة "الرياض"، أو "جدة"، أو "الدمام"، أو حتى "ينبع"، إنما جميعهم احتفظوا بمستوى معين من محدودية الإمكانات، سواء أكان ذلك على مستوى متغيرات الخصائص الاجتماعية أم على مستوى متغيرات الخصائص الاقتصادية، فالهجر المسؤولة عن تأسيس المملكة لم تخرج منها أي بواعث عمرانيّة يمكن القول: إنها أسهمت في التنمية خلال النصف الثاني من القرن العشرين. وبناءً على ذلك يمكن القول: إن ضعف عوائد التنمية خلال فترة التخطيط الانفراديّ من عام (١٩٣٣) إلى عام (١٩٧٤) أو خلال فترة الخطط الخمسية التنمويّة خلال الفترة من عام (١٩٧٥) إلى عام (٢٠١٥) كان نتاج عدم الاستفادة من طفرات التغيير التي كانت عليها الأحيزة الجغرافية الهجرية، بل إن الإبقاء عليها في منطقة الظلال أدى إلى وجود نوع من ضعف التوازن التنمويّ استمرت نتائجه حتى عام (٢٠١٥).

٨-"ريجالند وينجات"، و"أرثر جيمس ميلر"، و"جون فيلبي"، و"ديكسون"، و"فيصل بن الحسن"، و"جيسم بلفور"، و"كورتيني"، جميعهم رجالات بريطانيا ومصادرها المعرفية في الجزيرة العربيّة، وشماليّ إفريقيا. وعلى ضوء ما كان يتصف به وسط "شبه الجزيرة العربيّة" خاصة من تغييرات؛ جاهدوا برفع تقارير حاولوا من خلالها تفسير ما كانت تعنيه حركة إخوان الهجر في وسط "شبه الجزيرة العربيّة". وعلى الرغم من مجهوداتهم التقريرية فإنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى حقيقة مؤكدة تعين عى إيضاح ما كانت عليه جغرافيات الأحيزة الهجرية في وسط "شبه الجزيرة العربيّة"، أو حتى واقعيتها التي تبارت حولها العديد من التقارير؛ حتى أضحى بعضها نوعًا من المزايدات السمعية، وبعضها الآخر نوعًا من الخرافات الحدسية. وفي ذلك يشير أحد العمداء البريطانيّين (عن حسن نية)، في تقريره بما يأتي: "**إن أساليبهم وحشية جدًا، فهم يلطخون أجسادهم ووجودهم بدم ضحاياهم؛ إشارة إلى عملهم الذي يستحق التقدير والثناء. وهم يلحقون شفاهم العليا، وجانبي اللحية ويعفونها عند المنتصف، كما يضعون على رؤوسهم منديلًا أبيض بدلًا من العقال**" (جون حبيب،١٩٩٨: ٦٧).

توصية الدراسة.

عندما يتعلق الأمر بطلب التغيير سعيًا إلى بلوغ غايات رؤية تنمويّة محددة؛ فثمة فرق بين صياغة خطوات ترتبط بما ينبغي أن يكون، وبين صياغة خطوات لكيفية تنفيذ ما خُطط له ليكون؛ لذا كان لزامًا التمييز بين أمرين؛ الأول، أن ثمة فرقًا بين ما نتطلع إليه من غايات في إطار التنمية من ناحية، وبين كيفية تحقيق ما نتطلع إليه من غايات وتنفيذه في إطار التنمية من ناحية أخرى. فالأمر **الأول:** يعبر عن طموحات قد تكتفي بها بعض المجتمعات من دون السعي إلى تحقيقها، وهذه حقيقة تتشارك فيها العديد من بلدان العالم النامي. أما الأمر **الثاني:** فيُعبر عن خطوات تنفيذيّة واضحة يجب الالتزام بها لتحقيق ما تصبو إليه المجتمعات.

ومن أجل ذلك كان لابد من إدراك أن عدم وجود خريطة تنمويّة واضحة الأركان على مستوى "الأحيزة الجغرافية" داخل الدولة الواحدة، سيؤدي إلى عدم التوازن بين أقاليم الدولة الواحدة بصفة عامة.

بيد أن قيمة الخريطة لا تتضح استواءً إلا إذا اقترن وجودها بمخطط فكريّ يشتمل على المراحل التنفيذيّة ذات البناء التراكميّ الملزم.

والحقيقة أن قيمة تلك المراحل تتجاوز قيمة الطموحات التي تنطوي عليها الخريطة ذاتها، ولا غلو في ذلك؛ كونها ضامنة التحقيق؛ تلك الضمانة التي تكتسبها من خلال استنادها إلى مجموعة من الضوابط المعيارية من ناحية، والتقييمية في ظل إطار تتابعيّ من ناحية أخرى. وحتى لا تطغى غايات المجتمعات على المراحل التنفيذيّة، فالتنمية تقتضي أن تنطوي الرؤية التنمويّة على مخطط فكريّ تنفيذيّ مشروط بمراحل تنفيذيّة بنائية بعضها من بعض، وبمؤشرات ذاتيّة بعضها لتقويم بعض. وبناءً على ذلك، فإن مقترح **مخطط الفكر التنمويّ التنفيذيّ** يمكن صياغته في إطار مجموعة من المراحل العمومية (غير التفصيلية) التتابعية البنائية تتمثل فيما يأتي:

المرحلة التنفيذية الأولى

بناء المشترك التماكنيّ[١]

الهدف :	**يُسعى من خلال هذه المرحلة إلى توحيد جميع مدخلات قوى المجتمع للالتفاف حول رؤية تنمويّة واحدة في ظل نظام مركزيّ يتسم بالاستنارة ، ومشروط بضوابط معينة.**

الضوابط:	• الوقوف على الإمكانات المرجعية الضابطة للتنمية.
	• تحديد الاتجاه الزمنيّ للخطة القومية العامة.

تتصف عملية التنمية بالشمولية، وتعدد وجهاتها وأبعادها، ولا يمكن تحقيقها بالتركيز على عنصر واحد أو أكثر من عناصرها، وهي تسعى إلى إشباع الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع لتشمل الجوانب المعنوية إلى جانب الغذاء والسكن والصحة والتعليم والعمل. ولقد أدى تغليب مسألة "التنمية الاقتصادية" وعدّها منطلقًا رئيسًا لتغير المجتمع والانتقال به من التقليدية إلى التحديث، إلى الوقوع في أخطاء تدور حول عدّ "التنمية الاقتصادية" نمطًا فريدًا من العمليات الأساسية في التغير الشامل لبلوغ "التنمية" (مريم أحمد مصطفى، ٢٠٠٢: ٩). وهنا كان القصور، ولعل هذا ما تنبه إليه الباحثون عندما أخذوا يناقشون مدى فاعلية الاقتصاد والمشروعات الضخمة أو التمويل في إحداث "التنمية". وبالفعل، فلا يجب عدّها عملية إحداث تغيير جوهريّ في بعض متغيرات الاقتصاد القوميّ؛ بهدف زيادة متوسط نصيب الفرد من الدخل القوميّ (محمود يونس، ١٩٩٣: ٢٠)، أوعدّها أنها تنصرف إلى زيادة الطاقة الإنتاجية للاقتصاد (عبد الحميد محمد القاضى، ١٩٦٩ : ٨١)؛ كونها عملية تفاعلية يزداد فيها الدخل القوميّ الحقيقيّ للدول خلال فترة زمنية محددة (صلاح الدين نامق، ١٩٨٠: ١٤٢)؛إنما يجب النظر إليها بعدّها عملية ترتكز على المجتمع (عصام الدين حواس، ١٩٨٠ : ٥) . وأيًا كان الأمر فالاتجاهان يحتاجان إلى المزيد من التدقيق والمراجعة، وذلك لمجموعة من الأسباب مرد بعضها إلى أن أدبيات التنمية قد أخذت منذ البداية من الفكرالاقتصاديّ والغربيّ منه بالذات، في أثناء

[١] **التماكن "Conjunction"، يعني هنا أن يُؤخذ في الاعتبار خصائص الأحيزة الجغرافية كافة، والأمكنة عند بناء رؤية موحدة؛ سعيًا إلى إيجاد مشترك تنمويّ يتسق تمامًا مع اعتبارات الأحيزة الجغرافية والأمكنة وخصائصها.**

تطورها المستمر؛ الأمر الذي أدى إلى النظر إليها من خلال منظور اقتصاديّ غايته الزيادة السنوية الملموسة في "إجماليّ الناتج القوميّ". وقد حدث من جراء ذلك خلط في المفاهيم بين "التنمية" و"التنمية الاقتصادية" و"النمو الاقتصاديّ". ولأنهم في تطور مستمر، ولأن تطورهم يكفل لهم إدراك أخطائهم؛ فلقد انكفأت مدارس الفكر الغربيّ على التغيير فاستبدلت ذلك بإطار صبغة مجتمعيّة. ولقد ضمنت لهم مرونتهم أن ينكفئوا مرة أخرى، فانتهوا إلى أن التنمية لا تعني النواحي الاقتصادية فحسب، فهي لا تعني التصنيع، أو السياحة، أو الزراعة، بل لا تعني ... أن ثمة مشتركًا مجتمعيًا يجب أن تتماكن فيه كل الأحيزة الجغرافية على مستوى الأقاليم في ظل مدخلات اقتصادية، واجتماعية، وثقافية تسير في ذات الاتجاه. والحقيقة أن اتجاه النظر هذا، من شأنه أن يؤدي إلى إنجاح عملية التنمية في بلدان العالم النامي بعدّها عملية حضارية.

المرحلة التنفيذية الثانية

تحديد الإمكانات التشريعية	
الهدف :	**يُسعى من خلال تلك المرحلة إلى التعرف إلى واقعية الإمكانات التشريعية التي تمثل المكون الدافع في العملية التنمويّة، وذلك من خلال مجموعة من الإمكانات.**
الواقعية	**الإمكانات الاقتصادية في العملية التنمويّة.**
المستوى	**يجب أن تعتمد على إمكانات اقتصادية دافعة ومتعاظمة.**
الواقعية	**الإمكانات الاجتماعية في العملية التنمويّة.**
المستوى	**يجب أن تعتمد على إمكانات اجتماعية متفاعلة ومشاركة.**
الواقعية	**الإمكانات السياسيّة في العملية التنمويّة.**
المستوى	**يجب أن تعتمد على إمكانات سياسيّة واعية وموجهة.**
الواقعية	**الإمكانات الإدارية في العملية التنمويّة.**
المستوى	**يجب أن تعتمد على إمكانات إدارية ذات كفاءة ومنفذة**
الواقعية	**الإمكانات المكانيّة في العملية التنمويّة.**
المستوى	**يجب أن تتم في أمكنة محددة .**
الواقعية	**الإمكانات الزمنية في العملية التنمويّة.**
المستوى	**يجب أن تتم في زمن معين.**

وبعدِّ التنمية عملية وهدفًا وبناءً، فإنها تتحدد وفق مجموعة من الإمكانات التشريعية في إطار رغبة مجتمعيّة محددة (صلاح الدين الشامي، ٢٠٠٠ : ١٩٤-١٩٨). وبصدد الإمكانات الزمنية تحديدًا، فالتنمية لا تعني أنها إلى ما لانهاية، كما لا يعني التخطيط أنه سينجح، فهذه غايات مشروطة بدقة ضوابط ومحددات تتصف بنسبيتها التأثيرية من ناحية، والتأثرية من ناحية أخرى. ويتبلور دور الفكر التنمويّ هنا في إمكان تغيير هذه النسبية وتهذيبها من دون حتمية مكانيّة أو حتى إمكانيّة مجتمعيّة على ضوء مجموعة من القدرات يجملها الشكل رقم (٣٤)

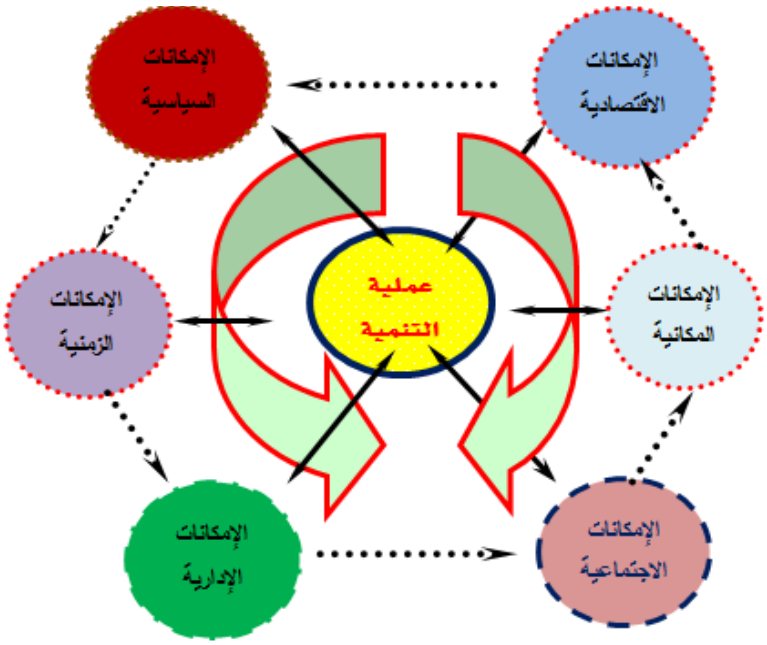

الشكل رقم (٣٤) العوامل المتفاعلة في عملية التنمية

المصدر : الشكل من عمل الباحث مع التعديل على أحد الأشكال الواردة في المرجع التالي: أسامة عبد الرحمن (١٩٨٢): البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية مدخل إلى دراسة إدارة التنمية في دول الجزيرة العربيّة المنتجة للنفط، عالم المعرفة، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد رقم (٥٧) .

المرحلة التنفيذية الثالثة

التشخيص وتحديد الهدف إقليميًا	
الهدف :	يُسعى من خلال هذه المرحلة إلى الوقوف على خصائص الواقعية المكانيّة وقياسها، ومشاركة الأطراف كافة ذات الصلة، إلى جانب تحديد الهدف من العملية التنمويّة وذلك في إطار المحورين الآتيين:
قياس الواقع المكانيّ (القياس القبليّ)	
المحور الأول:	خصائص الواقعية المكانيّة.
	مؤشرات القياس في التنمية.
	مناهج النزعة التنمويّة (المناهج التنفيذيّة).
تحديد الهدف	
المحور الثاني:	السعي نحو التصدي للمشكلات .
	السعي نحو سد الاحتياجات .
	التطلع لبلوغ غايات .

ويتم تنفيذ هذه المرحلة من خلال سبع خطوات رئيسة تتمثل فيما يأتي:

الخطوة الأولى: التحضير لبدء العمل على مستوى إقليم الدراسة.

وتتضمن هذه الخطوة، وضع جدول زمنيّ للمهام التفصيلية التي تتم من البداية؛ حتى نهاية المراحل التنفيذيّة.

الخطوة الثانية : لقاء أصحاب القرار على مستوى إقليم الدراسة.

ويتم خلال هذه الخطوة، إعداد مقابلة مع المسؤولين، للتعريف بمدخلات التنمية وكذلك أهم السياسات التي تختص بإقليم الدراسة؛ بهدف تحديد الجهات التي

ستقوم بتيسير مهمة فريق التنفيذ. ومن الأهمية بمكان حضور قيادات إقليم الدراسة هذا الاجتماع؛ ليتعرفوا إلى مسؤوليتهم. ويلي تلك المقابلة اجتماع لاحق بحضور الأطراف على النحو الآتي:

- **الإدارة المحلية متضمنة الإدارات التنفيذيّة المنوطة بالتنفيذ.**
- **ممثلو المجتمعالمحلي وسكان إقليم الدراسة.**
- **المستثمرون وأصحاب الأعمال الحرة على مستوى إقليم الدراسة.**

ويهدف هذا الاجتماع إلى شرح الأطراف ذات الصلة وتعريفهم بالمشروع وعرض جميع مراحل العمل به والجدول الزمنيّ المقترح للاتفاق عليه والحصول على التزام الشركاء بالتعاون خلال فترة سير العمل، على أن ينتهي الاجتماع بالمهام الآتية:

- تحديد شركاء التنمية مع توضيح اهتمامات هؤلاء الشركاء ومصالحهم والأدوار المطلوبة منهم.
- صياغة الجدول الزمنيّ للأنشطة التي تتضمن مشاركة أصحاب المصالح، ويجب أن يكون لكل عنصر من عناصر الجدول الزمنيّ للنشاطات هدف واضح .

الخطوة الثالثة: المقابلات مع الأطراف ذات الصلة التشاركية على مستوى إقليم الدراسة.

يحتاج المخطط التنمويّ خلال تلك الخطوة، إلى إجراء مشاورات تشاركية، وهذا يتطلب إجراء مقابلات عدة مع الأطراف ذات الصلة كل على حدة، وتطرح عليهم العديد من الأسئلة **(جملة من الاستبانات)** التي تهدف إلى الوصول إلى الرؤي الأساسية المميزة وفق طبيعة إقليم الدراسة.

الخطوة الرابعة: الرفع العمرانيّ للإقليم معتمدًا على المرئيات الفضائية والخرائط التفصيلية لتجهيز قاعدة البيانات الجغرافية على مستوى إقليم الدراسة.

وفيها يتم الحصول على المرئيات الفضائية الحديثة للإقليم؛ لبناء قاعدة بيانات لاستعمالات الأراضي، والمباني وتوزيع عمومية الخدمات، والمؤسسات والأنشطة الاقتصادية، وكذلك تقسيم المناطق طبقًا للكثافات السكانية.

الخطوة الخامسة:حصر الدراسات السابقة على مستوى إقليم الدراسة.

ويتم خلال تلك الخطوة:

- حصر جميع أنواع الدراسات السابقة التى تتعلق بإقليم الدراسةأو غيرها من الأقاليم
- دراسة مدى تأثير إقليم الدراسة بنتائج عمومية الدراسات السابقة.

الخطوة السادسة: التعرف إلى الخصائص العامة والتفصيلية على مستوى إقليم الدراسة.

ويتم خلالها التعرف إلى الخصائص العامة للإقليم، ويلي ذلك التعرف إلى الخصائص التفصيلية، وذلك من خلال دراسة المدخل الإقليميّ الذي يشتمل على ما يأتي:

- ✓ **الإطار التاريخيّ للإقليم.**
- ✓ **الدراسة العامة للخصائص الطبيعية للإقليم .**
- ✓ **الدراسة العامة للخصائص السكانية للإقليم .**
- ✓ **الدراسة العامة للخصائص الاجتماعية للإقليم.**
- ✓ **الدراسة العامة للخصائص الاقتصادية للإقليم.**

الخطوة السابعة: القياس التنمويّ وإعداد مؤشرات القياس على مستوى إقليم الدراسة.

وفيها يتم تحديد المؤشرات على مستوى إقليم الدراسة من خلال نتائج الأسئلة الموجهة إلى شركاء التنمية والبيانات المجمعة من بعض الدراسات السابقة وتقارير الهيئات سواء أعلى مستوى إقليم الدراسة أم الهيئات الإقليمية. وبعد انتقاد مؤشر "الناتج القوميّ الإجماليّ" أو "الناتج المحليّ الإجماليّ" بوصفها مقاييس استدلالية تعبر عن "العملية التنمويّة".

مخرجات المرحلة الثالثة

- البرنامج الزمنيّ للقاءات والمشاورات والاجتماعات التي تمت .
- قائمة بأسماء الشركاء مع توضيح وسائل الاتصال مع تحليل الأطراف ذات الصلة وتقييمهم من حيث مشاركتهم السابقة في التنمية .
- تقرير ملخص عن الدراسات السابقة والمؤثرة في تخطيط إقليم الدراسة وأهم التقارير أو مصادر البيانات الثانوية المهمة.
- الاستبانات التي تم طرحها على شركاء التنمية .
- الرفع المساحيّ والعمرانيّ للإقليم .
- بيان بأهم المشروعات المقترحة وذلك من خلال استرجاعها من الاستبانات التي قام بملئها شركاء التنمية، مع تحديد أي القطاعات الرئيسة التي تخدمها هذه المشروعات .

المرحلة التنفيذية الرابعة

المعرفة والبناء	
الهدف :	**الوقوف على المرجعية النظرية التي يجب أن يستند إليها فريق العمل المنوط بإتمام العملية التنمويّة، وذلك في إطار المحاور الآتية:**
المحور الأول:	**التحليل الرباعيّ.**
المحور الثاني:	**الوقوف على الضوابط التنمويّة.**
المحور الثالث:	**الوقوف على الأسس المعرفية. (ترتبط بمن سيقوم بعملية التنمية)**
المحور الرابع:	**صياغة الأهداف.**

ويتم تنفيذ هذه المرحلة من خلال سبع خطوات رئيسة تتمثل فيما يأتي:

الخطوة الأولى: التحليل الرباعى SWOT Analysis .

ويتم خلال هذه الخطوة، الاستعانة بمخرجات المرحلة السابقة من الدراسات لكل قطاع من القطاعات بالإضافة إلى ما يستجد من بيانات وتحليلات من اللقاءات المختلفة وورش العمل بإقليم الدراسة؛ للخروج بتحديد مواطن القوة والضعف والفرص والمخاطر (التحليل الرباعيّ) على مستوى القطاعات الثلاثة الرئيسة، وتتمثل في:

- الإطار العمراني.
- المرافق والبنية الأساسية.
- الاقتصاديات المحلية.

الخطوة الثانية: تحديد الرؤية المستقبلية للإقليم.

ويتم خلال هذه الخطوة تقييم الإمكانات على مستوى إقليم الدراسة. وتعد هذه الخطوة من أهم الخطوات التي يمكن من خلالها تحديد فرص التنمية المتاحة وقدرة إقليم الدراسة على استيعابها عن طريق تحليل العناصر الآتية:

- **الموارد الاقتصادية (قوة العمل، ومناطق الصناعة، ومناطق الاستصلاح الزراعيّ).**
- **إمكانات البني التحتية.**
- **الإمكانات التكنولوجية.**

وتلي ورشة عمل تقييم الأصول ورشة عمل أخرى لتحديد الرؤية المستقبلية للإقليم، وتحدد الرؤية المستقبلية ما ستكون عليه خلال فترة زمنية محددة وتعتمد في صياغتها علي الإمكانات المحلية ومواطن القوة أو الفرص السابق التوصل إليها في ورشة العمل السابقة، وتكون نابعة من مشاركة مجموعة العمل الأساسية التي تعبر عن رأي المجتمع المحليّ مع التركيز على تنمية الإمكانات التنافسية للإقليم وتحديد هويتها ودورها المميز في إقليمها.

الخطوة الثالثة: إعداد العرض الأول للمخطط التشاركيّ و تنفيذه على مستوى إقليم الدراسة.

يتم خلال هذه الخطوة تجهيز العرض شاملًا كل الدراسات السابقة وتحليلاتها وعرض خرائط الرفع المساحيّ العمرانيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ كافة وتحليلاتها وعرض الرؤية والأهداف المتفق عليها والقضايا والمشروعات المقترحة كافة سواء أمن الخبراء أم مجموعة العمل الأساسية أو المتخصصة أم من خلال شركاء التنمية وذلك من خلال اجتماع بحضور جميع الأطراف ذات الصلة ويتم فيه استعراض ما يأتي:

- **نتائج الدراسات والمسوحات كافة والتي تمت مع عرض الخرائط.**
- **التحليل الرباعيّ لكافة القطاعات (العمرانيّة، والاجتماعية والاقتصادية).**
- **الرؤية التى سيتم الانتهاء إليها.**
- **المشروعات المقترحة.**

الخطوة الرابعة: الخريطة المعلوماتية للإقليم .

يتم خلال هذه الخطوة استكمال بناء نظام المعلومات الجغرافيّ للإقليم من خلال استخدام البيانات المحدثة بعد التدقيق والتحليلات.

الخطوة الخامسة: تدقيق المؤشرات التنمويّة على مستوى إقليم الدراسة.

يتم خلال هذه الخطوة استكمال المؤشرات وتدقيقها التي سبق جمعها من المرحلة الأولى والتي تم التأكد منها من خلال عقد المزيد من الاجتماعات وتجميع المزيد من البيانات .

الخطوة السادسة: إعداد التقرير التنمويّ للإقليم.

في هذه الخطوة، يتم كتابة تقرير التنمية للإقليم شاملًا خلفية إقليم الدراسة التاريخيّة، والوضع الحاليّ للإقليم، والرؤية المستقبلية للإقليم مع شرح مفصل لما تعنيه محاور الرؤية.

الخطوة السابعة: صياغة الأهداف.

وخلال هذه الخطوة يتم صياغة أهداف قصيرة المدى ويمكن تحقيقها وترتكز على الإمكانات المتاحة بإقليم الدراسة. وتعد هذه الأهداف هي الأساس الذي ستبنى عليه خطوط الفكر التنمويّ لقطاعات إقليم الدراسة وتحديد معايير تقييمها، وهي التي ترتبط بالموقف الحاليّ للإقليم .

مخرجات المرحلة الرابعة

- **بعض مستندات الرفع الميدانيّ.**
- **تحليلات swot للقطاعات الرئيسة والتحليلات الإضافية المطلوبة .**
- **خطوات تحديد الأهداف والمشروعات وتحديد الرؤية.**
- **قاعدة البيانات الجغرافية المحدثة.**
- **صياغة تقريرالرؤية التنموية لإقليم الدراسة.**

المرحلة التنفيذية الخامسة

الرؤية التخطيطية	
الهدف :	**الانتهاء إلى صياغة خطة تنفيذيّة زمانًا ومكانًا؛ استنادًا إلى مجموعة من الضوابط يمكن إجمالها في المحورين الآتيين:**
المحور الأول	**ضوابط الأسس التخطيطية ومحدداتها على مستوى** إقليم الدراسة.
	مستوى الرؤية التخطيطة ودقتها على مستوى إقليم الدراسة.
	المقومات المكانيّة وأوزانها النسبية على مستوى إقليم الدراسة.
	تحديد مجال الرؤية التخطيطية على مستوى إقليم الدراسة.
المحور الثاني	**الخطة التنفيذيّة والجغرافيات الافتراضية على مستوى** إقليم الدراسة.

ويتم تنفيذ هذه المرحلة من خلال سبع خطوات رئيسة تتمثل فيما يأتي:

الخطوة الأولى: إعداد الإطار المنطقيّ للغايات والأهداف والمؤشرات التنمويّة.

نظرًا لأهمية متابعة مدى التقدم وتقييمه في تحقيق الرؤية والغايات وإنجاز الأهداف العامة والفرعية، فإنه يتم من خلال هذه الخطوة استخدام مؤشرات تحدد مدى الإنجاز في تحقيق الأهداف ؛ومن ثم يجب أن تكون تلك المؤشرات واضحة ومرتبطة بالهدف، ومحددة القياس.

الخطوة الثانية: وضع رؤى التنمية على مستوى إقليم الدراسة.

يتم خلال هذه الخطوة عرض القضايا التي تتطلب حلولًا لسد الفجوة بين الوضع الحاليّ والوضع المستهدف وتحليل نقاط القوة والضعف والفرص والمخاطر.

الخطوة الثالثة: ورشة عمل للاتفاق على رؤى المخطط النهائيّ على مستوى إقليم الدراسة.

يتم خلال هذه الخطوة عرض رؤى التنمية ومناقشتها؛ حتى سنة الهدف (٢٠٣٠) على مستوى الإقليم على مجموعة العمل الأساسية للاتفاق عليها .

الخطوة الرابعة: إعداد الخطة الاستثمارية لتنفيذ المشروعات ذات الأولوية على مستوى إقليم الدراسة.

بعد الاتفاق على رؤى المخطط النهائيّ لتنمية إقليم الدراسة وتحديد المشروعات ذات الأولوية، يتم خلال هذه الخطوة ترجمة الرؤى إلى مخطط تنمويّ عام من خلال توطين المشروعات وتبعيتها وتداخلاتها الزمنية وبرامج التنفيذ والتمويل والحيز العمرانيّ المقترح .

الخطوة الخامسة: إعداد مخطط استعمالات الأراضي على مستوى إقليم الدراسة.

وعلى ضوء نتائج الدراسات القطاعية ومشروعات التنمية المتفق عليها ومخطط التنمية؛ حتى عام (٢٠٣٠)، وآراء الشركاء، يتم خلال هذه الخطوة توقيع

المعلومات وأبعادها المكانيّة على خريطة استعمالات، وذلك في ظل وجود اشتراطات بناء ملزمة وموجهة للتنمية بإقليم الدراسة.

الخطوة السادسة: إعداد تقرير المخطط التنمويّ للإقليم وقاعدة بياناته على مستوى إقليم الدراسة.

يُسعى من خلال هذه الخطوة، إلى إعداد التقرير النهائيّ للمخطط التنمويّ؛ اعتمادًا على تحديد الأهداف والمشروعات ذات الأولوية وإعداد الإطار العام للتحليل البيئيّ وبيانات الوضع الحاليّ والتحليل المنطقيّ للغايات والأهداف والمؤشرات وتحديد الخطوط التنمويّة، وأخيرًا مخطط استعمالات الأراضي والمخططات المكملة له.

الخطوة السابعة: إعداد المنظور التنمويّ للإقليم على مستوى إقليم الدراسة .

يتم خلال هذه الخطوة إتمام المهام الآتية:

- **صياغة الرؤية التنموية على مستوى إقليم الدراسة.**
- **صياغة المخطط التنمويّ العام على مستوى إقليم الدراسة.**

مخرجات المرحلة الخامسة

- **الإطار العام للرؤية التنموية على مستوى إقليم الدراسة.**
- **تحديد الحيز العمرانيّ لإقليم الدراسة.**
- **مقترحات المشروعات ذات الأولوية.**
- **المخطط العام للرؤية التنموية على مستوى إقليم الدراسة.**

المرحلة التنفيذية السادسة

اعتماد الخطة وتنفيذها	
الهدف :	تنفيذ الخطة التي انتهت إليها المرحلة الخامسة؛ استنادًا إلى مجموعة من الأسس التقييمية التتابعية والأسس التقومية البنائية على ضوء المحورين الآتيين :

مستويات التنفيذ على مستوى إقليم الدراسة

المحور الأول:	مستوى المحافظة.
	مستوى المركز.
	مستوى المدينة.
	مستوى القرية.

المشاركة التنفذية على مستوى إقليم الدراسة

المحور الثاني	مشاركة المحافظات على مستوى قطاعاتها الإدارية .
	الجمعيّات الأهلية / شركاء التنمية.
	المستفيدون من عوائد عملية التنمية .

ويتم تنفيذ هذه المرحلة من خلال سبع خطوات رئيسة تتمثل فيما يأتي:

الخطوة الأولى: عرض المسودة النهائية للمخطط التنمويّ العام على مجموعة العمل الأساسية وممثلي الأطراف ذات الصلة على مستوى إقليم الدراسة.

يتم خلال هذه الخطوة، عرض المقترحات النهائية على مجموعة العمل، وكذلك ممثلي الأطراف ذات الصلة والذين شاركوا جميعًا في الخطوات السابقة كافة؛ حتى الوصول إلى المخطط التنمويّ العام على مستوى إقليم الدراسة..

الخطوة الثانية: عرض المخطط التنمويّ العام على المجلس الشعبيّ المحليّ على مستوى إقليم الدراسة.

يتم خلال هذه الخطوة، عرض المخطط التنمويّ لإقليم الدراسة على مجلس بلدية أو محافظة إقليم الدراسة ، للحصول على الموافقة؛ تمهيدًا لاعتماده.

الخطوة الثالثة: تقديم النسخ النهائية للمخطط التنمويّ العام للاعتماد على مستوى إقليم الدراسة .

يتم خلال هذه الخطوة، الموافقة على المخطط والشروع فى اتخاذ إجراءات التنفيذ.

الخطوة الرابعة: إعداد المخططات التفصيلية على مستوى إقليم الدراسة .

يتم خلال هذه الخطوة، القيام بالمهام الآتية:

- **إجراء العديد من ورش العمل على مستوى المجتمع المحلى بإقليم الدراسة فى إطار من التشارك.**
- **إجراء العديد من ورش العمل مع مجموعات العمل المنوطين بتنفيذ الرؤية التنموية.**

الخطوة الخامسة: إعداد خطط العمل لأحد المشروعات على مستوى إقليم الدراسة.

يتم خلال هذه الخطوة، القيام بالمهام الآتية:

- **تحديد متطلبات المشروع التفصيلية .**
- **تحديد الجهات المشاركة .**

الخطوة السادسة: إعداد دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروعات ذات الأولوية على مستوى إقليم الدراسة.

يتم خلال هذه الخطوة، إعداد دراسة جدوى اقتصادية أولية لكل مشروع ذي أولوية، وقد يتم خلالها تعديل المخططات التفصيلية بناءً على المخرجات الناجمة عن المناقشات التشاركية مع أعضاء المجتمع المحلي على مستوى الإقليم.

الخطوة السابعة: تحديث قاعدة المعلومات الجغرافية على مستوى إقليم الدراسة .

يتم خلال هذه الخطوة، إدخال المخططات التفصيلية كافة والخرائط المختصة بها في قاعدة المعلومات الجغرافية.

مخرجات المرحلة السادسة

- **المخططات التفصيلية للمشروعات المقترحة.**
- **قاعدة البيانات التفصيلية وخطط العمل التنفيذيّة.**
- **دراسات الجدوى الاقتصادية للمشروعات المقترحة.**

المرحلة التنفيذية السابعة

قياس النتائج وتحديد مسار الاستدامة	
الهدف :	**قياس الأثر التنمويّ التي أحدثته الخطة بعد تنفيذها على الواقع المجتمعيّ. كما يُسعى من خلال هذه المرحلة إلى محاولة معرفة ما سيكون عليه الحيز الجغرافيّ بعد إتمام خطة التنمية ونجاحها خلال فترة زمنية معلومة المستقبل؛ وذلك اعتمادًا على المحاور والسيناريوهات الآتية:**
المحور الأول:	**القياس البعديّ (البصمة البيئية).**
المحور الثاني:	**مؤشرات قياس نتائج الخطة .**
سيناريوهات الاستدامة:	**السيناريو الأول .**
	السيناريو الثاني .
	السيناريو الثالث.

قائمة المراجع والمصادر

أولًا- المراجع العربيّة.

١. **القرآن الكريم**

٢. **أحمد جار الله الجار الله (٢٠٠١)** إمكانات التنمية الإقليمية في المملكة العربيّة السعوديّة، تحليل البيئة العاملية لنطاقات الإشراف الإداريّ لمحافظات ومراكز المناطق، ندوة التنمية الحضرية في دول الخليج، جامعة الكويت.

٣. **أحمد جار الله الجار الله (٢٠٠٢)** هجر الملك عبد العزيز جذور النظام الحضريّ السعوديّ المعاصر ، ندوة التنمية العمرانيّة في المناطق الصحراوية، وزارة الأشغال والإسكان، الرياض.

٤. **أحمد جار الله الجار الله، وهند حسن القحطانيّ. (٢٠١٤)** توثيق رقميّ للنمو الحضريّ في المنطقة العربيّة السعوديّة ١٩٠٢-٢٠١٥، قسم التخطيط الحضريّ والإقليميّ، كلية العمارة والتخطيط ، جامعة الدمام، المملكة العربيّة السعوديّة.

٥. **أسامة عبد الرحمن (١٩٨٢)** البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية مدخل إلى إدارة التنمية في دول الجزيرة العربيّة المنتجة للنفط، عالم المعرفة، العدد رقم (٥٧)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

٦. **أمين الريحانيّ (١٩٢٧)** نجد الحديث وملحقاته وسيرة عبد العزيز عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما، دار ريحانيّ للطباعة والنشر، بيروت.

٧. **باركلي رونكيير (٢٠٠٣)** عبر الأراضي الوهابية على ظهر جمل، ترجمة منصور محمد الخريجيّ، الطبعة الثانية، مكتبة العبيكان،الرياض.

٨. **بنوا ميشان (١٩٧٦)** ولادة مملكة، ترجمة رمضان لاوند، دار أسود، بيروت.

٩. **جلال محمد كشك (١٩٨١)** السعوديّون والحل الإسلاميّ، المطبعة القيمة، القاهرة.

١٠. **جمال حمدان (١٩٧٨)** جغرافية المدن، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة.

١١. **جون حبيب (١٩٩٨)** الإخوان السعوديّون في عقدين، ترجمة صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، الرياض.

١٢. **جون فيلبي (٢٠٠١)** حاج في الجزيرة العربيّة، ترجمة عبد القادر محمود عبدالله، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان،الرياض.

١٣. **جون فيلبي (٢٠٠٧)** جزيرة العرب الوهابية، ترجمة يوسف مختار الأمين، الطبعة الأولي،مكتبة العبيكان،الرياض.

١٤. **جي بى كيلي (٢٠٠٤)** الحدود الشرقيّة لشبه الجزيرة العربيّة، ترجمة خيري حماد، دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٥. **حافظ وهبة (١٩٨٨)** الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت.

١٦. **حافظ وهبة (١٩٥٦)** جزيرة العرب في القرن العشرين، الطبعة الثالثة،دار الآفاق العربيّة، القاهرة.

١٧. **حسن عبد القادر صالح (١٩٨٥)** توطين البدو في عهد الملك عبد العزيز، وقائع المؤتمر العالميّ عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الملك سعود، الرياض.

١٨. **خالد محد العنقريّ (١٩٩٠)** تأثير وتوطين البادية في التحضر بالمملكة العربيّة السعوديّة، المجلة العربيّة للعلوم الإنسانية، العدد (٣٨)، المجلد العاشر، جامعة الكريت.

١٩. **ساعد العرابيّ الحارثيّ (١٩٩٤)** الملك عبد العزيز رؤية علمية، دار جواهر التراث للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٠. **صلاح الدين نامق (١٩٨٠)** اقتصاديات السكان في ظل التضخم السكانيّ، دار المعارف، القاهرة.

٢١. **عبد الحميد محمد القاضي(١٩٦٩)** تمويل التنمية الاقتصادية في البلدان المتخلفة، الطبعة الأولى، منشأة المعارف، الإسكندرية.

٢٢. **عبد الفتاح حسن أبو علية (١٩٧٥)** الجذور الأولى لمشروعات توطين البدو في جزيرة العرب ، الدارة، مجلة فصلية محكمة،س١،ع١، المملكة العربيّة السعوديّة.

٢٣. **عثمان الصالح (١٩٨٥)** جوانب من عبقرية الملك عبد العزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

٢٤. **عمر الفاروق (١٩٨١)** المدن الحجازية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.

٢٥. **غوستاف لوبون (٢٠١٢)** حضارة العرب،ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

٢٦. **فؤاد حمزة (٢٠٠٢)** قلب الجزيرة العربيّة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٢٧. **كمال حمادي الخاروف (٢٠١٥)** الدور العسكريّ والأمنيّ للهجر في نجد، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ١٢،العدد ١،جامعة الشارقة.

٢٨. **لودر ديفي (١٩٢٥)** القول الحق في تاريخ سورية وفلسطين والعراق، ترجمة نزيه المؤيد العظم، المطبعة الحديثة، دمشق.

٢٩. **محمود يونس (١٩٩٣)** مدخل إلى الموارد واقتصادياتها، الدار الجامعية، بيروت.

٣٠. **مريم أحمد مصطفى (٢٠٠٢)** علم اجتماع المجتمعات الجديدة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٣١. **المهدي المنجرة (١٩٨٨)** من أجل استعمال ملائم للدراسات المستقبلية، عالم الفكر،المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، الكويت.

٣٢. **موضى بنت منصور عبد العزيز (١٩٨٨)** الهجر ونتائجها في عصر الملك عبد العزيز، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الدراسات العليا التاريخيّة، جامعة أم القرى.

٣٣. **هيلدبرت إزنار (١٩٩٤)** الحيز الجغرافيّ، ترجمة محمد إسماعيل الشيخ، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت.

٣٤.**ويلفريد ثيسجر (١٩٥٦)** فوق الرمال، ترجمة محمد محمد عبد القادر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

ثانيًا –المصادر العربيّة:

وزارة العمل والشؤون الاجتماعية (١٩٦٥) البادية في المملكة العربيّة السعوديّة، جامعة الدول العربيّة.

ثالثًا –المراجع الأجنبية.

1- **Beling,W (1979)** King Fasial and the Modernization Of Saudi Arabia,Westview Press,USA.

2- **Bruc.N and Matthew (2004)** Geography and segmented Assimilation: examples from New York Chines, Journal of Population, Space and place,Mc Master University.

3- **Caroline, N (2009)** Rthinking Geograhies of Assimilation, Journal of The Propfessional Geography,Vl61, Issue 3, Amercain Association of Geographers.

4- **Cladia.D and Rainer.S (2006)** Reactive Ethnicity or Assimilation? statements, arguments, and first Empirical evidence for labar migrants in Germany, Journal of International Migration Review,VL 40,Issue 4, Germany.

5- **Erol.Ulker (2008)** Assimilation,security and Geographical nationlization in iterwar Turkey: the settement law of 1934

6- **Fenelon.k (1973)** The United Arab Emirates an Economic and Social Survey, Longman,London.

7- **Glen, R.F (2011)** A model of Assimilation and Accommodation in Cognitive and cultural realms, Journal of Complex Mental Processes, on- line published

8- **Kenneth, W (1933)** Ibn Sa'ud : the Puritan king of Arabia, London Cape, London.

9- **Kiernan, R (1937)** The unveiling of Arabia;: The story of Arabian travel and discovery, G. G. Harrap; U.K.

10- **Meulen,V (2000)** The Wells Of Ibn Saud,Kegan Paul International ,USA.

11- **Philby,H (1928)** Arabia of the Wahhabis,Constable and Company,London.

12- **Richard,H and Kim,D (2013)** Intercultural Cpacity deficitsi contested Geographies of Coexistence in natural,Willy online Library.

13- **Rogers, E and Svnning, l. (1969)** Modernization among peasants: the impact of communication, Rinehart,London.

14- **Smalley, W (1932)** THE WAHHABIS AND IBN SA'UD, Moslem World, Online Library https://doi.org/10.1111/j.1478-1913.1932.tb02882.x

15- **Suban, K and Hel, k (2015)** The Heartland theory of Sir Halford John Mackinder: justification of foreign policy of the United States and Russia in Central Asia, Journal of Liberty and International Affairs | Vol. 1, No. 2.

16- **William, s and William, S (2010)** Assimlation of Problematic Experiences, Journal of TOC, on- line published.

رابعًا – المصادر الأجنبية

1- **(1912)** Map of Mandates in Arabia, by Lawrence Martain.

2- **(1918)** Map of Arabia Distribuzion approssimativa dei Riti o Scuole Giuridche E Delle Sette Religiose Musulmane" by Nallino**.**

3- **(2000)** Map of Arabia Political Divisions in 1900, by Michael Lazady.

خامسًا – المواقع الإلكترونية

- https://www.almaany.com.

Geographies of proactive alhijr in the Kingdom of Saudi Arabia between the inputs of staffing thought and the outputs of the Constitutive action
A study in historical geography from (1912) to (1932)

Abstract

The weakness and decline of the political power of the "Ottoman" Empire became a tangible reality for many European countries during the first and second decades of the twentieth century. This reality led to a kind of political vacuum whose features became evident in the precious region of the "Ottoman" Empire, which was represented in the Arab Mashriq. In the context of this realism and the consequent political vacuum, the "Arab Mashriq" region has become a historic opportunity with a negotiating dimension of unknown direction, on the one hand, and a deconstructive colonial dimension, on the other. Within the framework of all this, and with a set of proactive geographies within the general framework of turbulent geographies in the Arab Mashriq at that time; "Abdul Aziz bin Saud" had his own project, which he started since he was the Prince of the "Najd" region in the year (1902 AD) and he was crowned king of the "Kingdom of Saudi Arabia" in the year (1936). That genius project that, if it was to continue, would occupy the entire "political vacuums" in the "Ottoman" Empire at the time. It ended with "migratory" as a field of application, so the step of settling and settling the Bedouins in their (first) village or their (first) migration under the name of "Al-Artawiya" migration took place in 1912. Because of the (first) migration, the thought matured, and the "migratory" spread. According to the staffing trends of emigration, the cultural frameworks of the globe were formed, which showed among themselves degrees of internal cohesion, which led to the formation of unity. Within the framework of all this, "developmental urbanism" has been arisen by projecting the community/cultural system onto the environmental or natural milieu; That active, effective projection defined by the thought of change in a manner consistent with its pressing demands in pursuit of the goal to be achieved. Hence, "developmental urbanism" was only the product of a thought through which it was hoped that a specific goal would be achieved and dependent on a particular society. Thus, it can be

considered as a manifestation of the society's action according to a thought that led all its basic elements to unite and compete to secure the functional continuity of the integrated group. In light of this, the developmental urbanism has continued in the Kingdom of Saudi Arabia and has been advocated to reach the unknown in light of proactive steps at times or by forward-looking steps at other times.

The idea of the study revolves around the inputs that led to the establishment of migratory as a staffing experience that involved a set of executive mechanisms, whose success was demonstrated by the knowledge of its results, which culminated in the establishment of the Kingdom of Saudi Arabia in (1932). The study relied on the historical method, in the context of an attempt to build the historical events of the villages of migratory as a group of urban places characterized by a set of demographic, urban, and staffing dimensions in general. The study also relied on the evidentiary approach, which is considered as the vital support that gave the study the impetus to move from one historical event to another. The evidentiary approach has made it possible to move from the subjective partial knowledge where the characteristics of "migratory" are, to the total knowledge, where the "Najd" region and then "the Arabian Peninsula" are in one bond. Based on that, the approach made it possible to judge the accuracy of the historical event by comparing it, linking it, and its consistency with the next event. On the basis of the processing steps, the study included (Six) major points, which were dominated by the fundamentalist trend within a framework of analysis and criticism. As for the utilitarian part, it was represented in the results and recommendations of the study.